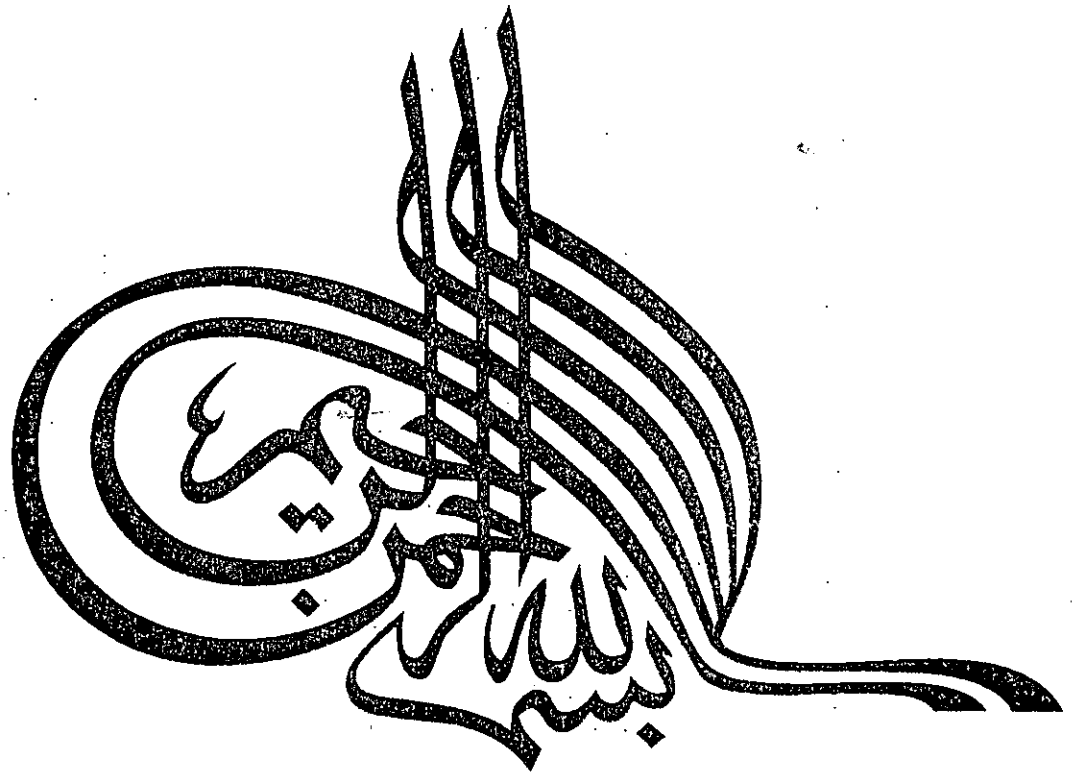
بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أساليب المدح والذم في القرآن الكريم

مُقدّمة

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

نظراً للمكانة العظيمة والفريدة التي يتبوأها القرآن الكريم عند أمة الإسلام، فإن لفهمه أهمية كبيرة وذلك باستقراء آياته للوقوف على عبره، والحكم المستقاه منها، وللوصول إلى الأحكام المستترة وراء كلماته المضيئة.

إن استخراج الأساليب النحوية من القرآن الكريم يساعد على توضيح معانيه والغوص في أعماقه، فالمدح في حقيقته إطراء لمن يحسن العمل ويأتي بالخير والفضل فيكافئه الله بالأجر والثواب ويذكره بالمدح والثناء.

أما من اقترف إثماً وخالف أوامر ربه ولم يجتنب ما نهاه عنه، فإنه يتسبب في غضبه، ويجلب على نفسه العقاب ويواجه التعريض والذم، وربما استحق على جريمته العذاب واللعنة.

والقرآن الكزيم غني بأساليب المدح والذم التي يمكننا أن نستخرجها ونحللها لنعرضها بطريقة سهلة تساعد الأجيال على الاستفادة منها ومن هذا الدستور الكامل المتكامل.

أهمية الموضوع

لم يكن القرآن الكريم مصدر التشريع ومنبع النور والهداية وحسب، بل إلى جانب ذلك كان المعين الذي لا ينضب للنحاة والأدباء والبلغاء والشعراء. لقد كان دوماً المنبع الصافي الذي يمدنا بأساليب متنوعة، أثرت لغتنا ومفرداتها وجعلتها في مقدمة لغات العالم.

ويمكننا بتحليل أسلوب من أساليب النحو المستخرجة من كتاب الله وتبسيطه أن نتوصل إلى طريقة نسلكها مع بقية الأساليب ليصبح لدينا منهجٌ بينٌ لتقريب النحو من الأذهان وإخراجه من دائرة الغموض إلى عالم فسيح من البساطة و الجمال يسهل على الأجيال القادمة دخوله والتمتع بمحتوياته.

هذا ويمكننا أن نضيف لأساليب المدح التقليدية المعروفة أساليب أخرى ذات علاقة وثيقة بموضوعنا كالدعاء والقسم والتفضيل.

الأسباب التي دفعت لاختيار هذا الموضوع

نظراً لما رأيت وخبرت من معاناة الإنسان العربي والإنسان المسلم في فهم القرآن الكريم ومعانيه العميقة، واستنباط الحكم والعبر المستقاة من كلمات الله البينات، بعد ممارسة عملية لتعليم اللغة العربية والنحو والصرف مدة ثلاثة عقود ونيف، وكنت دوماً في شوق لتبسيط مادة النحو كمادة عقلية بحته، لأجعلها مقبولة ومستساغة، فقد اخترت أسلوباً نحوياً يمكن تحليله وتبسيطه ومن ثم ركوب زورقه للإبحار في اليم القرآني العظيم لاستخراج درره المكنونة. كما أرجو أن يكون هذا الأسلوب لغزارته نموذجاً يُحتذى لأبحاث أخرى مشابهة ومدخلاً يلجه الباحثون دون تهيب، أقول هذا لأن الكثيرين قد حذروني من الغوص في أعماق هذا المحيط الهادر، تحذيرٌ قابله إصرارٌ من قبلي على خوض هذا الخضم وذلك للأسباب الآتية:

١. رغبتي الجامحة في إثراء اللغة العربية.

٢. تبسيط النحو عن طريق آيات الله البينات.

٣. المساعدة على فهم القرآن للعرب والمسلمين عن طريق تبسيط المعاني بتبسيط النحو والبلاغة.

٤. استنباط أساليب قرآنية يمكن أن تثري القواعد النحوية بطريقة معيارية.

أهداف البحث

لهذا البحث أهداف عديدة مترابطة منها:

١. استخراج أساليب المدح والذم في القرآن الكريم بأفعالها المعروفة في النحو وأخرى تلحق بهما وتدل عليهما إلى جانب دلالاتها الخاصة.

٢. استقراء آيات الله البينات لاستخراج أساليب غير مباشرة وأخرى يمكن أن تلحق بالمدح والذم.

٣. استخراج الصور البلاغية المرافقة لأساليب المدح والذم أو المستترة خلفها.

٤. تبسيط النحو بحيث يصبح مقبولاً لدى الأجيال القادمة بعرضه عرضاً سهلاً وميسوراً.

٥. التوصل إلى منهج واضح لعرض أحد الأساليب النحوية بحيث يصبح نموذجاً يقاس عليه ويحتذى.

٦. شرح بعض الآيات شرحاً شاملاً متكاملاً يشمل التفسير والإعراب واستخراج الصور البلاغية والبيانية ضمن الإطار الذي حددناه لبحثنا.

منهج البحث

إن لهذا البحث منهجاً متشعباً يعتمد الاستقراء والوصف والتحليل.

الدراسات السابقة

حسب علمي إن هذا الموضوع لم يسبق له وأن طرق من قبل كموضوع مستقل متكامل، وقد اكتفى من طرقوه بالإيجاز، واقتصروا في بحثهم على نِعمَ وبِئس وبعض الأفعال التي جرت مجراهما.

قائمة الموضوعات

- تحتوي على :

١. **توطئة** :

- لغة القرآن الكريم.
- النحو في خدمة محكم التنزيل.

٢. **موضوعات البحث** :

- مقدمة البحث.

- **الفصل الأول** : **أساليب المدح في القرآن الكريم ويقسم إلى مباحث ثلاثة:**
- المبحث الأول : استخراج أساليب المدح المباشرة والصريحة في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني : استخراج أساليب المدح غير المباشرة في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث : استقراء أساليب أخرى تلحق بالمدح في القرآن الكريم.

❖ **الفصل الثاني** : **أساليب الذم في القرآن الكريم وتقسم إلى مباحث ثلاث:**

- المبحث الأول : استخراج أساليب الذم المباشرة والصريحة في القرآن الكريم.
- المبحث الثاني : استخراج أساليب الذم غير المباشرة في القرآن الكريم.
- المبحث الثالث : استقراء أساليب أخرى تلحق بالذم في القرآن الكريم.

❖ **الفصل الثالث** : **أساليب المدح بما يشبه الذم في القرآن الكريم:**

- المبحث الأول : أساليب المدح بما يشبه الذم بذكر ألفاظ تدل على الابتلاء مثـــل نبلـو- بلونا- يبلو.
- المبحث الثاني : أساليب المدح بما يشبه الذم بذكر لفظة يقترف.
- المبحث الثالث : أساليب المدح بما يشبه الذم بذكر لفظة امتحن.

❖ **الفصل الرابع** : **أساليب الذم بما يشبه المدح في القرآن الكريم:**

- المبحث الأول : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ البشر، والإنابة، والتمتع.
- المبحث الثاني : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ تدل على استعمال الحواس فـــي غير طاعة الله.
- المبحث الثالث : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر لفظتي الشرح والإيمان.
- المبحث الرابع : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ في غير ما استعملت له عادة: كالعزيز، ونزل، وظل.

٣. **الخاتمـــــة.**

٤. **المصادر والمراجع.**

توطئة

لغة القرآن الكريم

النحو في خدمة لغة التنزيل

لغة القرآن الكريم

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خير الأنام، محمد بن عبد الله وعلى آله وصحبه ومن اتبعه بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

إن كتاب الله العظيم دستور أمة الإسلام، ومنبع نورها وهدايتها. منه تعلم العلماء وعليه درس الأدباء وبه تغنى الشعراء ومنه نهل الدعاة والوعاظ. وعليه انكب الدارسون والباحثون، ينقبون في أحشائه عن مكنوناته ودرره، ويغوص طالبو العلم والمعرفة في أعماقه. هذا ولن يصل إلى قراره عالم أو دارس، مهما حاولت الأجيال جاهدة، لأنه كلام الله العظيم. وإنه وحي الله القادر ووعاء شريعته السمحة نُزل للناس كافة على قلب رسوله الأمين، ليكون هداية للعالمين. كما كان القرآن القاعدة الراسخة التي انطلق منها العربي. فعلوم القرآن والحديث والفقه واللغة، هي من الثمار اليانعة التي جناها الجهابذة من كتاب الله الذي نزل بلسان عربي مبين. وقد اختلفت آراء المستشرقين[1] في اللهجة التي نزل بها القرآن الكريم. قال نولدكه: '' لقد تركبت هذه اللغة من لهجات مختلفة في الجزيرة العربية '' مثل الحجاز ونجد وإقليم الفرات. وقال جويدي: '' إنها ليست لهجة معينة لقبيلة بعينها، إنما هي مزيج من لهجات أهل نجد ومن جاورهم''. وذهب فيشر إلى أنها لهجة معينة، ولكنه لم ينسبها إلى قبيلة بعينها. أما نالينو: '' فقد ذهب إلى أنها لغة قبائل معد التي جمع ملوك كندة كلمتها تحت لواء حكم واحد، قبيل منتصف القرن الخامس الميلادي. وفي رأيه أنها تولدت من إحدى اللهجات النجدية وتهذبت في زمن مملكة كندة، وصارت اللغة الأدبية السائدة بين العرب ''. ويرى هارتمان وفولرز أنها لهجة أعراب نجد واليمامة، وقد أدخل فيها الشعراء تغيرات كثيرة. ومضى فولرز يزعم أن بقية بلاد العرب كانت تتكلم لغة مخالفة. ليصل إلى رأيه الذي يقول إن القرآن الكريم نزل بلغةٍ شعبية مكية، ثم كتب بعد ذلك بالأسلوب الفصيح. وزعم بروكلمان أن الفصحى كانت لغة فنية قائمة فوق اللهجات وإن غذتها جميعاً [2]. وعلى ضوء من رأي نالينو حاول بلاشير أن يقيم حدوداً لهذه اللهجة الأدبية، معتمداً على القبائل التي كان يأخذ عنها اللغويون والنحاة مادتهم وهي '' تميم، وقيس، وأسد، وهذيل، وعُليا هوازن، وبعض العشائر الكنانية والطائية ''، وجعل هذه الحدود محصورة بين خطّين:.. يمتد أحدهما على مسافة بضعة أميال من جنوبي مكة متجهاً شرقاً إلى الخليج العربي في البحرين، ويمتد ثانيهما في الشمال من ضواحي يثرب إلى شمال الحيرة.

---

(١) القافلة/ العدد السابع، المجلد الحادي والأربعين-مديلة الملك عبد العزيز للعلوم والتقنية، الرياض-ديسمبر ١٩٩٢/ يناير ١٩٩٣م /عن كتاب (دراسات في الأدب العربي-العصر الجاهلي) للدكتور شوقي ضيف، راجع في هذه الآراء مقالة جواد علي من معجمات العرب قبل الإسلام في كتاب الثقافة الإسلامية والحياة المعاصرة (نشر مكتبة-النهضة القاهرة).

(٢) تاريخ الأدب العربي لبروكلمان (طبع دار المعارف) ١/٤٢.

وذهب يزعم أن الفصحى مشتقة من الشعر الجاهلي والقرآن معاً، وأن القرآن لا يستند على اللهجة المكية وإنما على لغة هذا الشعر، وهي لغة تولدت من لهجة محلية ارتفعت إلى مرتبة لغة أدبية، ولم يبين لنا هذه اللهجة التي تسامت على أخواتها ولا أسباب تساميها. ومضى يشكك في أن تكون لهجة قريش هي التي حققت لنفسها هذا التسامي [1]. ومن الواضح أن هذه الآراء تعتمد على الفرض والحدس وقد أراد أصحابها أن يناقضوا واقع الحال، وما عرفه أسلافنا حق المعرفة، من أن هذه اللهجة الفصحى إنما هي لهجة قريش التي نزل بها الذكر الحكيم. يقول أبو نصر الفارابي: '' كانت قريش أجود العرب انتقاءً للأفصح من الألفاظ، وأسهلها على اللسان عند النطق، وأحسنها مسموعاً، وأبينها إبانة عما في النفس ''[2]. ويقول أحمد بن فارس نقلاً عن إسماعيل بن أبي عبد الله: '' أجمع علماؤنا بكلام العرب والرواة لأشعارهم والعلماء بلغاتهم وأيامهم، أن قريشاً أفصح العرب ألسنة وأصفاهم لغة، وذلك أن الله جل ثناؤه اختارهم من جميع العرب واصطفاهم واختار منهم نبي الرحمة محمداً ﷺ فجعل قريشاً قُطّان حَرَمِه وجيران بيته الحرام وولاته ''. لهذا فاللهجة القريشية هي لغة التنزيل، لأنها ترعرعت واقترنت بحالة سياسية وروحية وحضارية مستقرة هيأت لها أسباب الشيوع والانتشار، بحيث أصبحت لغة الفكر والشعور للجماعة التي اتخذتها أداة لأدبها، وصاغت بها القبائل العربية في الجزيرة أدعيتهم الدينية وأفكارهم وأحاسيسهم.

ولتَفَوّق لغة قريش أسباب كثيرة تَعيّن عليه:

فقد كانت قريش مهوى أفئدة العرب في الجاهلية، وكان لها عليهم نفوذ واسع، بسبب مركزها الديني الروحي، والاقتصادي المادي، إذ كانت حارسة الكعبة بيت عبادتهم، وكانت قوافلها تجوب أنحاء الجزيرة العربية، وكان العرب يجتمعون إليها في أعيادهم الدينية، وفي أسواقها القريبة والبعيدة. وهذه الأسباب الدينية والاقتصادية أعدت لهجة مكة لتسود اللهجات القبلية في الجاهلية. كما تداخلت فيها أسباب سياسية، إذ كانت القبائل العربية ترى بأعينها هجوم الدول المجاورة على أطرافها : كالروم والفرس بالإضافة إلى هجوم الديانتين المسيحية واليهودية على دينها الوثني، مما جمع قلوب هذه القبائل حول مكة. فتهيأت الظروف للهجة القرشية أن يعلو شأنها في الجاهلية وتسود اللهجات القبلية المختلفة وتصبح هي اللغة الأدبية التي يصوغون بها أدعيتهم وأفكارهم ويترجمون أحاسيسهم . ولا أدل على ذلك من سوق عكاظ التي كانت سوقاً أدبية وتجارية، يتسابق الخطباء على ارتجال خطبهم وينشد الشعراء قوافيهم. وقد قال الرواة من أن العرب كانت تعرض أشعارها على قريش فما قبلته كان مقبولاً وما ردّته كان مردوداً.

---

(١) انظر تاريخ الأدب العربي لبلاشير ٧٧/١.

(٢) المزهر للسيوطي: ٢١١/١.

قدم عليهم علقمة بن عَبَدَة التميمي، فأنشدهم قصيدته: '' هل ما علمت وما استودعت مكتوم '' فقالوا: هذا سمْط الدهر[1]، ثم عاد إليهم في العام المقبل فأنشدهم قصيدته '' طحا بك قلبٌ في الحسان طروب '' فقالوا: هاتان سِمْطا الدهر.

لهذا كله نقول أن لهجة قريش هي الفصحى التي عمّت وسادت في الجاهلية لا في الحجاز ونجد فحسب، بل في كل القبائل العربية شمالاً وغرباً وشرقاً، وفي اليمامة والبحرين، ونزلت إلى الجنوب حيث اقتحمت الأبواب على لغة حِمْيَر واليمن وخاصة في شمالها حيث منازل الأزد وخثعم وهمدان وبني الحارث وبني كعب في نجران. ومما يؤكد ذلك أن الوفود اليمنية التي وفدت على الرسولﷺ لم تجد صعوبة في التفاهم معه، ولم يجد الدعاة أمثال معاذ بن جبل أية صعوبة في نشر الدعوة وتعليمهم الشريعة الإسلامية. أما في الشمال فقد كانت الفصحى معروفة في كل مكان وكان الشعراء يتخذونها لغة لشعرهم، والدلالة القاطعة على ذلك سرعة استجابتهم للقرآن الكريم ودعوته، حيث كان يتغلغل في أعماق نفوسهم بمجرد سماعه. وبما أنه بلغة قريش تحتم أن تكون هي اللغة الأدبية السائدة حينئذ. أمّا ما يردّده اللغويون من أن القرآن نزل على سبع لغات منها خمسٌ بلغة العَجُز من هوازن، (عُليا هوازن) مثل سعد بن بكر بن معاوية وثقيف فذلك إنما هو تفسير للحديث النبوي: '' أُنزل القرآن على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه '' فقد فسر البعض الحروف على أنها اللغة أو اللهجة، ونظروا فوجدوا لهجات العرب ولغاتها كثيرة فاختاروا منها سبعاً هي أفصحها وهي التي كان يرحل إليها اللغويون لجمع مادتهم اللغوية الصحيحة وقد اختلفوا في بعضها. وأعتقد أن الحديث لا يراد به التخصيص بل الترخيص لقبائل العرب أن تقرأه بلهجاتها المختلفة متى جاءت بها الرواية الصحيحة من مد وإمالة وتحريك للحروف وتشديد، تخفيفاً عليهم وتسهيلاً حتى لا يجدوا مشقة وثقلاً في نطق بعض ألفاظه. رُوي عن أبي حاتم السجستاني أنه قال في كتابه '' الكبير في القراءات '': '' قرأ عليّ أعرابيٌّ بالحرم﴿الذين آمنوا وعملوا الصالحات طيبى لهم وحسنُ مآب﴾ فقلت: طوبى، قال : طيبى، فلما طال عليّ قلت: طوطو قال: طي طي ''.

فلم يستطع أن يثني طبعه لأن لهجته القبلية في مثل طوبى مما وزنه فُعْلَى تنطقه طيبى فِعْلَى بكسر الفاء فتنقلب الواو ياءً والضمة في أول الكلمة كسرة. ولم ينفع في الأعرابي لفتُ أبي حاتم ولا تمرينه له على نطق طوبى. ولمثل ذلك تعددت قراءات القرآن الكريم، تخفيفاً للمشقة عليهم في تلاوته. وقرؤوه فعلاً بلهجاتهم المرخّص بها وكان ذلك سبب اختلاف قراءاته التي دوّنها العلماء. وأعتقد أن تفسير الحديث بأن القرآن نزل بسبع لغات معينة هي أفصح لغات العرب هو الذي ضلّل المستشرقين فظنّوا أنه نزل بلغات قبائل نجدية ولم ينزل بلغة قريش، وكأنّهم لم يلاحظوا أن هذه القبائل نفسها التي عينها اللغويون هي أقرب القبائل إلى قريش، ومن هنا جاءت فصاحتها.

---

(١) التي لا يمكن تجاوزها أو ردها.

وقد ذهب الطبري إلى أن لغة قريش نفسها كانت تستوعب الأحرف السبعة التي أشار إليها الحديث النبوي. وليس معقولاً أن يذهب الرسول ﷺ إلى لغاتِ أقوامٍ آخرين ويترك لغة قومه الذين بُعِثَ فيهم. وجاء في الذكر الحكيم: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوۡمِهِۦ﴾[1] فبشهادة القرآن أنه نزل بلغة قريش. وإذا كان المستشرقون يسلمون بأنه نزل بالفصحى مع استثنائنا لفولرز وأضرابه، فإن هذه الفصحى إذن هي لغة قريش عينُها التي لم يكن بها عِوَج من لغات أو لهجات شاذة كالعنعنة أو الكشكشة وكسر أول المضارع. وأعتقد أيضاً أن من الأسباب التي ضلّلت المستشرقين ودفعت بهم بعيداً عن الصواب أنهم وجدوا اللغويين حين أخذوا يجمعون مادتهم في القرن الثاني ''وهو قرن جمع اللغة وتدوينها '' يرحلون إلى قبائل نجدية منحازين عن قريش، وكأنهم نسوا أن الزمن قد تغير ودخل مكة كثير من الأعاجم والموالي المسلمين الذين كثروا كثرةً مُفرطة، ودخل بدخولهم كثير من الشوائب إلى لغتها الفصحى. ومن أجل ذلك رحل اللغويون إلى قبائل نجد التي كانت لا تزال تحتفظ بصفاء لغتها. وقد شاع لهذا السبب أيضاً أن أفصح العرب لعصرهم هم عُليا هوازن وسُفلى تميم وأسد وكنانة وهذيل ويوضح أبو نصر الفارابي السبب في أنهم اقتصروا على تلك القبائل في جمع اللغة فيقول : '' والذين عنهم نُقِلَت العربية وبهم أُقتُدِيَ، وعنهم أُخذ اللسان العربي من بين القبائل العربية وهم قيس وتميم وأسد فإن هؤلاء هم الذين عنهم اكثر ما أُخِذَ ومعظمه وعليهم أُتُكِلَ في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين، ولم يُؤخذ عن غيرهم من سائر قبائلهم. وبالجملة فإنه لم يُؤخذ عن حَضَري قط ولا عن سكان البراري ممن كان يسكن أطراف بلادهم المجاورة لسائر الأمم الذين حولهم، فإنه لم يُؤخذ لا من لخم ولا من جذام لمجاورتهم أهل مصر والقبط، ولا من قُضاعة وغسان وإياد لمجاورتهم أهل الشام، وأكثرهم نصارى يقرؤون بالعبرانية، ولا من تغلب واليمن فإنهم كانوا بالجزيرة مجاورين اليونان، ولا من بكر لمجاورتهم للنبط والفرس، ولا من عبد القيس وأزد وعُمان لأنهم كانوا بالبحرين مخالطين للهند والحبشة، ولا من بني حنيفة وسكان اليمامة، ولا من ثقيف وأهل الطائف لمخالطتهم تجار اليمن المقيمين عندهم، ولا من حاضرة الحجاز لأن الذين نقلوا اللغة صادفوهم حين ابتدأوا ينقلون لغة العرب قد خالطوا غيرهم من الأمم وفسدت ألسنتهم''[2]. فإقبال اللغويين على القبائل النجدية لجمع مادتهم اللغوية، إنما كانوا يتحرون الينابيع التي كانت لا تزال نقية صافية، وليس في عملهم هذا ما يُشكّك في لغة مكة أثناء العصر الجاهلي وفترة نزول القرآن، فقد التمسوا بغيتهم في القبائل المجاورة لقريش مثل كنانة وهذيل وبعض عشائر قيس بحثاً عن اللغة الفصحى السليمة من فساد الألسنة التي دخلت الفصحى بدخول كثير من الأجناس إلى الإسلام واختلاطهم بالعرب الذين أثّروا وتأثّروا. وهو ما دفع بالخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى جمع القرآن الكريم في نسخة واحدة خوفاً عليه من الضياع واللحن والاختلاف.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٤.

(٢) المزهر للسيوطي: ١/٢١١.

وقد وجد العرب والمسلمون في القرآن الكريم القمة في الفصاحة والبلاغة والإبانة. فأولعوا بـه، واحتفوا بشأنه، وأولوه عنايتهم، ولما كانت الرواية والمشافهة نمطاً سلوكياً للعرب فـي حفـظ تراثـهم وأمجادهم القومية فقد كانوا أمة مهيأة لحفظ القرآن في الصدور والتدقيق في ضبطه وتجويده. لذلك كـان القرآن الكريم هو النص العربي الصحيح المتواتر المجمع على تلاوته بالطرق التي وصل إلينا بها فـي الأداء والحركات والسكنات، فلم يتوافر لنص ما توفر للقرآن الكريم من تواتر رواياته وعناية المسلمين بضبطها وتحريرها متناً وسنداً[1]. كما اكتسبت العربية تشريفاً وتعظيماً، وأهمية قصوى، ومكانة سـامية بين لغات البشر بسبب نزول القرآن الكريم بها، لكونه كلام الله ولا تجوز الصلاة إلاّ بقراءة آياته. وقـد أجمع المسلمون على أن القرآن بنصه العربي المنزل المحفوظ حتى يومنا هذا هو وحده القـرآن، وأن ترجمته إلى لغة أخرى لا تسمى قرآناً، وليس لها أحكامه، فلا تكون مصدراً للاستنباط ولا يتعبد بها، بل لا يجوز ترجمته، ولكن ترجمة معانيه بحيث تعد الترجمة تفسيراً له باللغة الأجنبية[2]. وبذلك أصبحـت معرفة اللغة العربية لغة القرآن واجباً، لأنها من الدين، ومعرفتها فرض واجب، فإن فهم الكتاب والسـنة فرض لا يفهم إلاّ بالعربية، وما لا يتم الواجب إلاّ به فهو واجب[3]. وأخرج البيهقي من حديـث أبـي هريرة ''أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه''[4] قال الإمام السيوطي: المـراد بإعرابـه معرفـة معـاني الألفاظ، وليس المراد به الإعراب المصطلح عليه عند النحاة، وهو ما يقابل اللحن، لأن القراءة مع فقـده ليست قراءة ولا ثواب فيها[5]. ومن أثر القرآن على العربية وفضله عليها أنه حد من التوسع اللـهجي وجمع العرب على الفصحى، فقد كان الإختلاف بين لهجات العرب يبدو واضحاً بين القبائل ولا سـيما المتباعدة. وقد ذكر الباحثون أن الخلاف بين العدنانية في الحجاز والقحطانية في اليمن كـان عظيمـاً وكانوا يختلفون في المفردات والتراكيب. وقد حد القرآن من هذا الوجود اللهجي، فأصبحت كل اللهجات تتجه إلى أن تنضوي في كنف القرآن الكريم، وكل قبيلة تجعل غايتها أن تصطنع لغة القرآن الكريم وأن تتمثلها في خطابها. ولا يعني هذا أن القرآن أبطل اللهجات الأخرى بل أن العلماء والمفسـرين وأئمـة اللغة مجمعون على أن غير لغة قريش موجودة في جميع القراءات. ولقد جاءت لغة القرآن الكريم على وجه يستطيع العرب أن يقرؤوه بلحونهم وإن اختلفت وتناقضت، ثم بقي مع ذلك على فصاحته وخلوصه لأن هذه الفصاحة باقية فيه في وضعه التركيبي والائتلافي، وبذلك استدرج العرب إلى الإجماع علـى منطق واحد ليكونوا أمة واحدة كما حدث بعد ذلك. فجرت لغة القرآن على أحرف مختلفة فـي منطـق الكلام: كتحقيق الهمز وتسهيله، والمد والقصر، والفتح والإمالة وما بينهما،

---

(١) أصول النحو لسعيد الأفغاني صفحة ٢٥.

(٢) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١٤٣/١، الفصحى لغة القرآن لأنور الجندي ص٤٣.

(٣) الفصحى لغة القرآن لأنور الجندي صفحة ٥٧.

(٤) أخرجه الحاكم في المستدرك (٤٢٩/٢) قال صحيح الإسناد ووافقه الذهبي.

(٥) الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين السيوطي ١٤٩/١.

والإظهار والإدغام، وضم الهاء وكسرها ''عليهُم'' و''إليهِم'' وإلحاق الواو فيهما، وفي لفظتي ''منهم وعنهم'' وإلحاق الياء في ''إليه'' و''عليه'' و''فيه'' فكان أهل كل لحن يقرؤونه بلحنهم[1]: فالهذلي يقرأ ''عتى حين'' ويريد ''حتى حين'' والأسدي يقرأ ''تِعلمون'' و''تِعلم'' و''تِسود وجوه'' و''ألم إعهد'' بكسر حرف المضارعة فيها جميعاً، والتميمي يهمز والقرشي لا يهمز مثل ''سأل يسأل سؤالاً'' عند التميميين يقابل ''سال يسلُ سوالاً'' عند الحجازيين. ولا ننسى الكسكسة والكشكشة إذ كان بعض بني تميم وبعض بني أسد وبعض بني ربيعة يلحقون شيئاً بضمير المخاطبة عند الوقف، وفي الوصل أحياناً. ومنهم من يحذف الكاف ويضع مكانها الشين أو السين. ومنها العنعنة في تميم وبعض قيس وأسد إذ يجعلون الهمزة عينا فيقولون ''استعدى'' بدلا من ''استأدى''، ويقال أن بعض بني طيء كان يقول ''دأني'' بدل ''دعني''. وتقرب من العنعنة الفحفحة، وكانت في هذيل حيث تبدل الحاء عينا، وكذلك بني ثقيف فيقولون في حتى عتى. وهذه اللهجات كانت تشيع في بعض القبائل الشمالية المضرية، ومثلها التضجع وهو الإمالة، إذ كانت تميم وقيس وأسد تميل إلى إمالة الألف، وكان الحجازيون ينطقونها بتفخيم فلا يميلون. وهناك كذلك التلتلة في قضاعة وبهراء بكسر تاء المضارعة فيقولون ''تعلمون وتكتبون وتنجحون'' ومن ذلك العجعجة في قضاعة إذ يجعلون الياء المشددة جيما فيقولون في ''تميمي'' ''تميمج''. وقد نسب اللغويون إلى قبائل مضرية وأخرى قحطانية ما سموه بالاستنطاء إذ كانت قبائل هذيل وقيس والأزد والأنصار في يثرب تبدل العين نونا فيقولون في ''أعطى'' ''أنطى''. وبدافع من البحث عن تأصيل ألفاظ القرآن الكريم ''البحث عن أصولها'' اهتموا بالشعر واحتفوا به لأنه ديوان العرب. كما انبرت طائفة منهم تدرس وجوه الكلام البلاغية فوجدوا فيه التشبيه والكناية، والتقديم والتأخير، والفصل والوصل، والإيجاز والإطناب، والالتفات واللف والنشر والطباق والمقابلة وما إليها. كما أقبل المسلمون يقتبسون منه فيضمنون شعرهم أو نثرهم بعض القرآن الكريم. كما أخذ شأن الخط العربي بالازدياد منذ ظهور الإسلام وصار انتشار الخط العربي مصاحبا لانتشار اللغة العربية بل زاد عليها حين صار يكتب به لغات أخرى غير العربية مثل الفارسية والتركية والأردية. ولعل الاهتمام بالنحو كان في مقدمة الاهتمامات التي عني بها علماء اللغة عندما اتسعت دائرة النطقين بالعربية باتساع الفتح الإسلامي ودخول غير العرب في الإسلام ومخالطتهم للعرب. ولعل كثيرا من جمهرة الدارسين في النحو الذين ذهبوا إلى ترداد المقولة القائلة: أن النحو العربي قد وضع بسبب رد غائلة اللحن التي عرضت للألسنة وتجاوزت هذا الحد، فكان من ذلك لحن يعرض للقراء في كلام الله. ومن قائل أن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه دعا أبو الأسود الدؤلي وقال بعد أن بلغه خبر هذه الجائحة التي عرضت لكلام الله وللعربية عامة: ''أن اكتب الكلمة ثلاث: اسم وفعل وحرف''.

---

(١) إعجاز القرآن والبلاغة النبوية-لمصطفى صادق الرافعي-صفحة ٦٤، ٦٥.

ومن قائل شيئا آخر يوصله بزياد بن أبيه، ومؤدى هذه الحكاية على اختلافها أن النحو وضع ليرد هذا اللحن الوافد، الذي كان بسبب مخالطة العرب للأعاجم في أوائل العصر الإسلامي، ففسدت سلائقها العربية. والحقيقة أن اللحن عرف والعربية في جاهليتها. والمأثور منه شيء اعتادوه، وربما أدت إليه لغة الشعر. والشاعر في كل عصر ممتحن بهذا الضرب من فنون القول وما يفرض عليه أمر الوزن وأمر القافية. مثل هذا اللحن ما أثر في دالية النابغة الذبياني المشهورة في قوله:

زعم الغراب بأن رحلتنا غدا وبذلك خبرنا الغراب الأسود

وكان أحق أن يقول الغراب الأسود بضم الدال. وقد وقفنا على أشياء أخرى مشابهة تحمل على هذا في العصر الإسلامي الأول فقد ذكر المعنيون بتسجيل أوائل اللحن في الإسلام أن الرسول صلوات الله وسلامه عليه، قد سمع شيئا من هذا فقال : '' أرشدوا أخاكم فقد ضل''. ويخلص السامرائي في كتابه أساليب القرآن إلى القول[1]: '' أن النحو نشأ بسبب الدرس القرآني فكما ولدت العناية بالقرآن طائفة العلوم التي تدعى '' علوم العربية '' والعلوم الإسلامية الأخرى كذلك جاء علم النحو شيئا من عدة هذه العلوم المعروفة''. وإذا كان لي أن أقف على مسألة ''اللحن'' فلي أن أقول أن شيوع ''اللحن'' مما ساعد على أن يجد الجادون فيبتكروا ويستقروا وينظروا فيحرروا البدايات النحوية التي دفعت الدارسين في ''علوم القرآن'' إلى أن يتوسعوا فيها فتكون علما كسائر العلوم التي جاء بها الدرس القرآني. ثم أن هذا الدرس القرآني الذي أوجد طائفة العلوم الإسلامية لأمر حضاري في حد ذاته، ذلك أن التقدم الحضاري للمجتمع العربي القديم هو الذي حفز الدارسين إلى الوصول إلى هذه العلوم. واستطرد السامرائي يقول: ''إن الاقتصار على العلم النحوي في طائفة من المسائل قد حمل الضيم على جملة من أساليب القرآن، ذلك أن مسائل كثيرة كالدعاء والقسم والتوكيد والتعجب والمدح والذم والتفضيل معوزة، وأن مجال القول لينفسح فيها فتأتي بما لم يذكره النحاة وإن ما قالوه غير معين على فهمها ''[2].

لذلك وبمعونة من أستاذي ومعلمي الدكتور عبد الله بريمة وجدت لزاما علي أن أدلو بدلوي وأشمر عن ساعدي بجهد متواضع وخوف لا حصر له، لاستخراج أساليب المدح والذم في القرآن العظيم وآيه الكريم على قدر ما يفتح الله لي وييسر من سبل الفكر والبحث مستعينا به سبحانه على ما عزمت عليه وشددت الرحال إليه لقضائه، اتكئ على ما أولاني الله من عزيمة وأتوكل عليه سبحانه لا اله إلا هو محتسبا ما أقوم به لوجهه الكريم.

---

(١) من أساليب القرآن-د.ابراهيم السامرائي-كلية الآداب-الجامعة الأردنية: ص٩ -مؤسسة الرسالة-دار الفرقان-الطبعة الثانية-١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) من أساليب القرآن-د.إبراهيم السامرائي-الجامعة الأردنية-كلية الأدب-صفحة ١٠.

النحو في خدمة لغة التنزيل

لقد كانت اللغة العربية منذ نشأتها عزيزة على أهلها، محببة إليهم، مفضلة لديهم، أثيرة عندهم، فهي دائماً محل عنايتهم ورعايتهم، وهي أداة فعالة من أدوات تفاخرهم، وكان المتفوق فيها موضع التقدير، ومحل التكريم والتعظيم، وتشهد بذلك المعلقات والأسواق. ولقد أكرم الله هذه اللغة بتنزيل القرآن الكريم بها، فدعم مكانتها، وزادها رفعة وعزة، وأصبحت هي اللغة الأولى لجميع المسلمين، لأنها لغة الكتاب المبين، ولأنها أيضاً من الأدلة الواضحة على إعجاز القرآن الكريم.

جاء الإسلام وأظهره الله على سائر الأديان، ليدخل الناس فيه أفواجاً، وليجتمع تحت ظلاله أصحاب اللغات المختلفة، والألسنة المتعددة، والأجناس المتفرقة، وحدث الاختلاط والامتزاج والتلاحم، والتزاوج بين العرب وغيرهم ومعهم لغاتهم، وكان ذلك نذيراً بدخول اللحن في كلام العرب. قال أبو الطيب[1] '' واعلم أن أول ما اختل من كلام العرب وأحوج إلى التعلم الإعراب لأن اللحن ظهر في كلام الموالي والمتعربين، من عهد النبيﷺ ''. كذلك قال أبو بكر رضي الله عنه: '' لأن أقرأ فأُسْقِط أحَبُّ إليّ من أن أقرأ فألحن''[2]. ورُوي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر على قوم يسيئون الرمي فَقَرَّعهم ولامهم على إساءتهم الرمي فقالوا: '' إنّا قومٌ متعلمين '' بدل متعلمون فأعرض مُغْضَباً وقال:'' والله لخطؤكم في لسانكم أشدّ من خطئكم في رميكم ''[3]. كما رُوِيَ أن كاتباً لأبي موسى الأشعري كتب إلى عمرَ بنِ الخطابِ رضي الله عنه خطاباً قال فيه: '' من أبو موسى الأشعري إلى عمر '' فكتب عمر لأبي موسى قائلاً: '' أما بعد فاضرب كاتبك سوطاً واحداً ''[4]. وقال ابن قتيبة: سمع أعرابيٌّ : أشهد أن محمداً رسولَ الله – بنصب رسول – فقال ويحك يفعل ماذا ؟!! أي بمعنى أن العبارة لم تكتمل فأكمل[5]. وإذا كانت هذه الأخطاء وغيرها تعتبر سبباً من أسباب التفكير في وضع علم النحو، فإن السبب المباشر لوضع أسس هذا العلم والتبحر فيه هو اللحن في القرآن الكريم. قال أبو البركات الأنباري[6]: '' إن سبب وضع عليّ رضي الله عنه لهذا العلم، أنه سمع أعرابياً يقرأ: ﴿ لَآ يَأۡكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلۡخَٰطِـُٔونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[7] فوضع النحو''.

---

(١) مراتب اللحويين لأبي الطيب اللغوي- طبع مكتبة نهضة مصر – ص٦.

(٢) الخصائص لابن جني–طبعة دار الكتب المصرية–٨/٢، (مراتب النحويين، ونشأة النحو، والمزهر) للسيوطي.

(٣) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٨٢/١.

(٤) معجم الأدباء لياقوت الحموي ٨٢/١.

(٥) عيون الأخبار لإبن قتيبة–طبعة دار الكتب المصرية–القاهرة–١٥٨/٢.

(٦) مقدمة نزهة الألبا في طبقات الأدباء لعبد الرحمن محمد الأنباري، نزهة الألبا في طبقات الأدباء–كمال الدين الأنباري–تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي–بغداد–١٩٥٩.

(٧) الحاقة آية ٣٧.

ويُروى أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، هو الذي أمر بوضع علم النحو، لأنه عَلِمَ بأن أعرابياً يقرأ: '' إن الله بريءٌ من المشركين ورسولِه '' بكسر اللام في رسوله فقال أعرابي: أوَقد برئ الله من رسوله؟!! إن يكن برئ من رسوله فأنا أبرأ منه!! فدعاه عمر وقال له: أتَبرأ من رسول الله؟!! فحكى الأعرابيُّ ما سمع من الرجل، فصحح عمر له الآية وقرأها برفع اللام في رسوله، فقال الأعرابي على الفور: ''وأنا والله أبرأ ممن برئ الله ورسوله منه''. ثم أمر عمر أبا الأسود الدؤلي بأن يضع علم النحو. وقيل أيضاً أن الذي أمر بوضع علم النحو هو زياد بن أبيه[1] والي البصرة، لأنه جاءه رجل فقال: أصلح الله الأمير، توفي أبانا ؟!! وترك بنون !! فتعجب زياد وقال: توفي أبانا وترك بنون ؟!! ثم قال: احضروا لي أبا الأسود الدؤلي، فلما جاءه طلب منه أن يضع علم النحو، فتردد أبو الأسود في إجابته إلى ما طلب ... فوضع زياد خطة ليُجبر أبا الأسود على وضع قواعد النحو، حيث أجلس في طريقه من اشتهر باللحن في القرآن الكريم ليسمعه أبو الأسود، فلما سمعه استعظم ذلك وبدأ في وضع قواعد النحو، واستهل هذا العمل العظيم بضبط القرآن الكريم بالنقط، واستعمل مداداً يخالف المداد الذي كتبت به الآيات واختار لمساعدته كاتباً فطناً من بني عبد القيس، وقال له: إذا رأيتني قد فتحت شفتي فضع نقطة فوق الحرف، وإذا ضممت شفتي فضع نقطة إلى جانبي الحرف، وإذا كسرت شفتي فضع نقطة تحت الحرف، وإذا كان في الكلمة غُنَّة-أي تنوين-فاجعل مكان النقطة نقطتين، فكانت هذه النقاط أساساً لعلامات الإعراب: الفتحة والضمة والكسرة. وهكذا نجد أن النحو قد وُضع أساساً لخدمة القرآن الكريم. وشاءت إرادة الله تعالى أن يكون لوضع القواعد النحوية دورُها في الحفاظ على كتابه من اللحن أو التحريف لأنه كلامه المُنزّه المشمول برعايته وعنايته سبحانه. قال تعالى:

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[2]

وقال: ﴿وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾[3].

وإذا كان النحو قد وضع في الأصل للحفاظ على اللغة العربية وعلى كتاب الله من الخطأ واللحن أو التحريف، فإن كتاب الله قد حافظ على اللغة العربية، ودعم قواعدها وأمدها بالأدلة والحجج والشواهد والأسانيد والأصول النحوية الثابتة التي لا تقبل الجدل. فلقد عَرَّف ابن السراج علمَ النحو في كتابه (الأصول) بأنه '' علم استخرجه المتقدمون من استقراء كلام العرب ''. وقيل إن أبا الأسود الدؤلي جاء شاكياً لعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه لحناً سمعه من ابنته وهو ''ما أحسنُ السماء'' وهي لم تستفهم بل كانت متعجبة. فوضع له بعض أبواب النحو وقال له ''انحُ هذا النحو'' فسمي النحو بهذا الاسم[4]. ولقد بنى النحويون قواعدهم على عدة أصول أهمها: السماع، والقياس والإجماع،

---

(١) طبقات النحويين واللغويين للزبيدي النحوي تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم-القاهرة-١٩٥٤.

(٢) الحجر آية ٩.

(٣) الصافات آية ٤١، ٤٢ .

(٤) المدارس النحوية-لشوقي ضيف-ص١٥-دار المعارف بمصر-١٩٦٨م.

والسماع أقوى هذه الأصول النحوية وقال عنه السيوطي[1]: ''وأعني به ما ثبت من كلام من يوثق بفصاحته، فشمل كلام الله تعالى وهو القرآن الكريم، وكلام نبيه ﷺ، وكلام العرب، قبل بعثته، وفي زمنه وبعده، إلى أن فسدت الألسنة بكثرة المولّدين، نظماً ونثراً، عن مسلم أو كافر فهذه ثلاثة أنواع لا بد في كل منها من الثبوت ''. ثم قال: '' أما القرآن الكريم فكلما ورد أنه قُرِئَ به جاز الاحتجاج به في العربية، سواء كان متواتراً، أم آحاداً، أم شاذاً، وقد أطبق الناس على الاحتجاج بالقراءات الشاذة في العربية، إذا لم تخالف قياساً معروفاً بل لو خالفته يحتج بها في مثل ذلك الحرف بعينه وإن لم يجز القياس عليه ''. ثم قال السيوطي أيضاً: ''وما ذكرته من الاحتجاج بالقراءة الشاذة لا أعلم فيه خلافاً بين النحاة ومن ثم احتج على جواز إدْخال لام الأمر على الفعل المضارع المبدوء بتاء الخطاب بقراءة ﴿فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا۟﴾[2] كما احتج على إدخال لام الأمر أيضاً على الفعل المضارع المبدوء بالنون بالقراءة المتواترة ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾[3]''. والأمثلة على احتجاج النحويين واستشهادهم بالقرآن الكريم أكثر من أن تُحصى ومن ذلك قولهم في باب العطف إن الواو هي لمطلق الجمع فهي لا تفيد الترتيب أو التعقيب. واستدلوا بقوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾[4] كذلك قالوا أن ثم تفيد الترتيب والتعقيب واستشهدوا بقوله تعالى﴿ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾[5]. وإذا اختلف النحاة في مسألة من المسائل أو رأي من الآراء كان الترجيح لمن اتفق رأيه مع إحدى القراءات القرآنية. فلقد رجح ابن مالك في ألفيته رأي الكوفيين ومعهم الأخفش ويونس بن حبيب، حين أجازوا العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الخافض، واستشهد لترجيحه بقراءة حمزة:
﴿وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ﴾[6].

وعود خافض لدى عطفٍ على ضمير خفضٍ لازماً قد جعلا
وليس عندي لازماً إذ قد أتي في النظم والنثر الصحيح مثبتاً

ولقد استشهد الأشموني[7] على صحة كلام ابن مالك بالآية السابقة وقال إنها قراءة ابن عباس والحسن ثم استدل بآية أخرى وهي قوله تعالى: ﴿وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾[8] وعلق عليها بقوله:'' إذ ليس العطف على السبيل لأنه صلة المصدر، وقد عطف عليه كفر، ولا يعطف على المصدر حتى تكتمل معمولاته[9] لئلا يلزم الفصل بين المصدر ومعمولاته بأجنبي''.

(١) الاقتراح ص٤٨.
(٢) سورة يونس آية ٥٨، الأشموني ٣/٤.
(٣) سورة العنكبوت آية ١٢.
(٤) سورة الشورى آية ٣.
(٥) سورة عبس آية ٢٢.
(٦) سورة النساء آية ١.
(٧) شرح الأشموني ٣/١١٤-١١٥.
(٨) سورة البقرة آية ٢١٧.
(٩) نشأة النحو ١١٤ وشرح ابن عقيل: ٨٢/٣.

كذلك أيد ابن مالك رأي الكوفيين في صحة الفصل بين المتضايفين في السعة بمنصوب المضاف-مفعولاً به، أو ظرفاً، أو بالقسم-ونكتفي بما استشهد به على صحة جواز الفصل (بين المضاف والمضاف إليه) بالمفعول به حيث احتج بقراءة ابن عامر:

﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ﴾[1] فقد فصل بين المضاف والمضاف إليه (قتلَ شركائهم) بالمفعول به (أولادَهم) وقال في ألفيته:

فصلُ مضاف شبهُ فعلٍ ما نصب
مفعولاً أو ظرفاً أجز ولم يعب
فصل يمين واضطراراً وُجِدَا
بأجنبي أو بنعت أو نِدَا

وهكذا نجد القرآن الكريم حصناً للغة وموئلاً للاستشهاد والاستدلال ودعامة قوية للرأي السديد، ولقد اعتمد عليه النحويون في بناء قواعدهم، لأنه لا يتطرق إليه شك في أصالته العربية فهو قد ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ﴿١٩٥﴾﴾[2] ولا يمكن للبشر أن يرقوا لبلاغته وفصاحته، قال تعالى :

﴿قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾﴾[3]، وصدق الله العظيم الذي سَخّر من عباده المؤمنين أناساً يتفانون لخدمة هذا الدين والقرآن الكريم ووعائه الأمين لغة البيان والتنزيل.

وهكذا نجد أن أسباب وضع النحو متعددة[4]:

(١) حفظ القرآن الكريم من اللحن الذي دخل العربية بدخول كثير من الأعاجم في الإسلام واختلاطهم بالعرب وتأثير لغاتهم على العربية.

(٢) تأثر العرب المحاربين بلهجات الأمصار التي يصلون إليها، وكذلك تأثرهم بلغات أمهاتهم الأجنبيات.

(٣) حفظ اللغة العربية بوضع القواعد النحوية التي تحكمها خوفاً عليها من الذوبان في اللغات الأخرى.

(٤) حاجة الشعوب الأخرى غير العربية لقواعد تسير عليها وتتمثل بها تمثلاً مستقيماً لتتقن النطق بلغة القرآن الكريم.

---

(١) سورة الأنعام آية ١٣٧.

(٢) سورة الشعراء آية رقم ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥.

(٣) سورة البقرة آية ٨٨ مدنية.

(٤) المدارس النحوية لشوقي ضيف ص١١، ١٢.

موضوعات البحث

مقدمة البحث

الفصل الأول: أساليب المدح في القرآن الكريم

الفصل الثاني: أساليب الذم في القرآن الكريم

الفصل الثالث: أساليب المدح بما يشبه الذم في القرآن الكريم

الفصل الرابع: أساليب الذم بما يشبه المدح في القرآن الكريم

مقدمة البحث

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على رسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن اتبعهم بإحسان إلى يوم الدين وبعد :

إن المكانة العظيمة والفريدة التي يتبوأها القرآن الكريم عند أمةِ الإسلام، دفعت بالمئات لا بل بالآلاف من أبناء هذه الأمة المؤمنة إلى كتابهم المقدس يستقرئون آياته للوقوف على عِبَره، و الحكم المستقاة منها، للعبور من بوابة الفهم لنصوصه إلى الأحكام المستترة وراء كلماته.

إن استخراج الأساليب النحوية المتعددة المتنوعة من قلب آيات التنزيل تساعد على فهم مدلولاتها العميقة والأهداف المقصودة من وجود هذه الأساليب بهذا الترتيب المحكم والدقيق. لقد اشتملت اللغة على كثير من الألفاظ والأساليب التي تدل على المدح والذم، بعضها يؤدي معناه بلا قرينة، وبعضها الآخر لا يؤدي هذا المعنى إلا بوجود قرينة، تساعد على فهم المراد. وهذا النوع الأخير هو ما يسميه البلاغيون، الأساليب التي تخرج عن معناها الحقيقي إلى معانٍ أخرى بلاغية، وذلك كالاستفهام، والتعجب والنفي والقسم والتوكيد والتفضيل، وغيرها من الأساليب التي تدل - بجانب معناها الخاص -على معنى المدح أو الذم لوجود قرينة إما لفظية أو معنوية. أما النوع الأول فهي الألفاظ التي تدل صراحة على المدح أو الذم. ومن هذا النوع: '' نِعْمَ ''و'' بِئْسَ '' وما جرى مجراها من الألفاظ في الدلالة على المدح العام أو الذم العام. كما سننزلق إلى آيات أُريد لها أن تكون مدحاً أو ذماً في مدلولاتها بصورة مباشرة، أو غير مباشرة أو أريد لها أن تفهم من السياق حتى يكون بحثنا شاملاً و دقيقاً في الوصول إلى الأهداف المبتغاة منه. وبحثنا يقوم على عرض الآيات القرآنية التي وردت فيها هذه الألفاظ أو أشباهها التي تدل على المدح و الذم. ولن نكتفي بهذه الألفاظ بل سنتطرق إلى الأفعال التي تجري مجرى نِعْمَ وبِئْسَ في القرآن العظيم (كطاب، حَسُنَ، وكَبُرَ وساء وحبط) ثم ننتقل إلى الآيات التي لا تحتوي على هذه الأفعال بل تشتمل على المقصود تلميحاً نستقرئها ونستخرج منها ما يدل على المدح والذم وأشباههما وما في معناهما، وكل ما يخدم هذا البحث. لقد ذكر النحاة أنه من الممكن أن يدل الفعل على معناه الخاص مع الزيادة في الدلالة على معنى عام هو المدح أو الذم أيضاً. فالدعاء مثلاً جاء للدلالة على المدح أو الذم في مواضع كثيرة من لغة التنزيل مثل قوله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ﴿٢٩﴾﴾[1] وطُوبى فُعلى من الطيب. وقد ذهب سيبويه بالآية مذهب الدعاء ولها دلالة للمدح أيضاً. ويجري كذلك على ما يأتي من آيات بينات قال تعالى: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ﴾[2].

---

(١) سورة الرعد آية ٢٩.

(٢) سورة الرعد آية ٢٤.

وقوله سبحانه في سورة الصافات: ﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾﴾[1] وبالمقابل هناك آيات تدل على الذم بالإضافة إلى دلالتها على الدعاء كما جاء في قوله تعالى: ﴿رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَى أَمْوَالِهِمْ﴾[2] وقوله سبحانه: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿فَتَعْسًا لَهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾﴾[4] وقوله عز من قائل: ﴿قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾﴾[5] آيات جاءت بالدعاء على الكافرين بالعمى والتعاسة والضلال. وهي تدل على الذم أيضاً لما فيها من إبراز لمثالب المذمومين والتنبيه إلى فواحشهم ومنكراتهم ويستطيع المتمرس الحصيف أن يتبين الدلالات الأخرى في الآية لمجرد سماعها وأخص بالذكر دلالة الذم فيها. وبالقياس فإن هذا القول يجري على التوكيد والتعجب والتفضيل والقسم. إن هذه الأساليب لا يمكن أن تنال حقها من الفهم والاستيعاب إن كنا اقتصرنا على تناولها على نحو ما عَرَض لها النُّحاة الأقدمون أو نَنْظُر إليها من الزاوية الإعرابية فقط. فهي في محكم التنزيل وبقوة كلماته المضيئات تتنوع في دلالاتها وتؤدي أغراضا عدة : فالقسم مثلاً وفي مواضع شتى من محكم التنزيل يأتي لتوكيد الفعل مثل: ﴿وَتَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾[6] و ﴿تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنْتُمْ تَفْتَرُونَ ﴿٥٦﴾﴾[7]. إن هاتين الآيتين لو أمعنا النظر فيهما لرأينا انهما تعبران عن غضب إبراهيم عليه السلام من جهل قومه وخوفه عليهم من الضلالة والضياع وإصراره بالقسم والتوكيد على تخليصهم من هذه المنكرات وهذا الشرك المشين، بالإضافة إلى ذم الأصنام والتعبد لها والخشوع والخضوع بين يديها، وهي الجماد الذي لا يضر ولا ينفع. دلالات عديدة توحي بها الآية الكريمة وأنت تنظر إلى كلماتها وحروفها، ثم تنطلق بعيداً في آفاق التنزيل تجدف في بحره الهادئ الذي يوحي لك بمعانٍ غزيرة، ودلالات متنوعة، وتقرأ بين ثنايا كلماته المضيئة دلالات الذم إلى جانب التوكيد والقسم. أما الآية (٥٦) من سورة النحل فإنها تطل عليك بالتهديد والوعيد بصفة خاصة إلى جانب القسم والتوكيد، أما الذم فيخرج من ثنايا الافتراءات والأكاذيب التي اختلقها هؤلاء الفاسقون والضلالات التي نشروها. وتسرح بعيون أفكارك إلى يوم الحساب حيث يسأل المدلسون عما توهموه وروجوا له وهم يقفون أذلاء مذمومين بين يدي المنتقم الجبار والرعب يمزق أحشاءهم ويَهُدّ الخوفَ كيانهم. ولا تستطيع أن تتكر ما لهذه الآية من دلالات الذم والتقبيح لمثل هذه الأعمال المنكرة بالإضافة إلى دلالاتها المعروفة. هكذا أراد الله سبحانه لهذا الكتاب العظيم أن يكون سراجاً منيراً يضيء للعالمين دروب الاستقامة ويبتعد بهم عن كل ما ينقص إنسانيتهم.

---

(١) سورة الصافات آية ١٨١، ١٨٢.

(٢) سورة يونس آية ٨٨.

(٣) سورة يس آية ٦٦، أساليب القرآن-إبراهيم السامرائي-ص٥٥.

(٤) سورة محمد آية ٨، أساليب القرآن-إبراهيم السامرائي-ص٥٥.

(٥) سورة المنافقون آية ٤، أساليب القرآن-إبراهيم السامرائي-ص٢٤.

(٦) سورة الأنبياء آية ٥٧، أساليب القرآن-إبراهيم السامرائي-ص٥٥.

(٧) سورة النحل آية ٥٦، أساليب القرآن-إبراهيم السامرائي-ص٥٥.

ينير عقولهم ويثبت خطى عباده المؤمنين على الصراط الذي لا عوج فيه، ويخترق بآياته الكريمة حجب ظلام العقول والأفهام ويفتح عيون الفكر على ما أراد لهذه البشرية من هداية ورشاد، لينال الإنسان المؤمن سعادة الدارين ويسود على هذه الأرض عزيزاً كريماً، وينهل من منابع العلم الخالدة دون إرهاق، وبكلمات سهلة معدودة من قبل الديّان تنغرس في أعماق النفس البشرية، فيهتدي بها إلى رب كل شيء، يحمده على نعمائه، ويتجه إلى خالقه بقلبه وجوارحه، إنساناً نقياً محباً للخير والصلاح، وينأى بنفسه عن الضلالة والغواية وما يؤدي إليهما. أما الدعاء فسنَعْرض له لغة وأسلوباً، فهو في حقيقته عباده. قال تعالى: ﴿ٱدْعُونِيٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾[1] وقوله:﴿أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾[2] وقد بلغت العربية في أسلوب الدعاء مبلغاً قل أن نقف على نظيره في سائر اللغات القديمة. فالدعاء ينصرف للخير كما ينصرف للشر، وقد يدرك هذا أحياناً باستعمال الأداتين '' اللام '' في الخير، و'' على '' في الشر فيقال : ادعو لك، إن كنت فاضلاً محسناً، وأدعو عليك إن كنت جاحداً مفسداً، فأقول في مدح الرسول '' ﷺ '' أي التصلية والتسليم والرحمة فنقول: '' الصلاة والسلام على نبينا محمد '' كما نمدح محسناً : بلغت مرادك، ووفقك الله ولقيت خيراً، ونقول في ذم الكافرين '' قاتلهم الله ''. أو نذم مسيئاً بالدعاء عليه فنقول: عدمت خيراً ولقيت شراً، وقاتلك الله، ولعنك الله. كما سنتطرق إلى الآيات التي وردت في القرآن بقصد المدح المباشر كقوله سبحانه:
﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ۝٤﴾[3] وما يشبهها من آيات مع التحليل والتفسير وما ورد فيها من آراء نحوية وقراءات وصور بلاغية قدر المستطاع وحسب ما يتطلبه المقام. وكذلك الذم المباشر مثل قوله سبحانه: ﴿مَّلْعُونِينَ ۖ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا﴾[4] وما جرى مجراها ولن نتوقف بل سنتحول إلى أساليب المدح التي وردت بطريقة غير مباشرة مثل قوله تعالى:
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[5] فهذه الآية مدح غير مباشر للرسول ﷺ الذي يَعِدُهُ الله سبحانه بألا يعذب قومه وهو بين ظهرانيهم مهما بلغ طغيانهم وعَتُوُّهم وصَدُّهُم عن ذكر ربهم تقديراً له ولمنزلته العظيمة عند ربه سبحانه. بالإضافة إلى الذم غير المباشر في الآيات التي سنعرض لها قدر الاستطاعة مبيّنين الحِكَم التي تطل من ثناياها وأساليب التهديد والوعيد والتعريض كقوله سبحانه في سورة التوبة: ﴿لَوْ خَرَجُوا۟ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا۟ خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ ٱلْفِتْنَةَ﴾[6] كما أننا سنتحول إلى أبعاد أكثر عمقاً.

---

(١) سورة غافر آية ٦٠.
(٢) سورة البقرة آية ١٨٦.
(٣) سورة القلم آية ٤.
(٤) سورة الأحزاب آية ٦١.
(٥) سورة الأنفال آية ٣٣.
(٦) سورة التوبة آية ٤٧.

ونستقرئ الآيات العظيمة لنستخرج ما تخللها من أساليب أخرى للمدح والذم، ففي الذم مثلاً قوله تعالى في سورة التوبة :﴿فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾﴾[1] لقد أراد الله ذمهم بأنهم إلى جانب ضلالاتهم، فهم المعتمة عقولهم، المقفلة أذهانهم، يلقون بأيديهم إلى التهلكة، ولا يدركون مصالح أنفسهم، إنهم ظالمو أنفسهم، غير حريصين على خواتيم أعمالهم، هو ذم جاء بطرف خفي وهو ما أطلقنا عليه '' أساليب أخرى للذم ''، أما المدح الذي جاء للمصلحين والمؤمنين والذي نستخرجه من بين ثنايا الكلمات ومعانيها العميقة فهي كقوله تعالى في سورة يونس:
﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَانِّ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾[2] إن استجابة الدعوة من الله العلي القدير هي في حقيقتها دلالة الرضى من قبله سبحانه ولا يرضى إلاّ عن الصالحين وإن لم يذكرهم صراحة فهو يمدح أنبياءه من طرف خفي ويحذرهم من اتباع سبيل الضالين الجاهلين الذين أعمتهم الغواية. هذا بالإضافة إلى أن بحثنا سيتطرق إلى أساليب أخرى متشعبة مثل أساليب الذم بما يشبه المدح مثل قوله تعالى في سورة النساء: ﴿بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾﴾[3] وإلى المدح بما يشبه الذم باستعمال أفعال مختلفة يسمعها السامع فيتوقع العقاب والذم فيفاجأ بالخير والأمل كقوله سبحانه:
﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾[4] فكلمة نبلوهم توحي بالبلاء والابتلاء وإذا بالقارئ يفاجأ بأن القادم خير وأمل. هذا وحرصاً منا على أن يستكمل بحثنا عناصره قدر المستطاع فقد وجدنا في القرآن آيات تدل على الذم بما يشبه المدح مثل قوله سبحانه: ﴿ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾[5] وكذلك قوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ ﴿٨٢﴾﴾[6] وكذلك وجدنا آيات تدل على المدح بما يشبه الذم كما جاء في قوله تعالى:
﴿ مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا﴾[7] إن ظاهر الآية يدل على نقص، لكنه في الحقيقة فضل كبير من الله سبحانه آثر به رسوله دون الخلق جميعاً، فحمّله الرسالة إلى الناس كافة وهو رَجُلٌ أميٌّ من قريش، فكان الكتاب إحدى معجزاته الخالدة إلى أن يرث الله الأرضَ ومن عليها. أما نحن الذين نكتب عن الدين فننطلق من منطلقات عقلية ومنطقية تعتمد على الحجج والبراهين والأدلة من الكتاب والسنة. والمذاهب الغربية تطلبنا بالحياد أيضاً وكأن الأمر لا يعنينا، ناسين أننا نبحث في أمور عقدية تمس العقيدة الإسلامية ومصدر تشريعها الإلهي. يطلبون منا أن نتخلى عن أنفسنا وعن مشاعرنا وأمور تمس وجودنا وما قام عليه تفكيرنا وما انطبعت به أساليب

---

(١) سورة التوبة آية ٧٠.
(٢) سورة يونس آية ٨٩.
(٣) سورة النساء آية ١٣٨.
(٤) سورة الكهف آية ٧.
(٥) سورة الدخان آية ٤٩.
(٦) سورة الأعراف آية ٨٢.
(٧) سورة الشورى آية ٥٢.

حياتنا.

وهذه نقطة ضعف وفيها شيء من التضليل لأن الموضوعات التي تقبل الحياد هي الموضوعات العلمية البحتة ، أما الموضوعات العقدية والإنسانية فإنها بمنأى عن الحياد ،لأن الإنسان لا يستطيع ولا يمكن أن يكون حيادياً بالنسبة لدينه أو لمشاعره ومعتقداته. إنهم يريدوننا أن نقف على الحياد ونترك عقيدتنا للمستشرقين والمستغربين يحللون ويشرحون فيها ويطرحون بآرائهم المليئة بالسم الزعاف طعناً في ديننا وعقيدتنا. وإمعاناً في التضليل يتمنون أن تكون أبحاثنا فيما ديننا وتاريخنا من الحيادية بمكان ويفضلون لو أنها انطلقت من منطلقات تفكيرهم المادي السطحي الإلحادي حتى نسمى في نظرهم بالمنطقيين أو المثقفين أو المطلعين على الثقافات الأخرى. ومن هنا نقول: إن الموضوعية في الأمور العقائدية والإنسانية هي التي تعتمد على قوة الأدلة والبراهين والتحليل المنطقي الذي يرتكز على التراث الفكري للأمة الإسلامية التي انغرس الدين في أعماقها ووجه سلوكها وتصرفاتها لتكون كما أراد الله لها أن تكون ﴿ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾[1]. ولقد رجعت إلى مراجع نحوية عديدة علني أستطيع معرفة المزيد من أفعال المدح والذم فلم أجد غير نِعْمَ وما جرى مجراها كحَسُنَ وطاب، وبِئْسَ وما جرى مجراها كساء وكَبُرَ. ولم يتطرق أحد من النحويين لغير هذه الأفعال كابن مالك وابن عصفور أو السيرافي أو الزجاج وغيرهم.

ولكن وبالعودة إلى القرآن الكريم والنظر إلى آياته آيةً آية، تبين لي أن هذا السِّفر العظيم يحتوي بين دفتيه كثيراً من الأساليب التي تعبر عن المدح بأصنافه: كالمدح المباشر، وغير المباشر، والمدح الذي يحتاج إلى استقراء الآيات لاستخراجه، وقد عرّفته بأساليب أخرى للمدح. وكذلك الذم المباشر بأصنافه: كالذم المباشر، وغير المباشر، وأساليب أخرى للذم. وهناك المدح بما يشبه الذم الذي جاء في القرآن الكريم باستعمال ألفاظ تعبر عن البلاء، والاقتراف، والامتحان. وهناك نوع أخير هو الذم بما يشبه المدح وجاء باستعمال ألفاظ تعبر عن البشرى، والإثابة، والشرح، والإيمان، أو باستعمال ألفاظ تدل على استعمال الحواس في غير طاعة الله، أو بذكر ألفاظ في غير ما استعملت له عادةً في العربية كالنزل والظل. وقد اختلف علماء اللغة والنحو والبلاغة في تصنيف النوعين الأخيرين أهما من النحو أم من البلاغة؟ وقد واجهت كثيراً من الصعوبات في التمييز بين آراء العلماء الذين تجدهم يبحثون في كلمة بعينها فيراها كل واحد من زاويته وما يقع في مجال تخصصه مما يوقع الباحث في الحيرة لأنه تفصل بينهم خيوط دقيقة. والحقيقة أقول: إن هذين الأسلوبين ''المدح بما يشبه الذم، والذم بما يشبه المدح'' هما جزءان أصيلان من علم النحو يتبعان أفعال المدح والذم ويكملان مدلولاتهما.

ونسأله جل وعلا أن يوفقنا ويأخذ بأيدينا لخدمة هذا الدين الحنيف. كما أرجو غض الطرف عن كل منقصةٍ تعرض لنا في هذا البحث، فالكمال لله وحده.

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.

المدح

مُقدِّمة

من مزايا الحضارة العربية الإسلامية أنها أقامت تَضَامُناً بين الفرد والمجتمع لا تشاداً بينهما ولا تنازعاً كما في المجتمعات الغربية، ولا ذوبان الفرد في المجتمع كما يجري في المجتمعات الشرقية وذلك حينما نظرت إلى الفرد بصفته كياناً اجتماعياً متآلفاً مع مجتمعه لا متناقضاً معه ولا في صراع أزلي لا ينتهي من أجل المصالح الذاتية الأنانية.[1] بل وزيادة على ذلك أقامت الحضارة الإسلامية تضامناً بين المجتمعات كلها على كوكبنا الأرضي السابح في الفضاء بحيث يتصور مفكر إسلامي كالفارابي نشوء المدينة الفاضلة والأمة الفاضلة والمعمورة الفاضلة. ويتجلى هذا التضامن في شتى ميادين الفكر العربي الإسلامي الذي استوعبت معظمه اللغة العربية الغنية المطواع. ومن طواعيتها وغناها حسن تأتيها لمختلف المعاني من خلال بعض الألفاظ المتشاكلة الفحوى التي ترتسم عليها أشعة ذلك الفكر المبدع وهي المدح والحمد والشكر والثناء والرضا وما تعلق بها. هذه الألفاظ قد يقع بعضها في مواقع بعض وقد تختلف مواقعها فتختلف الدلالة. فالمدح كما ورد في لسان العرب '' هو نقيض الهجاء وهو حسن الثناء، يقال مدحته مدحةً واحدة ومدحه يمدحه مدحاً ومدحةً، هذا قول بعضهم والصحيح إن المدح المصدر والمدحة[2] الاسم والجمع مُدَحٌ وهو المديح والجمع المدائح والأماديح والأخيرة على غير قياس، والمدائح جمع المديح من الشعر الذي مدح به كالمدحة والأمدوحة ورجل مادح من قوم ومديح وتمدّح الرجل تكلّف أن يمدح''. وجاء في المعجم الوسيط '' مدحه مدحاً '' أثنى عليه بما له من صفات. مَدَّحه: أكثر مدحه، وامتدح بمعنى اتسع، وتمادحا مدح كل منهما الآخر. وتمدّح فلان: تكلّف أن يُمدح، ويقال: هو يتمدح إلى الناس: يطلب مدحهم. وتمدّح قَرَّظ نفسه وأثنى عليها. وتمدّح افتخر بما ليس عنده، وتمدّح فلاناً مدحه.[3] وجاء في المنجد ''مدح و مدّحهُ: أحسن الثناء عليه/ضد ذمه مادَحَهُ مدحه، تمدّح افتخر بما ليس عنده، تكلّف أن يُمدح وقرَّظ نفسه وأثنى عليها، وتمدّح الرجَل مدحه، وتمدّح إلى الناس طلب مدحهم، تمادح القوم مدح بعضهم بعضاً، امتدح اتسع، وامتدح فلاناً مدحه، إمَّدح اتسع، المِدْحَةُ وجمعها مِدَح الاسم من مَدَحَ والمِدْحَةُ ما يُمْدَح به. والمديح جمعه مدائح والأمدوحة وجمعها أماديح وهي ما يمدح به، والممادح ضد المقابح''.[4] وجاء في الكشاف أن المدح والحمد أخوان وهو الثناء والنداء على الجميل من نعمة وغيرها تقول: حمدتُ الرجل على إنعامه، وحمدته على حسبه وشجاعته.

---

(١) مجلة مجمع اللغة بدمشق-العدد الرابع-لشهر محرم/١٤٠٣-أكتوبر/١٩٨٣.

(٢) مَدْحة أرى أنها مصدر مَرّة.

(٣) المعجم الوسيط-دار الدعوة-مصر-ص٨٥٧-باب مدحه.

(٤) المنجد في اللغة والأعلام-دار المشرق-بيروت-الطبعة٢٨-١٩٨٦م-ص٧٥١-باب مدح.

والحمد باللسان وحده، فهو إحدى شعب الشكر، ومنه قوله عليه السلام: ''الحمد رأس الشكر، ما شكر الله عبدٌ لم يحمده'' وإنما جعله رأس الشكر، لأن ذكر النعمة باللسان والثناء على موليها، اشبع لها وأدَلُّ على مكانها من الاعتقاد وآداب الجوارح لخفاء عمل القلب، وما في الجوارح من الاحتمال، بخلاف عمل اللسان وهو النطق الذي يفصح عن كل خفيٍّ ويجلي كل مشتبه. ويعقب الجرجاني على قول صاحب الكشاف إن الحمد إحدى شعب الشكر أي باعتبار المورد (اللسان واليد والقلب) وإن كان الشكر باعتبار المتعلق إحدى شعب الإيمان. والحمد نقيض الذم، والشكر نقيض الكفران، أما الشكر فعلى النعمة خاصة وهو بالقلب واللسان والجوارح قيل:[1]

وما كان شكري وافياً بنوالكم ولكنني حاولت في الجَهد مَذْهَبَا

أفادتكم النعماءُ مني ثلاثة يدي ولساني والضمير المحجّبا

أي لم يكن تعظيمي إياكم وافياً بحق عطائكم، ولكنني أردت من الاجتهاد في تعظيمكم مذهباً، وبينه بقوله: إن نعمتكم عليّ أفادتكم من يدي ولساني وجناني، فهي وأعمالكم لكم، قال السيد الشريف الجرجاني: هو استشهاد معنوي على أن الشكر يطلق على أفعال الموارد الثلاثة، وبيان أن جعلها جزاء للنعمة، وكل ما هو جزاءٌ للنعمة عرفاً يطلق عليه الشكر لغة، فكأنه قال: كثرت نعمتكم عندي فوجب علي استيفاء أنواع الشكر لكم، وبالغ في ذلك حتى جعل مواردها ملكاً لهم. وقيل النعماء جمع للنعمة، لكن ظاهر عبارة اليد أنها بمعناها ورواية البيت الأول بعد الثاني أحسن موقعاً وأظهر استشهاداً. ذكرنا أن الحمد والمدح أخوان عند صاحب الكشاف أي هما مترادفان وقيل: أراد أنهما أخوان في الاشتقاق الكبير ويشهد له وجهان ينقلهما الجرجاني:

الأول :

أن الشائع في كتب المصنف استعمال الأخوة فيما بين لفظين يتلاقيان في الاشتقاق الكبير أو الأكبر، أما الكبير فبأن يشتركا في الحروف الأصول من غير ترتيب مع اتحاد في المعنى أو تناسب فيه كالجذب والجبذ، وكالمدح والحمد، وأما الأكبر فبأن يشتركا في أكثر تلك الحروف فقط، ويتناسب في الباقي مع الاتحاد أو التناسب في المعنى كآله ودالة، وكالفلق والفلج.

الثاني :

إن الحمد مخصوص بالجميل الاختياري والمدح يعمه وغيره يقال: مدحت اللؤلؤة على صفاتها ولا يقال ''حمدتها'' هذا رأي التفتازاني أي في تخريج كلام الزمخشري الذي ورد في الكشاف وفي الفائق أيضاً. ولكن الجرجاني يذهب إلى أن المدح والحمد مترادفان عند الزمخشري ''إما بعد قيد الاختيار في الحمد أو باعتباره فيهما''.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ١/٨.

كما كتب أبو البقاء في كلياته: ''ونقيض المدح والحمد الذم، ونقيض الشكر الكفـــران. ولكـــن المدح كما يطلق على الثناء الخاص، أي الوصف بالجميل قد يُخَصُّ بِعَدِّ المآثِر، وعندئذٍ يقابل أتـهجو أي عد المثالب''. هذا وذكر القرطبي: ''أن الحمد ثناء على الممدوح بصفاته من غـــير ســبق إحســان. والشكر ثناء على المشكور بما أولى من إحسان. وبهذا الاعتبار يكون الحمد أعم من الشكر وهذا يتفـق مع ما سبق من أن الشكر باعتبار المتعلق إحدى شعب الحمد''. وقد جاء في القرطبي: ''ويذكر الحمـد بمعنى الرضا، يقال: (بلوته فحمدته أي رضيته) ومنه قوله تعالى: ﴿مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴿٧٩﴾﴾[1]''.

وفي القرطبي: ''الحمد في كلام العرب معناه الثناء الكامل''

وأبهج محمود الثناء خصصته بأفضل أقوالي وأفضل أحمُدي.

وفي القرطبي أيضاً: ''ذهب أبو جعفر الطبري وأبو العباس المبرد إلى أن الحمد والشكر بمعنى واحد سواء وليس ذلك بمرضٍ''. وحكاه أبو عبد الرحمن السلمي في '' كتاب الحقائق '' له عن جعفـر الصادق وابن عطاء. قال ابن عطاء: معناه (معنى الحمد لله) الشكر لله إذ كان منه الامتنان على تعليمنـا إياه[2] حتى حمدناه. واسند الطبري على أنهما بمعنى. بصحة قولك: الحمد لله شكراً. قال ابـــن عطيـــة: ''وهو في الحقيقة دليل على خلاف ما ذهب إليه، لأن قولك شكراً إنما خصصت به الحمد لأنه علـــى نعمة من النعم''. ثم يعرج الطبري على مثل ما جاء في قول الزمخشري فيورد: ''وقال بعض العلماء: إن الشكر أعم من الحمد لأنه باللسان وبالجوارح والقلب، والحمد إنما يكون باللسان خاصة''. إن هـــذه الألفاظ المتقاربة المعاني قد ينوب بعضها عن بعض كما سلف وإن كان بينها بعـــض الفـروق التـــي اتضحت وأكثر العلماء في التراث العربي الإسلامي يتناولون معاني هـذه الألفاظ عند الحمد والشـــكر لله.

---

(١) سورة الإسراء آية ٧٩.

(٢) يريد تعليمه إيانا وكلامه له وجه، وهو إضافة المصدر إلى المفعول به وإياه هو الفاعل نائب ضمير النصب عن ضمـير الرفـع وهو جائز.

أساليب المدح المباشر

تمهيد

اشتملت اللغة العربية على كثير من الألفاظ والأساليب التي تدل على المدح المبدع وهي أنواع ثلاثة:

النوع الأول:

المدح المباشر جاء بألفاظ لا تحتاج إلى قرينة ليفهم منها أنها تدل على المدح مثل: - الحمد- والشكر-والثناء-والألقاب مثل: - صالح-وعزيز-وجبار-وأصحاب الجن-المؤمنين-الصابرين-وغير ذلك من الألقاب ومنها ما مدح الله به نفسه بأسمائه وصفاته وسبحان ومدح بها أنبياءه والصالحين من عباده.

النوع الثاني:

وهي الأفعال المعروفة التي تدل على المدح العام مثل: نِعْمَ وما جرى مجراها كحَسُنَ وطاب.

النوع الثالث:

وهي التي تحتاج إلى قرينة للدلالة عليها وتوضيحها كالدعاء-مثل سلام عليكم-أو طبتم-أو طوبى لهم-رضي الله عنهم-الله لا يرضى إلاّ عن إنسان آمن بما أمره به فهو إذن من الصالحين فاستحق الدعاء له وهو مدح يحتاج إلى قرينة لفهمه وهي قرينة معنوية. وكذلك المدح بأسلوب التفضيل-مثل: أكبر درجة-وأنتم الأعلون-ونُيَسِرُك لليسرى-فكلمة الأعلون تدل على أن المؤمنين هم الأرفع منزلة عند الله. وهم الصالحون الذين يحتلون الدرجات العلى من الجنة بما عملوا في الدنيا من الصالحات وجاهدوا أنفسهم وصبروا على مغريات الدنيا الفانية. فالأعلون هنا مدح مباشر بقرينة لفظية تدل عليه. وأفعل التفضيل وخير أيضاً وفعل التعجب أفعِل ب. والألفاظ التي تدل على البشرى. وكلها أفعال تدل على المدح المباشر إلى جانب دلالاتها الخاصة.

النوع الأول الذي يؤدي معناه بلا قرينة

ما جاء في القرآن الكريم بلفظ الحمد أو المدح أو الثناء أو الاستحسان ومنها كذلك الجميل، العظيم، الفاضل، العزيز، الجبار، المتكبر، وما شملت عليه أسماء الله الحسنى وصفاته العلى. وقد مدح الله نفسه في سورة الفاتحة بألفاظ صريحة أو بأسماء وصفات عليا ارتضاها لنفسه سبحانه ومنها - الحمد لله - وهو الشكر خالصاً لوجهه دون سائر ما يُعبَد من دونه، وهو ثناء أثنى به الله على نفسه وفي ضمنه أقر عباده أن يثنوا عليه بما هو أهله فكأنه قال: قولوا الحمد لله. وقد قيل أن قول القائل ''الحمد لله'' ثناء عليه بأسمائه الحسنى وصفاته العلى وقوله ''الشكر لله'' ثناء عليه بنعمه وأياديه.

وقال علي كرم الله وجهه '' كلمة أحبها الله تعالى ورضيها لنفسه وأحبَّ أن تقال''. وقال علي بن زيد بن جدعان عن يوسف بن مهران قال ابن عباس: ''الحمد لله'' كلمة الشكر وإذا قال العبد ''الحمد لله'' قال: شكرني عبدي. وعن ابن جرير عن الحكم بن عمير قال: قال رسول ﷺ ''إذا قلت الحمد لله رب العالمين فقد شكرت الله فزادك''. الحمد: ونقيضه الذم والشكر ونقيضه الكفران.

الإعراب:

الحمدُ : مرفوع على الابتداء.

للّه : متعلق بمحذوف خبر تقديره ثابت أو مستقراً وواجب[1]وقد قرأ بعضهم الحمدَ للّه.

فيكون الإعراب كما يلي:

الحمدَ: مصدر منصوب لفعل مضمر تقديره ''نحمد اللّهَ الحمدَ'' وأصله النصب على المصدرية. بإضمار فعله كسائر المصادر التي تنصبها العرب[2] فعدل عنه إلى الرفع لقصد الدلالة على الدوام والثبات واللام في ''للّه'' هي لام الاختصاص.

القراءات:

قرأ الحسن البصري (الحمدِ للّهِ) بكسرِ الدال لإتباعها اللام وقرأ إبراهيم بن أبي عبلة: (الحمدُ لُلّه) بضم اللام لإتباعها الدال وأرجح القراءتين قراءة إبراهيم حيث جعل الحركةَ البنائية تابعة للإعرابية التي هي أقوى، بخلاف قراءة الحسن.

البلاغة:

١) إن جملة ''الحمد لله'' خبر، لكنها استعملت لإنشاء الحمد وفائدة الجملة الاسمية ديمومة الحمد واستمراره وثباته. وفي قوله ''للّهِ'' من الاختصاص للدلالة على أن جميع المحامد مختصة به سبحانه وتعالى.

٢) لما افتتح الله سبحانه وتعالى كتابه بالبسملة وهي نوع من الحمد ناسب أن يردفها بالحمد الكلي الجامع لجميع أفراده البالغ أقصى درجات الكمال.

٣) أما حمد الله تعالى نفسه فإنه إخبار باستحقاق الحمد وأمر به على ألسنة العباد، أو مجاز عن إظهار الصفات الكمالية الذي هو الغاية القصوى من الحمد.

---

(١) إعراب القرآن وصرفه وبيانه لمحمود صافي: ٢٣/١.

(٢) فتح القدير لمحمد علي بن محمد الشوكاني: ٢٤/١.

وقد قدمَ الحمد على الاسم الجليل لاقتضاء المقام وإن كان ذكر الله تعالى أهم في نفسه والأهمية تقتضي التقديم. ومن ألفاظ المدح ما جاء في سورة الفاتحة أيضاً ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢﴾ وهو من أسماء الله الحسنى.

رب : المالك. ومنه قول صفوان بن أمية لأبي سفيان '' لأن يربني (يملكني) رجل من قريش أحب إليّ من أن يربني رجل من هوازن''. ويجوز أن يكون وصفاً بالمصدر للمبالغة كما وصف بالعدل، ولم يطلقوا الرب إلا في اللّه وحده وهو في غيره على التقيد بالإضافة، كقولهم: رب الدار، رب الأسرة.

العالمين : جمع العالَمْ، وهو اسم جمع لا واحد له من لفظه وهو مشتق من العِلْم أو من العلامة، وزنه فاعل وكذلك جمعه.

الإعراب :

ربِّ : صفة أو نعت للفظ الجلالة مجرور وعلامة جره الكسرة وهو مضاف.

العالمين : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم. وهو اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين. وجُمع ليشتمل كل جنس مما سمي به وساغ جمعه بالواو والنون لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم.

القراءات :

قرأ زيد بن علي رضي الله عنهما: (ربَّ العالمين) بالنصب على المدح وقيل بما دل عليه (الحمدُ لله) كأنه قيل: نحمدُ اللّهَ ربَّ العالمين. ومن ألفاظ المدح الذي ارتضاها الله لنفسه سبحانه ''الرحمنِ الرحيمِ''.

المعنى :

(الرحمن الرحيم) اسمان مشتقان من الرحمة على طريق المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، لذلك قالوا رحمن الدنيا والآخرة ورحيم الدنيا. الرحمن من الصفات الغالبة لم يستعمل في غير الله عز وجل. قال أبو علي الفارسي: الرحمن اسم تمام في جميع أنواع الرحمة يختص به الله تعالى، والرحيم إنما هو في جهة المؤمنين، قال تعالى: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾(١).

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٣.

الإعراب :

الرحمن : نعت للفظ الجلالة، أو بدل منه مجرور وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره.

الرحيم : نعت ثانٍ للفظ الجلالة ''الله'' أو بدل منه مجرور وعلامة جره الكسرة.

(مالك يوم الدين)

المعنى :

مالك : أي لا يملك أحد معه في ذلك اليوم حكما.

يوم الدين : يوم الحساب للخلائق وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر.

الإعراب :

مالك : نعت للفظ الجلالة مجرور مثله وهو مضاف.

يوم : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة وهو مضاف.

الدين : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة.

الصرف :

مالك : اسم فاعل من مَلَكَ يَمْلِكُ على معنى الصفة المشبهة لدوام الملكية، جمعه مُلاّك ومالكون.

يوم : اسم بمعنى الوقت المحدد من طلوع الشمس إلى غروبها وهنا جاء بمعنى يوم القيامة، وجمعه أيام وجمع الجمع أياويم.

الدين : مصدر دان يَدِينُ وهو بمعنى جزى وأطاع أو خضع، وزنه فِعْل وتممه مصدر آخر للفعل دان دِيانة والدين معناه الجزاء أو الطاعة، أو الملة أو العادة.

القراءات :

قُرِئَ : مَلِكِ يوم الدين، ومالِكِ، ومَلْكِ، ومَلِيكِ.

وقرأ أبوحنيفة : مَلَكَ يوم الدين، وهو شاذ غريب.

وقرأ أبوهريرة : مالكَ يومِ الدينِ.

وقرأ غيره :

مَلِكَ، وهو نصب على المدح ومنهم من قَرَأ: مالكُ واشبع نافع كسرة الكاف فقرأ (ملكي يوم الدين)، ورجح الزمخشري مَلِكِ وهي قراءة أهل الحرمين. وعن ابن شهاب أنه بلغه أن رسول الله ﷺ وأبابكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرأون (مالِكِ يومِ الدين). وقد أورد ابن

مردويه أن رسول الله ﷺ كان يقرأها (مالِكِ يومِ الدين) ومالك مأخوذ من الملك وهنا مدح ارتضاه الله لنفسه دون ذكر فعل من أفعال المدح التي ذكرناها مثل مدح، حمد، أثنى وشكر، ودون ذكر فعل المدح المعروف في اللغة وهو (نِعْمَ) ولكن هنا الاستعانة والتعبد وهي أعلى درجات المدح في قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

المعنى:

نعبد : فعل مأخوذ من العبادة وهي أقصى غاية الخضوع والتذلل والعبادة في اللغة من الذلّة يقال طريق مُعَبَّد ومعبّد أي مذلل وفي الشرع عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف.

إياك نعبد : تبرؤ من الشرك.

إياك نستعين : تبرؤ من الحول والقوة والتفويض إلى الله عز وجل. والمعنى نخصك بالعبادة بالاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه.

الإعراب:

إيَّا : ضمير بارز منفصل مبني في محل نصب مفعول به مقدم، وتقديم المفعول لقصد الاختصاص.

الكاف : حرف للخطاب لا محل لها من الإعراب.

نعبدُ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. الفاعل: ضمير مستتر وجوباً تقديره نحن. وجملة (إيَّاك نعبد) استئنافية لا محل لها من الإعراب.

الواو : حرف عطف.

إيَّاك نستعين : تعرب كالسابق. وهي جملة معطوفة على (إياك نعبد) لا محل لها من الإعراب.

الصرف:

نستعين فيه إعلال أصله يَستَعْوِنُ من العون، فاستُثقلت الكسرة على الواو فنقلت إلى العين (نستَعْوِن) وسُكِّنت الواو –وهو إعلال بالتسكين– ثم قلبت الواو ياءً لسكونها وانكسار ما قبلها –وهو إعلال بالقلب.

القراءات:

جاء في الكشاف ''قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء'' (إيّاك).

قرأ عمرو بن فايد : بتخفيف الياء مع الكسر إيَا وهي قراءة شاذة مردودة لأن إيَا ضوء الشمس.

وقرأ الفضل والرقاشي : أيّاك بفتح الهمزة وتشديد الياء.

وقرأ أبو السوار الغنوي : هَيّاك بالهاء بدل الهمزة في الموضعين وهي قراءة مشهورة.(١)

ونستعين : بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحي بن وثاب والأعمش فإنهما كسراها، وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم وقرأها: نِستَعين.

البلاغة:

١) كرّر الله سبحانه وتعالى ''إيّاك'' لأنه لو حذفه في الثاني لفاتت فائدة التقديم وهي قطع الاشتراك بين العاملين وذلك لكي يفيد الحصر بينهما.

٢) قدم العبادة على الاستعانة كون الأولى وسيلة إلى الثانية، وتقديم الوسائل سبب لتحصيل المطالب، وإطلاق الاستعانة لقصد التعميم.

٣) والمجيء بالنون في الفعلين (نعبد، نستعين) لقصد الإخبار من الداعي عن نفسه وعن جنسه من العباد. فالمجيء بالنون لقصد التواضع لا لتعظيم النفس.

٤) عدل عن الغيبة إلى الخطاب لقصد الالتفات، لأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى آخر كان أحسن تطرية لنشاط السامع و أكثر إيقاظاً له كما تقرر في علم المعاني.

هذا وقد مدح الله نفسه بذكر أسمائه وصفاته وقبل لعباده أن يتعبدوا بذكرها وجاء في الذكر الحكيم قوله تعالى ''ولله الأسماء الحسنى'' ذلك لأنها متضمنة صفات الكمال، لا نقص فيها ولا عوج لا احتمالاً ولا تقديراً. وهذه الأسماء الحسنى كلها اتفقت في دلالتها على ذات الله، مع تنوّع معانيها، فهي مترادفة من حيث الذات، لدلالتها على مسمى واحد وهو الله عز وجل، ومتباينة من جهة الصفات، لدلالة كل واحد منها على معناه الخاص. وكل أسماء الله وصفاته هي في حقيقتها مدح له سبحانه لأنها بيان لصفاته الكاملة التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه.

---

(١) فتح القدير للشوكاني: ١/٢٧.

وهـذه الأسمـاء هـي:

١. **الله** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ﴾(١).

٢. **الأحد** : قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾(٢).

٣. **الأعلى** : قال تعالى ﴿ سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ۝١ ﴾(٣).

٤. **الأكرم** : قال تعالى ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ۝٣ ﴾(٤).

٥. **الإله** : قال تعالى ﴿ وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ ﴾(٥).

٦. **البارئ** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾(٦).

٧. **البر** : قال تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ۝٢٨ ﴾(٧).

٨. **البصير** : قال تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ۝١ ﴾(٨).

٩. **التواب** : قال تعالى ﴿ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ۝٣٧ ﴾(٩).

١٠. **الجبار** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ ﴾(١٠)

١١. **الجواد** : قال رسول الله ﷺ '' إن الله جواد يحب الجود ''.

١٢. **الجميل** : قال رسول الله ﷺ '' إن الله جميل يحب الجمال ''.

١٣. **الحاسب** : قال تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ ﴾(١١).

١٤. **الحافظ** : قال تعالى ﴿ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا ﴾(١٢).

١٥. **الحسيب** : قال تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ۝٦ ﴾(١٣).

١٦. **الحفيظ** : قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ﴾(١٤).

---

(١) سورة الحشر آية ٢٢.
(٢) سورة الإخلاص آية ١.
(٣) سورة الأعلى آية ١.
(٤) سورة العلق آية ٣.
(٥) سورة البقرة آية ١٦٣.
(٦) سورة الحشر آية ٢٤.
(٧) سورة الطور آية ٢٨.
(٨) سورة الإسراء آية ١.
(٩) سورة البقرة آية ٣٧.
(١٠) سورة الحشر آية ٢٣.
(١١) سورة الأنبياء آية ٤٧.
(١٢) سورة يوسف آية ٦٤.
(١٣) سورة النساء آية ٦.
(١٤) سورة هود آية ٥٦.

١٧. الحق : قال تعالى ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾(١).

١٨. الحكم : قال رسول الله ﷺ '' إن الله تعالى هو الحكم ''.

١٩. الحكيم : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ ﴾(٢).

٢٠. الحليم : قال تعالى ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿٥٩﴾ ﴾(٣).

٢١. الحميد : قال تعالى ﴿ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾ ﴾(٤).

٢٢. الحي : قال تعالى ﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ ﴾(٥).

٢٣. الحيي : قال رسول الله ﷺ '' إن الله حييّ ستّير ''.

٢٤. الخبير : قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ ﴿٦٣﴾ ﴾(٦).

٢٥. الخالق : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ ﴾(٧).

٢٦. الخلاق : قال تعالى ﴿ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾(٨).

٢٧. الديّان : قال رسول الله ﷺ '' يحشر الناس يوم القيامة عراة ...ثم يناديهم بصوت يسمعه من بَعُد كما يسمعه من قَرُب: أنا الملك أنا الديّان ''.

٢٨. الرازق : قال رسول الله ﷺ ''إن الله تعالى هو الخالق القابض الباسط الرازق المسخِّر''.

٢٩. الرب : قال رسول الله ﷺ '' أما الركوع فعظموا فيه الرب ''.

٣٠. الرحمن : قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾(٩).

٣١. الرحيم : قال تعالى ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ﴾(١٠).

٣٢. الرزاق : قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ ﴾(١١).

---

(١) سورة النور آية ٢٥.
(٢) سورة سبأ آية ٢٧.
(٣) سورة الحج آية ٥٩.
(٤) سورة الحج آية ٦٤.
(٥) سورة طه آية ١١١.
(٦) سورة الحج آية ٦٣.
(٧) سورة الحشر آية ٢٤.
(٨) سورة يس آية ٨١.
(٩) + (١٠) سورة الفاتحة آية ٢، ٣.
(١١) سورة الذاريات آية ٥٨.

٣٣. **الرفيق** : قال رسول الله ﷺ '' إن الله رفيق يحب الرفق ''.

٣٤. **الرقيب** : قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ ﴾(١).

٣٥. **الرؤوف** : قال تعالى ﴿ وَأَنَّ اللَّهَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٠﴾ ﴾(٢).

٣٦. **السبّوح** : كان رسول الله ﷺ يقول في ركوعه وسجوده ''سبوح قدّوس، رب الملائكة والروح''.

٣٧. **الستير** : قال رسول الله ﷺ '' إن الله حيي ستير ''.

٣٨. **السلام** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ ﴾(٣).

٣٩. **السميع** : قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ﴾(٤).

٤٠. **الشافي** : كان رسول الله ﷺ إذا اشتكى إنسان، مسحه بيمينه ثم قال: ''أذهب الباس، رب الناس، اشف أنت الشافي، لا شفاءَ إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً''.

٤١. **الشاكر** : قال تعالى ﴿ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ ﴿١٥٨﴾ ﴾(٥).

٤٢. **الشكور** : قال تعالى ﴿ وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ﴾(٦).

٤٣. **الشهيد** : قال تعالى ﴿ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٧﴾ ﴾(٧).

٤٤. **الصمد** : قال تعالى ﴿ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ ﴾(٨).

٤٥. **الطيب** : : قال رسول الله ﷺ '' إن الله طيب لا يقبل إلا طيباً ''.

---

(١) سورة النساء آية ١.
(٢) سورة النور آية ٢٠.
(٣) سورة الحشر آية ٢٣.
(٤) سورة المجادلة آية ١، سورة الحج آية ٧٥، سورة لقمان آية ٨.
(٥) سورة البقرة آية ١٥٨.
(٦) سورة التغابن آية ١٧.
(٧) سورة المائدة آية ١١٧.
(٨) سورة الإخلاص آية ٢.

٤٦. **العالم** : قال تعالى ﴿ وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ (١).

٤٧. **العزيز** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٠﴾ ﴾ (٢).

٤٨. **العظيم** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ ﴾ (٣).

٤٩. **العفو** : قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٦٠﴾ ﴾ (٤).

٥٠. **العلي** : قال تعالى ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٦٢﴾ ﴾ (٥).

٥١. **العليم** : قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ﴾ (٦).

٥٢. **الغفار** : قال تعالى ﴿ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّارُ ﴿٦٦﴾ ﴾ (٧).

٥٣. **الغفور** : قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (٨).

٥٤. **الغني** : قال تعالى ﴿ وَٱللَّهُ غَنِىٌّ حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ ﴾ (٩).

٥٥. **الفتاح** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ ﴾ (١٠).

٥٦. **القادر** : قال تعالى ﴿ قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا ﴾ (١١).

٥٧. **القاهر** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٨﴾ ﴾ (١٢).

٥٨. **القدوس** : قال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ﴾ (١٣).

٥٩. **القدير** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾ (١٤).

٦٠. **القريب** : قال تعالى ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ﴾ (١٥).

٦١. **القهار** : قال تعالى ﴿ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴾ (١٦).

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨١.
(٢) سورة الروم آية ٥.
(٣) سورة البقرة آية ٢٥٥.
(٤) سورة الحج آية ٦٠.
(٥) سورة الحج آية ٦٢.
(٦) سورة الذاريات آية ٣٠.
(٧) سورة ص آية ٦٦.
(٨) سورة يوسف آية ٥٣.
(٩) سورة البقرة آية ٢٦٣.
(١٠) سورة سبأ آية ٢٦.
(١١) سورة الأنعام آية ٦٥.
(١٢) سورة الأنعام آية ١٨.
(١٣) سورة الحشر آية ٢٣.
(١٤) سورة الملك آية ١.
(١٥) سورة البقرة آية ١٨٦.
(١٦) سورة يوسف آية ٣٩.

٦٢. **القوي** : قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ﴾(١).

٦٣. **القيوم** : قال تعالى ﴿ الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾ ﴾(٢).

٦٤. **الكبير** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ ﴾(٣).

٦٥. **الكريم** : قال تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ﴾(٤).

٦٦. **اللطيف** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ ﴾(٥).

٦٧. **المبين** : قال تعالى ﴿ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ﴿٢٥﴾ ﴾(٦).

٦٨. **المتعالي** : قال تعالى ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ ﴾(٧).

٦٩. **المتكبر** : قال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٨).

٧٠. **المتين** : قال تعالى ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴾(٩).

٧١. **المجيب** : قال تعالى ﴿ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ﴾(١٠).

٧٢. **المجيد** : قال تعالى ﴿ إِنَّهُۥ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٣﴾ ﴾(١١).

٧٣. **المحسن** : قال رسول الله ﷺ " إن الله محسن يحب الإحسان ".

٧٤. **المحيط** : قال تعالى ﴿ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطًا ﴿١٢٦﴾ ﴾(١٢).

٧٥. **المصور** : قال تعالى ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ﴾(١٣).

٧٦. **المقتدر** : قال تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾(١٤).

---

(١) سورة المجادلة آية ٢١.
(٢) سورة آل عمران آية ٢٠١.
(٣) سورة سبأ آية ٢٣.
(٤) سورة الانفطار آية ٦.
(٥) سورة الأنعام آية ١٠٣.
(٦) سورة النور آية ٢٥.
(٧) سورة الرعد آية ٩.
(٨) سورة الحشر آية ٢٣.
(٩) سورة الذاريات آية ٥٨.
(١٠) سورة هود آية ٦١.
(١١) سورة هود آية ٧٣.
(١٢) سورة النساء آية ١٢٦.
(١٣) سورة الحشر آية ٢٤.
(١٤) سورة القمر آية ٥٥.

٧٧. **المقيت** : قال تعالى ﴿ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقِيتًا ﴿٨٥﴾ ﴾(١).

٧٨. **الملك** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ ﴾(٢).

٧٩. **المليك** : قال تعالى ﴿ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٥٥﴾ ﴾(٣).

٨٠. **المنان** : حديث أنس رضي الله عنه وفيه '' منان ''.

٨١. **المهيمن** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾(٤).

٨٢. **المؤمن** : قال تعالى ﴿ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ ﴾(٥).

٨٣. **المولى** : قال تعالى ﴿ فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ ۖ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾ ﴾(٦).

٨٤. **النصير** : قال تعالى ﴿ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ ۖ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾ ﴾(٧).

٨٥. **الهادي** : قال تعالى ﴿ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾ ﴾(٨).

٨٦. **الواحد** : قال تعالى ﴿ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴾(٩).

٨٧. **الوارث** : قال تعالى ﴿ وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ ﴾(١٠).

٨٨. **الواسع** : قال تعالى ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ ﴾(١١).

٨٩. **الوتر** : قال رسول الله ﷺ '' إن الله وتر يحب الوتر ''.

٩٠. **الودود** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ الْغَفُورُ الْوَدُودُ ﴿١٤﴾ ﴾(١٢).

٩١. **الوكيل** : قال تعالى ﴿ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ﴿١٧٣﴾ ﴾(١٣).

٩٢. **الولي** : قال تعالى ﴿ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ﴾(١٤).

---

(١) سورة النساء آية ٨٥.
(٢) سورة الحشر آية ٢٣.
(٣) سورة القمر آية ٥٥.
(٤)+(٥) سورة الحشر آية ٢٣.
(٦) سورة الأنفال آية ٤٠.
(٧) سورة الحج آية ٧٨.
(٨) سورة الفرقان آية ٣١.
(٩) سورة يوسف آية ٣٩.
(١٠) سورة الحجر آية ٢٣.
(١١) سورة البقرة آية ١١٥.
(١٢) سورة البروج آية ١٤.
(١٣) سورة آل عمران آية ١٧٣.
(١٤) سورة الشورى آية ٢٨.

٩٣. **الوهاب** : قال تعالى ﴿ وَهَبْ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنتَ الْوَهَّابُ ﴿٨﴾ ﴾(١).

٩٤. **الأول** : قال تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(٢).

٩٥. **الآخر** : قال تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(٣).

٩٦. **الظاهر** : قال تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(٤).

٩٧. **الباطن** : قال تعالى ﴿ هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾(٥).

٩٨. **القابض** : قال رسول الله ﷺ ''إن الله تعالى هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق''.

٩٩. **الباسط** : قال رسول الله ﷺ '' إن الله تعالى هو الخالق، القابض، الباسط، الرازق''.

١٠٠. **المقدم** : قال رسول الله ﷺ '' أنت المقدم وأنت المؤخر ''.

١٠١. **المؤخر** : قال رسول الله ﷺ '' أنت المقدم وأنت المؤخر ''.

وقد مدح الله ذاته وقبل لعباده أن يتعبدوا بها بالدعاء . فبجانب دلالتها للدعاء هناك دلالة خاصة للمدح كما ورد في عدد من الآيات. وقد استعملت ألفاظ محددة مثل تبارك، سبَّح، سبِّح، سبحان، تعالى، وكفى. أما تبارك فقد وردت في آيات تسع :

قال تعالى :

١. ﴿ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ ﴾(٦).

٢. ﴿ ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٤﴾ ﴾(٧).

٣. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٨).

٤. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي إِن شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾(٩).

٥. ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَجَعَلَ فِيهَا سِرَاجًا وَقَمَرًا مُّنِيرًا ﴿٦١﴾ ﴾(١٠).

٦. ﴿ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾(١١).

---

(١) سورة آل عمران آية ٨.
(٢)+(٣)+(٤)+(٥) سورة الحديد آية ٣.
(٦) سورة الأعراف آية ٥٤.
(٧) سورة المؤمنون آية ١٤.
(٨) سورة الفرقان آية ١.
(٩) سورة الفرقان آية ١٠.
(١٠) سورة الفرقان آية ٦١.
(١١) سورة غافر آية ٦٤.

٧. ﴿ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾(١).

٨. ﴿ تَبَارَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾ ﴾(٢).

٩. ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ﴾(٣).

المعنى :

تبارك : تعالى وتعاظم كما في فتح القدير. و تعالى أمره في قدرته وعلمه كما في الكشاف. أي استحق التعظيم والثناء.

رب : هو الملك المالك لعالم الإنس والجن وكل ما خلق الله في الدنيا والآخرة كقوله ﴿ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴾(٤).

العالمين : اسم لذوي العلم من الملائكة والثقلين، وقيل '' كل ما علم به الخالق من الأجسام والأعراض ''. وقيل بالجمع ليشمل كل جنس مما سمي به، وساغ ذلك لمعنى الوصفية فيه وهي الدلالة على معنى العلم.

الإعراب :

تبارك الله رب العالمين

تبارك : فعل ماضي مبني على الفتحة الظاهرة على آخره.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

رب : نعت مرفوع بالضمة وهو مضاف.

العالمين : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم.

أحسن الخالقين : أحسن المقدرين تقديراً فترك ذكر المميز لدلالة الخالقين عليه.

---

(١) سورة الزخرف آية ٨٥.
(٢) سورة الرحمن آية ٧٨.
(٣) سورة الملك آية ١.
(٤) سورة الشعراء آية ٢٤.

وقد ورد مدح الله لنفسه في آيات عديدة بلفظ التسبيح باستعمال لفظ سبّح في ثلاث عشرة آيـــة :

قال تعالى :

١. ﴿وَاذْكُرْ رَبَّكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾﴾(١).

٢. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٩٨﴾﴾(٢).

٣. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا﴾(٣).

٤. ﴿وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴿١٣٠﴾﴾(٤).

٥. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ بِحَمْدِهِ﴾(٥).

٦. ﴿وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾﴾(٦).

٧. ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾(٧).

٨. ﴿وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾﴾(٨).

٩. ﴿فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾(٩).

١٠. ﴿إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾(١٠).

١١. ﴿وَإِنَّهُ لَحَقُّ الْيَقِينِ ﴿٥١﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٥٢﴾﴾(١١).

١٢. ﴿سَبِّحِ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ﴿١﴾﴾(١٢).

١٣. ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴿٣﴾﴾(١٣).

---

(١) سورة آل عمران آية ٤١.
(٢) سورة الحجر آية ٩٨.
(٣)+(٤) سورة طه آية ١٣٠.
(٥) سورة الفرقان آية ٥٨.
(٦) سورة غافر آية ٥٥.
(٧) سورة ق آية ٣٩.
(٨) سورة الطور آية ٤٨.
(٩) سورة الواقعة آية ٧٤.
(١٠) سورة الواقعة آية ٩٦.
(١١) سورة الحاقة آية ٥٢.
(١٢) سورة الأعلى آية ١.
(١٣) سورة النصر آية ٣.

أما لفظ سَبِّحْهُ فقد ورد في آيات ثلاث:

قال تعالى:

١. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَأَدۡبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾(١).

٢. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ﴿٤٩﴾﴾(٢).

٣. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَٱسۡجُدۡ لَهُۥ وَسَبِّحۡهُ لَيۡلٗا طَوِيلٗا ﴿٢٦﴾﴾(٣).

كما ورد المدح بلفظ سبّحوا في آية واحدة:

قال تعالى:

١. ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ﴿١١﴾﴾(٤).

أما سبحان فلفظ ورد بمعنى التسبيح وجاء في المنجد إن سبحان مصدر، يقال '' سبحان الله '' أي ابرئ الله من السوء ويقال '' سبحان من كذا '' تعجباً منه وعلى معنى الإضافة أي سبحان الله من كذا، وهو منصوب على أنه مفعول مطلق، ويقال '' أنت أعلم بما في سبحانك'' أي بما في نفسك. وجاء في الكشف '' وسبحان الله '' وأنزهه من الشركاء وفي سورة الإسراء جاء في الكشاف '' سبحان '' علم للتسبيح كعثمان للرجل، وانتصابه بفعل مضمر متروك إظهاره، تقديره : اسبح الله سبحان، ثم نزل سبحان منزله الفعل فسدّ مَسَدَّه. ودل على التنزيه البليغ. وقال سيبويه: سبحان الله، أي ابرئ الله من السوء براءة وقالوا: '' سبحان الله '' تنزيه الله من السوء. وجاء في فتح القدير للشوكاني: سبحان: هو مصدر سبّح، يقال سبَّح يُسبِّح تسبيحاً وسبحاناً، مثل كفر اليمين وتكفيراً وكفراناً، ومعناه التنزيه والبراءة من كل نقص. وقال سيبويه: العامل فيه فعل لا من لفظه، والتقدير أنزه الله تنزيهاً، فوقع سبحان مكان تنزيهاً، فهو على هذا مثل قعد القرفصاء، واشتمل الصماء، وقيل هو عَلَمٌ للتسبيح كعثمان للرجل. وجاء في النحو الوافي لعباس حسن أن '' سبحان '' اسم مصدر بمعنى التسبيح مثل: حَمَاد، بمعنى: الحمد–نجد هذه الكلمات وأشباهها، تدل على الحدث المجرد، ولا تدل معه على ذات، ولا زمان، ولا نستطيع أن نسميها ،، مصادر، لأن كل واحدة منها صارت علم جنس '' يدل على المعنى الخاص به، فكلمة: '' بَرّه '' علم جنس على '' المبرة '' بمعنى: البر، و'' سبحان '' عَلَمُ جنس على التسبيح، و'' حَمَادِ '' عَلَم جِنْس على: الحمد، فهي ونظائرها أسماء مصادر. واسم المصدر '' وهو مقصور على السماع '' فقد قالوا في تعريفه: '' إنّه ما ساوى المصدر في الدلالة على معناه، وخالفه بِخُلُوّه لفظاً وتقديراً من بعض حروف عامله–الفعل، أو غيره–دون تعويض ''.

---

(١) سورة ق آية ٤٠.
(٢) سورة الطور آية ٤٩.
(٣) سورة الإنسان آية ٢٦.
(٤) سورة مريم آية ١١.

فاللفظ مثل: أخذ: أخذاً، تعلّم: تعلّماً، أي: أن تكون جميع حروفه موجودة منطوقاً بها. أما اشتماله على حروف الفعل الماضي تقديراً: أن يكون الحرف محذوفاً وعوض عنه بحرف آخر. كمجيء تاء التأنيث في آخر المصدر عوضاً عن واو الفعل في وعد: عِدَةً. وفي اسم المصدر لا بد من نقص بعض حروف الفعل الأصلية أو الزائدة. وأن يكون النقص بغير تعويض عنه، وبغير وجود المحذوف مقدراً. والفرق بين المصدر الأصلي واسم المصدر واضح (ولا سيما قصر '' اسم المصدر '' على السماع، أما المصدر الأصلي فمنه القياسي ومنه السماعي). واسم المصدر كالمصدر المجازي، كلاهما يدل مباشرة على الحدث المجرد من غير واسطة. ولكن كثيراً من المحققين يقولون إن اسم المصدر يدل مباشرة على لفظ المصدر لا على الحدث المجرد، وإن دلالته على لفظ المصدر تؤدي-تبعاً-إلى الدلالة على معنى المصدر، وبذا تكون دلالته على الحدث المجرد دلالة غير مباشرة، وإنما هي بالواسطة، إذ هي عن طريق المصدر. ومن أوضح أسماء المصادر كل اسم يدل على معنى مجرد، وليس له فعل من لفظه يجري عليه، كالقهقرى، ولا فعل له-في المشهور-يجري عليه من لفظه، وهو لنوع من الرجوع، وأسماء المصدر مقيدة بالسماع. إن بعض الباحثين المحققين ينكر وجود قسم مستقل يطلق عليه '' اسم المصدر '' وحجته: إن تعريف المصدر الأصيل ينطلق عليه. وهذا رأي قوي عسيرٌ دفعه.

رأي البصريين في المصدر والفعل وأيهما أصل الآخر؟(١)

يقول البصريون: المصدر هو الأصل، ويحتجون بأدلة:

١. أنه يدل على شيء واحد هو: المعنى المجرد، فهو '' بسيط ''.

٢. أما الفعل الماضي فيدل على شيئين، المعنى والزمن، فهو مركب. و'' البسيط'' أصل المركب.

رأي الكوفيين

أما الكوفيون فيقولون: الفعل الماضي هو الأصل الذي يدخله بعض التغيير. فتتفرع منه المشتقات، لأنه يدل على ما يدل عليه المصدر وزيادة، والذي يتضمن غيره والزيادة عليه يعد أصلاً له. وهذا-وغيره مما ذكره الفريقان-لا يعدو أن يكون أدلة جدلية، لها متعة الجدل، وليس لها قوة الحجة المنطقية، ولا صحة البرهان.

الإعراب:

وسبحان : مفعول مطلق منصوب لفعل محذوف وهو مضاف ونلاحظ أن هذا المصدر يكون دائماً مضافاً.

---

(١) أسرار العربية-أبو البركات عبد الرحمن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي صاحب الإنصاف-طبعة ليدن-ص٦٩.

البلاغة :

قال تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا﴾(١)، الظاهر أن الغرض من ذكر الليل، وإن كان الإسراء يدل عليه، تصوير للسير بصورته في ذهن السامع، لأن الإسراء لما دل على أمرين أحدهما: السير، والآخر: كونه ليلاً. أريد إفراد أحدهما بالذكر تثبيتاً في نفس المخاطب وتنبيهاً على أنه المقصود بالذكر. وقد ورد لفظ سبحان في ثماني عشرة آية: قال تعالى:

١. ﴿وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾﴾(٢).

٢. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾(٣).

٣. ﴿قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾﴾(٤).

٤. ﴿وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾﴾(٥).

٥. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾(٦).

٦. ﴿وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾﴾(٧).

٧. ﴿أَنْ بُورِكَ مَنْ فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا وَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٨﴾﴾(٨).

٨. ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾﴾(٩).

٩. ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾(١٠).

١٠. ﴿سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ﴾(١١).

١١. ﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾﴾(١٢).

١٢. ﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾﴾(١٣).

١٣. ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾(١٤).

---

(١) سورة الإسراء آية ١.
(٢) سورة يوسف آية ١٠٨.
(٣) سورة الإسراء آية ١.
(٤) سورة الإسراء آية ٩٣.
(٥) سورة الإسراء آية ١٠٨.
(٦) سورة الأنبياء آية ٢٢.
(٧) سورة المؤمنون آية ٩١.
(٨) سورة النمل آية ٨.
(٩) سورة القصص آية ٦٨.
(١٠) سورة الروم آية ١٧.
(١١) سورة يس آية ٣٦.
(١٢) سورة يس آية ٨٣.
(١٣) سورة الصافات آية ١٥٩.
(١٤) سورة الصافات آية ١٨٠.

١٤. ﴿ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ ﴾(١).

١٥. ﴿ سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾(٢).

١٦. ﴿ أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾(٣).

١٧. ﴿ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٤).

١٨. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾(٥).

وقد ورد لفظ سبحانك في تسعة مواضع:

قال تعالى:

١. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾(٦).

٢. ﴿ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ ﴾(٧).

٣. ﴿ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ ﴾(٨).

٤. ﴿ فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾ ﴾(٩).

٥. ﴿ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ ﴾(١٠).

٦. ﴿ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾(١١).

٧. ﴿ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ ﴾(١٢).

٨. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِنْ دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ ﴾(١٣).

٩. ﴿ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ ﴾(١٤).

---

(١) سورة الزخرف آية ١٣.
(٢) سورة الزخرف آية ٨٢.
(٣) سورة الطور آية ٤٣.
(٤) سورة الحشر آية ٢٣.
(٥) سورة القلم آية ٢٩.
(٦) سورة البقرة آية ٣٢.
(٧) سورة آل عمران آية ١٩١.
(٨) سورة المائدة آية ١١٦.
(٩) سورة الأعراف آية ١٤٣.
(١٠) سورة يونس آية ١٠.
(١١) سورة الأنبياء آية ٨٧.
(١٢) سورة النور آية ١٦.
(١٣) سورة الفرقان آية ١٨.
(١٤) سورة سبأ آية ٤١.

كما ورد لفظ '' سبحانه '' في أربعة عشر موضعاً:

قال تعالى:

١. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾(١).

٢. ﴿سُبْحَانَهُ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾(٢).

٣. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾﴾(٣).

٤. ﴿لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾﴾(٤).

٥. ﴿أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾﴾(٥).

٦. ﴿قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ هُوَ الْغَنِيُّ﴾(٦).

٧. ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾(٧).

٨. ﴿وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾(٨).

٩. ﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾﴾(٩).

١٠. ﴿مَا كَانَ لِلَّهِ أَن يَتَّخِذَ مِن وَلَدٍ سُبْحَانَهُ﴾(١٠).

١١. ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَٰنُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾(١١).

١٢. ﴿هَل مِن شُرَكَائِكُم مَّن يَفْعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيْءٍ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٠﴾﴾(١٢).

١٣. ﴿لَّوْ أَرَادَ اللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّاصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحَانَهُ﴾(١٣).

١٤. ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾(١٤).

---

(١) سورة البقرة آية ١١٦.
(٢) سورة النساء آية ١٧١.
(٣) سورة الأنعام آية ١٠٠.
(٤) سورة التوبة آية ٣١.
(٥) سورة يونس آية١٨.
(٦) سورة يونس آية ٦٨.
(٧) سورة النحل آية ١.
(٨) سورة النحل آية ٥٧.
(٩) سورة الإسراء آية ٤٣.
(١٠) سورة مريم آية ٣٥.
(١١) سورة الأنبياء آية ٢٦.
(١٢) سورة الروم آية ٤٠.
(١٣) سورة الزمر آية ٤.
(١٤) سورة الزمر آية ٦٧.

وقد ورد لفظ '' كفى '' في آيات عدة:

قال تعالى: ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾ في موضعين:

١. ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾(١).

٢. ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴾(٢).

﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾ في ثمانية مواضع:

١. ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٣).

٢. ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٤)

٣. ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٥).

٤. ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٦).

٥. ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴾(٧).

٦. ﴿ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ﴾(٨).

٧. ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴾(٩).

٨. ﴿ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا ﴾(١٠).

كما ورد المدح بـ ﴿ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ في ستة مواضع:

قال تعالى:

---

(١) سورة النساء آية ٦.
(٢) سورة الأحزاب آية ٣٩.
(٣) سورة النساء آية ٧٩.
(٤) سورة النساء آية ١٦٦.
(٥) سورة يونس آية ٢٩.
(٦) سورة الرعد آية ٤٣.
(٧) سورة الإسراء آية ٩٦.
(٨) سورة العنكبوت آية ٥٢.
(٩) سورة الفتح آية ٢٨.
(١٠) سورة الأحقاف آية ٨.

١. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(١).

٢. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(٢).

٣. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(٣).

٤. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾(٤).

٥. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(٥).

٦. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا﴾(٦).

وجاء في التنزيل ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا﴾ في موضعين:

قال تعالى:

١. ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾﴾(٧).

٢. ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ﴿٣١﴾﴾(٨).

وورد ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ في موضع واحد في سورة النساء آية ٧٠. كما ورد ﴿وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ﴾ في آية واحدة رقم ٤٧ من سورة الأنبياء. و﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٨﴾﴾ ووردت مرة واحدة في سورة الفرقان آية ٥٨.

كما ورد المدح بتقدم الجار والمجرور:

قال تعالى:

١. ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾﴾(٩).

٢. ﴿أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٥٤﴾﴾(١٠).

---

(١) سورة النساء آية ٨١.
(٢) سورة النساء آية ١٣٢.
(٣) سورة النساء آية ١٧١.
(٤) سورة الإسراء آية ٦٥.
(٥) سورة الأحزاب آية ٣.
(٦) سورة الأحزاب آية ٤٨.
(٧) سورة النساء آية ٤٥.
(٨) سورة الفرقان آية ٣١.
(٩) سورة القصص آية ٧٠.
(١٠) سورة الأعراف آية ٥٤.

كما ورد لفظ '' تعالى '' في آيات عدة مقترناً بلفظ '' سبحانه '' في سبعة مواضع:

قال تعالى:

١. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾(١).

٢. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٢).

٣. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٣).

٤. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤٣﴾ ﴾(٤).

٥. ﴿ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ ﴾(٥).

٦. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٦).

٧. ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٧).

وورد المدح بكلمة '' تعالى '' منفرداً في ستة مواضع:

قال تعالى:

١. ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٨).

٢. ﴿ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾(٩).

٣. ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾(١٠).

٤. ﴿ فَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾(١١).

٥. ﴿ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ ﴾(١٢).

٦. ﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾(١٣).

---

(١) سورة الأنعام آية ١٠٠.
(٢) سورة يونس آية ١٨.
(٣) سورة النحل آية ١.
(٤) سورة الإسراء آية ٤٣.
(٥) سورة القصص آية ٦٨.
(٦) سورة الروم آية ٤٠.
(٧) سورة الزمر آية ٦٧.
(٨) سورة الأعراف آية ١٩٠.
(٩) سورة النحل آية ٣.
(١٠) سورة طه آية ١١٤.
(١١) سورة المؤمنون آية ٩٢.
(١٢) سورة المؤمنون آية ١١٦.
(١٣) سورة الجن آية ٣.

كما مدح الله سبحانه جبريل في عديد من الآيات ولقبه بروح القدس أو روح الله لقب يبين علـو مكانته عند ربه:

قال تعالى:

١. ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(١) .

٢. ﴿وَءَاتَيْنَا عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(٢) .

٣. ﴿وَكَلِمَتُهُۥٓ أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾(٣) .

٤. ﴿إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾(٤) .

٥. ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ﴾(٥) .

٦. ﴿قُلْ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلْقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلْحَقِّ﴾(٦) .

٧. ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾(٧) .

٨. ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾(٨) .

٩. ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾﴾(٩) .

١٠. ﴿يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾(١٠) .

١١. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾(١١) .

١٢. ﴿تَعْرُجُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيْهِ﴾(١٢) .

١٣. ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا﴾(١٣) .

١٤. ﴿تَنَزَّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِم مِّن كُلِّ أَمْرٍ﴾(١٤) .

---

(١) سورة البقرة آية ٨٧.
(٢) سورة البقرة آية ٢٥٣.
(٣) سورة النساء آية ١٧١.
(٤) سورة المائدة آية ١١٠.
(٥) سورة النحل آية ٢.
(٦) سورة النحل آية ١٠٢.
(٧) سورة الإسراء آية ٨٥.
(٨) سورة الإسراء آية ٨٥.
(٩) سورة الشعراء آية ١٩٣، ١٩٤.
(١٠) سورة غافر آية ١٥.
(١١) سورة المجادلة آية ٢٢.
(١٢) سورة المعارج آية ٤.
(١٣) سورة النبأ آية ٣٨.
(١٤) سورة القدر آية ٤.

١٥. ﴿فَأَرْسَلْنَآ إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا﴾(١) .

١٦. ﴿الَّتِيٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾(٢) .

١٧. ﴿ذِى قُوَّةٍ عِندَ ذِى ٱلْعَرْشِ مَكِينٍ﴾(٣) .

١٨. ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾(٤) .

هذا وقد مدح الله سبحانه كتابه المنزل على رسوله في آيات عديدة :

قال تعالى:

١. ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾(٥)

٢. ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا﴾ (٦)

٣. ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ﴾ (٧)

٤. ﴿وَإِنَّهُۥ لَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (٨)

٥. ﴿بَصَآئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (٩)

٦. ﴿لِّلْمُحْسِنِينَ هُدًى وَرَحْمَةٌ﴾ (١٠)

٧. ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ (١١)

٨. ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ﴾(١٢)

٩. ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ (١٣)

١٠. ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَىْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ (١٤)

---

(١) سورة مريم آية ١٧.
(٢) سورة التحريم آية ١٢.
(٣) سورة التكوير آية ٢٠.
(٤) سورة التكوير آية ٢١.
(٥) سورة الحجر آية ٩.
(٦) سورة الكهف آية ٤٩.
(٧) سورة الفرقان آية ١.
(٨) سورة النمل آية ٧٧.
(٩) سورة القصص آية ٤٣.
(١٠) سورة لقمان آية ٣.
(١١) سورة السجدة آية ٣.
(١٢) سورة يس آية ٦٩.
(١٣) سورة فصلت آية ٤٢.
(١٤) سورة النحل آية ٨٩.

١١. ﴿ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴾ (١)

١٢. ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ﴾(٢)

١٣. ﴿ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٣)

١٤ ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴾ (٤)

١٥. ﴿ إِنَّهُۥ لَقَوْلٌ فَصْلٌ وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴾ (٥)

١٦. ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾ (٦)

الروح : القرآن الكريم.

كما ذكر الله سبحانه أنبياءه بالمدح والثناء ورفع شأنهم بين أقوامهم بالإيمان والعلم والأدب يمدهم بعونه وملائكته ليكونوا قادرين على أداء الأمانة وحمل الرسالة. وجاء ذلك بلفظ اصطفى، واصطفينا، واصطفاك، بمعنى الاختيار وصفاء الود وما اختيار الله لأنبيائه إلا ثناء عليهم وذكر لمآثرهم وأخلاقهم التي رباهم عليها ليكونوا صفوة خلقه.

اصطفاه : فضله واختاره.

وقد جاء ذلك في مواضع عدة :

قال تعالى :

١. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰٓ ءَادَمَ وَنُوحًا وَءَالَ إِبْرَٰهِيمَ وَءَالَ عِمْرَٰنَ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾(٧)

٢. ﴿ وَلَقَدِ ٱصْطَفَيْنَٰهُ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٨)

٣. ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ﴾ (٩)

٤. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُۥ بَسْطَةً فِى ٱلْعِلْمِ وَٱلْجِسْمِ ﴾ (١٠)

---

(١) سورة الواقعة آية ٧٧.
(٢) سورة الحشر آية ٢١.
(٣) سورة القلم آية ٥٢.
(٤) سورة التكوير آية ١٩.
(٥) سورة الطارق آية ١٣، ١٤.
(٦) سورة الشورى آية ٥٢.
(٧) سورة آل عمران آية ٣٣.
(٨) سورة البقرة آية ١٣٠.
(٩) سورة النمل آية ٥٩.
(١٠) سورة البقرة آية ٢٤٧.

٥. ﴿ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصْطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ ﴾ (١)

٦. ﴿ وَٱصْطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٢)

٧. ﴿ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى ﴾ (٣)

٨. ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴾ (٤)

٩. ﴿ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴾ (٥)

كما مدح الله نبيه وصفيه محمد بالخلق العظيم وأكرمه بأن يكون شفيعا لأمته شاهدا عليها وقد أيده الله بنصره وجعله بشيرا ونذيرا، كما أرسله رحمة للعالمين، بكتاب منزل فيه هدى ورحمة، وجعله أسوة حسنة وخاتم النبيين وأرسله كافة للناس، ووصفه سبحانه بأنه ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾(٦)، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ﴾(٧) ونفى عنه صفة السحر والجنون، لما له من مكانة رفيعة ومنزلة عالية عند ربه. وقد ورد ذلك في مواضع عدة من الذكر الحكيم :

قال تعالى :

١. ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾ (٨)

٢. ﴿ إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ ﴾ (٩)

٣. ﴿ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾ (١٠)

٤. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (١١)

٥. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (١٢)

٦. ﴿ إِنَّكَ لَعَلَىٰ هُدًى مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (١٣)

٧. ﴿ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِى رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾ (١٤)

---

(١) سورة آل عمران آية ٤٢.
(٢) سورة آل عمران آية ٤٢.
(٣) سورة الأعراف آية ١٤٤.
(٤) سورة فاطر آية ٣٢.
(٥) سورة ص آية ٤٧.
(٦) سورة النجم آية ٤.
(٧) سورة النجم آية ٣.
(٨) سورة آل عمران آية ١٤٤.
(٩) سورة التوبة آية ٤٠.
(١٠) سورة النحل آية ٨٩.
(١١) سورة الإسراء آية ١٠٥.
(١٢) سورة الأنبياء آية ١٠٧.
(١٣) سورة الحج آية ٦٧.
(١٤) سورة الأحزاب آية ٢١.

٨. ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾ (١)

٩. ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٢)

١٠. ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾ (٣)

١١. ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٤)

١٢. ﴿ إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴾ (٥)

١٣. ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ﴾ (٦)

١٤. ﴿ بَلْ جَآءَ بِٱلْحَقِّ وَصَدَّقَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ (٧)

١٥. ﴿ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ (٨)

١٦. ﴿ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ﴾ (٩)

١٧. ﴿ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ ﴾ (١٠)

١٨. ﴿ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴾ (١١)

١٩. ﴿ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا ﴾ (١٢)

٢٠. ﴿ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ﴾ (١٣)

٢١. ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴾ (١٤)

٢٢. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴾ (١٥)

٢٣. ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾ (١٦)

---

(١) سورة الأحزاب آية ٤٠.
(٢) سورة الأحزاب آية ٤٥.
(٣) سورة الأحزاب آية ٤٦.
(٤) سورة سبأ آية ٢٨.
(٥) سورة فاطر آية ٢٣.
(٦) سورة فاطر آية ٢٤.
(٧) سورة الصافات آية ٣٧.
(٨) سورة الشورى آية ٥٢.
(٩) سورة الفتح آية ٢٩.
(١٠) سورة ق آية ٤٥.
(١١) سورة الطور آية ٢٩.
(١٢) سورة الطور آية ٤٨.
(١٣) سورة النجم آية ٢.
(١٤) سورة النجم آية ٣.
(١٥) سورة النجم آية ٤.
(١٦) سورة الحشر آية ٧.

٢٤. ﴿ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ ﴾ (١)

٢٥. ﴿ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ ﴾ (٢)

٢٦. ﴿ مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ ﴾ (٣)

٢٧. ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ ﴾ (٤)

٢٨. ﴿ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ ﴾ (٥)

٢٩. ﴿ أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ ﴾ (٦)

٣٠. ﴿ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ ﴾ (٧)

٣١. ﴿ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ ﴾ (٨)

كما أن الله سبحانه وتعالى قد مدح أنبياءه إبراهيم ونوحا ولوطا وموسى وعيسى وإدريس وذا الكفل وسليمان وداود في آيات عدة :

أما سيدنا إبراهيم فقد مدحه الله في مواضع عدة من التنزيل الحكيم :

قال تعالى :

١. ﴿ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۖ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ ﴾ (٩)

٢. ﴿ وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ ﴾ (١٠)

٣. ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ﴿٧٥﴾ ﴾ (١١)

٤. ﴿ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (١٢)

٥. ﴿ وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ ۚ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا ﴾ (١٣)

٦. ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴾ (١٤)

---

(١) سورة التحريم آية ٨.
(٢) سورة الفتح آية ٢٨.
(٣) سورة القلم آية ٢.
(٤) سورة القلم آية ٤.
(٥) سورة التكوير آية ٢٢.
(٦) سورة الشرح آية ١.
(٧) سورة الشرح آية ٢.
(٨) سورة الشرح آية ٤.
(٩) سورة ال عمران آية ٩٥.
(١٠) سورة النساء آية ١٢٥.
(١١) سورة هود آية ٧٥.
(١٢) سورة النحل آية ١٢٠.
(١٣) سورة مريم آية ٤١.
(١٤) سورة الأنبياء آية ٥١.

٧. ﴿ قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ ﴾ (١)

٨. ﴿ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٢)

٩. ﴿ وَبَشَّرْنَٰهُ بِإِسْحَٰقَ نَبِيًّا مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴾ (٣)

١٠. ﴿ وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴾ (٤)

١١. ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ ﴾ (٥)

١٢. ﴿ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ ﴾ (٦)

كما مدح الله تعالى موسى عليه السلام في مواضع عدة :

وقد لقبه بالرسول وعبر عن حبه له واصطفاه واصطنعه لنفسه كما لقبه بالأعلى إذ نجاه من فرعون وقومه ووصفه بالحكمة والعلم والوجاهة.

قال تعالى :

١. ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مُوسَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (٧)

٢. ﴿ وَنَٰدَيْنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا ﴾ (٨)

٣. ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥ مِن رَّحْمَتِنَآ أَخَاهُ هَٰرُونَ نَبِيًّا ﴾ (٩)

٤. ﴿ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴾ (١٠)

٥. ﴿ وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى ﴾ (١١)

٦. ﴿ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾ (١٢)

٧. ﴿ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (١٣)

٨. ﴿ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ ﴾ (١٤)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٦٩.
(٢) سورة الصافات آية ١١١.
(٣) سورة الصافات آية ١١٢.
(٤) سورة النجم آية ٣٧.
(٥) سورة الحديد آية٢٦.
(٦) سورة الممتحنة آية ٤.
(٧) سورة مريم آية ٥١.
(٨) سورة مريم آية ٥٢.
(٩) سورة مريم آية ٥٣.
(١٠) سورة طه آية ٣٩.
(١١) سورة طه آية ٤١.
(١٢) سورة طه آية ٦٨.
(١٣) سورة القصص آية ١٤.
(١٤) سورة القصص آية ٣٥.

٩. ﴿ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾ (١)

١٠. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴾ (٢)

١١. ﴿ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾ (٣)

١٢. ﴿ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴾ (٤)

وقد مدح الله عيسى بن مريم في كتابه العزيز فوصفه بـ ''قول الحق'' و''رسول'' :

قال تعالى :

١. ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٥)

٢. ﴿ ذَٰلِكَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ ٱلْحَقِّ ﴾ (٦)

٣. ﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (٧)

كما مدح إسماعيل عليه السلام ووصفه بأنه صادق الوعد ورسول نبي مرضي عند ربه حريص على صلاته وأهله.

قال تعالى :

١. ﴿ وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ إِسْمَٰعِيلَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا ﴾ (٨)

٢. ﴿ وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُۥ بِٱلصَّلَوٰةِ وَٱلزَّكَوٰةِ وَكَانَ عِندَ رَبِّهِۦ مَرْضِيًّا ﴾ (٩)

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦٩.
(٢) سورة الصافات آية ١٢٠.
(٣) سورة الصافات آية ١٢٢.
(٤) سورة الصافات آية ١١٦.
(٥) سورة المائدة آية ٧٥.
(٦) سورة مريم آية ٣٤.
(٧) سورة الزخرف آية ٥٩.
(٨) سورة مريم آية ٥٤.
(٩) سورة مريم آية ٥٥.

كما مدح إسماعيل وإدريس وذا الكفل عليهم السلام ووصفهم '' بالصابرين '' و''الصالحين '' قال تعالى :

١. ﴿كُلٌّ مِّنَ الصَّابِرِينَ﴾ (١)

٢. ﴿وَأَدْخَلْنَاهُم فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُم مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾ (٢)

٣. ﴿وَاذْكُرْ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيسَ إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَّبِيًّا﴾ (٣)

٤. ﴿وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا﴾ (٤)

وقد مدح الله سبحانه يحي عليه السلام بصفات جليلة بأنه ''سيد'' و''حصور'' و''من الصالحين'' و''نبي'' وأن الله آتاه الحكم صبيًا أي العلم والحكمة وكان الله سبحانه يحنو عليه لتقواه وبره لوالديه وأكرمه تعالى بأن جعل السلام عليه حياً وميتاً وحين يبعث.

قال تعالى مخاطباً زكريا:

١. ﴿يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَىٰ مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾(٥)

٢. ﴿يَا يَحْيَىٰ خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ وَآتَيْنَاهُ الْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ (٦)

٣. ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا﴾ (٧)

٤. ﴿وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا﴾ (٨)

٥. ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾ (٩)

كما مدح شعيباً ربُه إذ وصفه بالحليم الرشيد :

قال تعالى : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ (١٠)

كما ورد مدح ليوسف عليه السلام في سورة يوسف حيث يقول تعالى:

﴿وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ﴾ (١١)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٨٥.
(٢) سورة الأنبياء آية ٨٦.
(٣) سورة مريم آية ٥٦.
(٤) سورة مريم آية ٥٧.
(٥) سورة آل عمران آية ٣٩.
(٦) سورة مريم آية ١٢.
(٧) سورة مريم آية ١٣.
(٨) سورة مريم آية ١٤.
(٩) سورة مريم آية ١٥.
(١٠) سورة هود آية ٨٧.
(١١) سورة يوسف آية ٥١.

وقد مدح الله سبحانه سيدنا لوطا في سورة الأنبياء:

قال تعالى :

١. ﴿ وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا ﴾ (١)

٢. ﴿ إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴾ (٢)

٣. ﴿ وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ﴾ (٣)

كما مدح الله سبحانه العذراء مريم بنت عمران :

قال تعالى :

١. ﴿ وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِن رُّوحِنَا وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴾ (٤)

٢. ﴿ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَاصْطَفَاكِ عَلَىٰ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴾ (٥)

٣. ﴿ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ ﴾ (٦)

وكذلك إسحاق ويعقوب حيث مدحهم الله سبحانه بأن لهما لسان صدق وجعلهم أنبياء وأئمة يهدون بأمر الله وكانوا لله عابدين.

قال تعالى :

١. ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴾ (٧)

٢. ﴿ وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴾ (٨)

٣. ﴿ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴾ (٩)

٤. ﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾ (١٠)

٥. ﴿ وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ ﴾ (١١)

---

(١) سورة الأنبياء آية ٧٥.
(٢) سورة الأنبياء آية ٧٥.
(٣) سورة الأنبياء آية ٧٤.
(٤) سورة الأنبياء آية ٩١.
(٥) سورة آل عمران آية ٤٢.
(٦) سورة المائدة آية ٧٥.
(٧) سورة مريم آية ٤٩.
(٨) سورة مريم آية ٥٠.
(٩) سورة الأنبياء آية ٧٢.
(١٠) سورة الأنبياء آية ٧٣.
(١١) سورة الأنبياء آية ٧٣.

أما المؤمنون والمؤمنات الذين استجابوا لدعوة الرسول محمد ﷺ فقد مدحهم الله بصفات جعل في بيانها تربية وتأديباً إلهياً لهم يعلمهم ربهم ما يحب من صفات عليهم الالتزام والتحلي بها: إنهم يأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، ويؤمنون بالله، إنهم تائبون، عابدون، راكعون، ساجدون، شاكرون لأنعمه، نزع الغل من قلوبهم وحلت محله السكينة والوقار والاستسلام لله بالطاعة والخلوص من الشرك، تتجافى جنوبهم عن المضاجع يدعون ربهم خوفاً من عقابه وغضبه، وطمعاً في رحمته وغفرانه ونواله، يزكون أموالهم ويتصدقون على فقرائهم، يَصْدُقون إذا وعدوا، ويلتزمون إذا عاهدوا ولم يغدروا. هكذا وصف الله عباده وهكذا أرادهم. يتخلقون بالأخلاق العالية ويتمسكون بالمكرمات والفضائل.

قال تعالى :

١. ﴿ فَالصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ ﴾ (١)

٢. ﴿ مُحْصَنَٰتٍ غَيْرَ مُسَٰفِحَٰتٍ وَلَا مُتَّخِذَٰتِ أَخْدَانٍ ﴾ (٢)

٣. ﴿ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ ﴾ (٣)

٤. ﴿ رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ ﴾ (٤)

٥. ﴿ وَٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۚ يَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ﴾ (٥)

٦. ﴿ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ ٱلسَّٰجِدُونَ ٱلْءَامِرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّاهُونَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِ ﴾ (٦)

٧. ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا ﴾ (٧)

٨. ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٨)

٩. ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ﴾ (٩)

١٠. ﴿ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴾ (١٠)

---

(١) سورة النساء آية ٣٤.
(٢) سورة النساء آية ٢٥.
(٣) سورة المائدة آية ٥.
(٤) سورة البينة آية ٨.
(٥) سورة التوبة آية ٧١.
(٦) سورة التوبة آية ١١٢.
(٧) سورة الحجر آية ٤٧.
(٨) سورة السجدة آية ١٦.
(٩) سورة الأحزاب آية ٢٣.
(١٠) سورة الزخرف آية ٦٩.

١١. ﴿ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم ﴾ (١)

١٢. ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴾ (٢)

١٣. ﴿ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا ﴾ (٣)

١٤. ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْكَبِيرُ ﴾ (٤)

١٥. ﴿ ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلصَّبْرِ وَتَوَاصَوْا۟ بِٱلْمَرْحَمَةِ ﴾ (٥)

١٦. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ ﴾ (٦)

كما مدح الله سبحانه غير ذي روح كالبيت العتيق والفجر، والضحى، والليل، والسماء، وأقسم بها لمكانتها للدلالة على عظمة خالقها ومبدعها وهي كثيرة في القرآن الكريم ونورد نموذجاً واحداً. قال تعالى :

١. ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِى بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَٰلَمِينَ ﴾ (٧)

٢. ﴿ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ ﴾ (٨)

أما النوع الثاني فهو الذي يأتي بذكر الألفاظ التي تدل على المدح العام مثل "نِعْمَ" وما جرى مجراها من الألفاظ مثل "حَسُنَ" و"طاب".

اللغات المستعملة في نعم :

ورد في اللسان أن في نعم أربع لغات:

١. نَعِمَ (بفتح أوله وكسر ثانيه).
٢. نِعِمَ (بكسر أوله وثانيه).
٣. نِعْمَ (بكسر النون وسكون العين).
٤. نَعْمَ (فتح النون وسكون العين).

---

(١) سورة الحديد آية ١٢.
(٢) سورة القيامة آية ٢٢.
(٣) سورة الإنسان آية ٥.
(٤) سورة البروج آية ١١.
(٥) سورة البلد آية ١٧.
(٦) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٧) سورة آل عمران آية ٩٦.
(٨) سورة الليل آية ١.

كما سُمِعَ '' نَعِيم '' بالإشباع، قال أبوحيان : '' وذلك شذوذٌ لا لغةٌ ''.

كما قال أبوحيان : (وذكر أصحابنا أن الأفصح، ''نِعْمَ'' وهي لغة القرآن ثم ''نِعِم'' وعليه قوله تعالى ﴿ فَنِعِمَّا هِيَ ﴾[1] ثم ''نَعِمَ'' وهي الأصلية، ثم ''نَعْمَ'').

وأعتقد أن الترتيب الأول هو الأفضل، لأن الصبان أورد الفتح فالكسر ''نَعِمَ'' في آخر الترتيب الذي ذكره. ومعلوم أن هذه اللغة هي الأصل المنقول عنه بقية اللغات، كما أن الحجازيين لا يجيزون فيها إلا هذه اللغة. جرياً على الأصل وعلى هذه اللغة ورد قول الشاعر :

ما أقلت قدماي إنهمُ نَعِمَ الساعون في الأمر المبِرّ[2]

أما لغة الفتح والسكون ''نَعْمَ'' التي قَدّمها الصبان على اللغة السابقة، فلم يذكر لها النحاة شاهداً، في كتب اللغة والنحو. من ألفاظ المدح الصريح كما ذكرنا: ''نِعْم''[3] وما جرى مجراها من الألفاظ التي تدل على المدح العام نصاً ويختص هذا الفعل عن ألفاظ المدح الصريح بأن له أحكاماً وأحوالاً خاصة به، دون نظائره.

وأشهر هذه الأحوال:

١. دلالة نِعْم على المدح العام واعتباره في هذه الحالة وحده فعلاً ماضياً، لازماً، جامداً لا بد له من فاعل. ومع أنه يعرب فعلاً ماضياً فإنه متجرد من دلالته الزمنية ومنسلخ عنها بعد أن تكونت منه ومن فاعله جملة (إنشائية غير طلبية) يقصد منها إنشاء المدح العام، من غير إرادة زمن ماض أو غير ماض.

وقد انتقل هذا الفعل إلى نوع خاص من (الإنشاء المحض غير الطلبي) لا دلالة فيه على زمن مطلقاً نحو: ''نعم أجر المخلصين'' ولجموده في هذه الحالة وحدها لا يكون له مضارع، ولا أمر، ولا شيء من المشتقات. وتلحقه تاء التأنيث-جوازاً-إذا كان فاعله اسماً ظاهراً مؤنثاً حقيقياً مثل: ''نعمت فتاةُ العمل والنشاط'' أما في غير هذه الحالة الخاصة بالمدح فهو فعل ماض متصرف دال على زمن مضى نحو: نَعِمَ العيشُ، ينعَمُ، فهو ناعم، أي لان واتسع.

---

١. سورة البقرة آية ٢٧١.

٢. قائلوه: طرفة بن العبد. ديوانه: ٧٣، ولسان العرب لابن منظور-مادة ''نِعْمَ''، والهَمْعْ للسيوطي: ٢٨/٥-برواية (ما أقلت قدمّ إنهم...)، وقد أورد سيبويه هذا الشاهد على لغة ''نِعِمَ'' في كتابه الكتاب: ٤٠٤/٤.

٣. النحو الوافي لعباس حسن: ٣٦٨/٣.

٢. قصر فاعله على أنواع معينة أشهرها ما يلي :

أ. المعرف بأل الجنسية في مثل: ''نعم الوالدُ عليٌّ'' فقد يراد منها الدلالة على الجنس حقيقة، فكأنك تمدح كل والد ويدخل في هذا التعميم عليّ، ثم تذكره بعد ذلك خاصة، فكأنك مدحته مرتين، إحداهما مع غيره، والأخرى وحده. وقد يكون المراد من المدح الجنس مجازاً، فكأنك جعلت الممدوح بمنزلة الجنس كله للمبالغة في المدح.

أما إذا كانت (أل) العهدية أي ''للعهد'' فقد تكون لشيء معهود في الذهن لم يذكر خلال الكلام، فتكون للعهد الذهني. فإن ورد في الكلام فهي للعهد الذِّكْرِيّ. كالتي في قولهم :

خير أيام الفتى يومٌ نَفَعْ فاتبع الحقَّ، فنعمَ المتَّبَعْ

و(أل) الجنسية أقوى وأبلغ في تأدية الغرض والعهدية أوضح وأظهر.

ب. المضاف إلى المعرف '' بأل '' الجنسية أو العهدية نحو: ''نِعْمَ رجلُ الحربِ خالدٌ''.

ج. المضاف إلى المعرف ''بأل''، نحو: ''نِعْمَ قارئُ كتبِ التاريخِ''، وقول الشاعر:

فَنِعْمَ ابن أختِ القومِ غيرَ مُكَذَّبٍ زهرٌ حسامٌ مفردٌ من خمائلِ [1]

د. الضمير المستتر وجوباً بشرط أن يكون ملتزماً الإفراد والتذكير، وعائداً على تمييز بعده، يفسر ما في هذا الضمير من الغموض والإبهام، نحو: ''نِعم قوماً العرب'' ففي هذا الفعل ضمير مستتر وجوباً تقديره ''هو'' مراداً منه الممدوح ويعود على التمييز ''قوماً'' أي: نِعْم القومُ قوماً ولا بد من مطابقة هذا التمييز لما يسمى ''المخصوص بالمدح'' بحيث يتطابقان تذكيراً، وتأنيثاً، وإفراداً، وغير إفراد نحو:

نِعْم رجلين: القائدُ والجنديُ.

نِعْم رجالاً: الحليمُ، والصبورُ والمتواضعُ.

نِعْم أو نِعْمت فتاةً: المجاهدةُ.

نِعْم أو نِعْمت فتاتين: المجاهدتان.

نِعْم أو نِعْمت فتيات: المجاهداتُ .

---

١. قائله: أبو طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم-شرح شواهد شروح الألفية للعيني: ٥/٤،شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٥/٢، شرح الألفية للأشموني: ٢٨/٣، والهمْع للسيوطي: ٣٠/٥.

ولا بد أن يكون التمييز صالحاً لقبول ''أل'' التعريف، فلا يصلح أن يكون من الكلمات المتوغلة-غالباً-في الإبهام، ككلمة غير، ومثل، وشبه. والأحسن اعتبار هذا التمييز من نوع: ''تمييز الذات''، أي ''تمييز المفرد'' لا تمييز النسبة. ومن أحكام هذا التمييز أنه-على الصحيح-لا يجوز حذفه مع استتار الضمير الفاعل العائد عليه، لكيلا يبقى الفاعل الضمير مبهماً، ليس له ما يفسره، فالتمييز يفسر الفاعل المستتر. فإن وجدت قرينة تدل على التمييز بعد حذفه، وتكون عوضاً عنه صح الحذف كالتاء في قولهم:

إن زرت الصديق فبها ونعمت، أي : نعمت زيارةً زيارتُك، ومنه قوله ﷺ: (من توضأ يوم الجمعة فبها ونعمت، ومن اغتسل فالغُسل أفضل). أي: فبالرخصة أخذ، ونعمت رخصةُ الوضوء.

ولا يصح تقديمه على نِعْم، ولا تأخيره عن ''المخصوص بالمدح'' ولهذا حكموا بالشذوذ على: نِعْم محمدٌ رجلاً، باعتبار ''محمد'' هو ''المخصوص بالمدح'' أما باعتباره فاعلاً فلا يصح، لأنه ليس من الأنواع التي تصلح فاعلاً. ويصح أيضاً أن يكون لهذا التمييز نعتٌ أو غيرُه من التوابع ومن أمثلة النعت قولهم ''إن الصدوق لنِعْم خلاً يصحبُ''. كما يصح أن يفصل بين الفعل والفاعل فاصل كقوله تعالى ﴿بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾[1] ويجوز تثنيته وجمعه، وبسبب هذا الجواز امتنع إبراز الفاعل المستتر، وتثنيته وجمعه اكتفاء بتثنية التمييز وجمعه، هذا ويجوز أن يجتمع في أسلوب المدح الفاعل الظاهر والتمييز نحو: نِعْم الشجاع رجلاً يقول الحق غير هيّاب.

هـ. كلمة: ''ما'' أو: ''من''، نحو: ''نِعْم ما يقول الحكيم المجرِّبُ'' ونحو: ''نِعْم من تصحبه عزيزاً''. وقيل أن ''ما'' تمييز، والفاعل ضمير مستتر تفسره ''ما'' وكذلك ''من''. فإذا وقعت ''ما'' بعد نِعْم جاز فيها إعرابات كثيرة، وأشهرها ما يأتي:

١. إعرابها حين يليها اسم منفرد (مثل : الزراعةُ نِعْم ما الحِرْفةُ) إما أن تكون تامة فاعلاً، وإما نكرة تامة تمييزاً، وفاعل ''نِعْم'' في هذه الصورة ضمير مستتر يعود على هذا التمييز، وتعرب الكلمة المنفردة التي بعدها (وهي: الاسم المنفرد) خبراً لمبتدأ محذوف أو مبتدأ والجملة التي قبلها خبر عنها.

---

١. سورة الكهف آية ٥٠.

٢. إعرابها حين يليها جملة فعلية، (مثل: نِعْم ما يقول العقلاء) وتعرب إما نكرة ناقصة، تمييزاً، والفاعل ضمير مستتر يعود عليها. والجملة بعدها صفة لها. وإما معرفة ناقصة، فاعلاً، والجملة بعدها صلتها.

٣. إعراب ''ما'' حين تنفرد فلا يليها شيء، (نحو: الرياضة نعمّا) إما أن تكون نكرة تامة فاعلاً وإما تمييزاً، والفاعل ضمير مستتر يعود عليها.

ففي كل الأحوال السابقة يجوز أن يكون الفاعل ضميراً مستتراً يعود على ''ما''. لا فرق بين أن تكون نكرة تامة، وناقصة، ومعرفة تامة. كما يجوز أن تكون ''ما'' باعتباراتها المختلفة فاعلاً. فإذا اعتبرناها نكرة ناقصة كانت الجملة بعدها صفتها. وإذا اعتبرناها معرفة ناقصة فالجملة بعدها صلتها. وإذا وقع بعدها كلمة منفردة، أو لم يقع بعدها شيء، فهي تامة، تعرب فاعلاً، أو تعرب تمييزاً والفاعل ضمير. ولما كان كل نوع من أنواع ''ما'' مختلفاً في دلالته اللغوية عن النوع الآخر، كان تعدد هذه الأوجه الإعرابية جائزاً حين لا توجد قرينة توجه المعنى إلى أحدها دون الآخر، فإذا وجدت القرينة وجب الاقتصار على ما تقتضيه، فليس الأمر على إطلاقه. ففي مثل: (لا أجد ما أتصدق به إلا اليسير، فيجيب السامع: نِعْم ما تجود به) تكون ''ما'' هنا نكرة موصوفة. فكأنه يقول: نِعْم شيئاً أيَّ شيء تجود به، وفي مثل: (أعطيتك الكتاب الذي طلبتَهُ، فتقول: نِعْم ما أعطيتني)، فكلمة ''ما'' هنا موصولة.

٣. امتناع توكيد فاعلهما المفرد الظاهر توكيداً معنوياً، فلا يصح ''نِعْم الرجل كلهم محمد''، ولا يصح: ''نِعْم الرجل نفسه، كله محمد''. أما إن كان الفاعل مثنى أو جمعاً جاز، نحو: ''نِعْم الصديقان كلاهما، محمد وعلي-نِعْم الأصدقاء كلهم محمد وعلي وحامد ...'' ومثلهما المثنى والجمع للمؤنث. أما التوكيد اللفظي فلا يمتنع، وكذلك: (البدل، والعطف). وأما النعت فيجوز إذا أريد به الإيضاح والكشف، لا التخصيص، كقول الشاعر:

نِعْم الفتى المُرّيُّ[1] أنت إذا هممْ ... حضروا لدى الحَجَرات[2]

فإذا كان الفاعل ضميراً مستتراً فلا يجوز أن يكون له تابع من نعت، أو عطف، أو توكيد، أو بدل.

---

١. المُرّيُّ: الملسوب لقبيلة مُرّة-المقصود به: سنان بن أبي حارثة المُرّيّ-نقلاً عن النحو الوافي لعباس حسن: ٣/٢٧٧.

٢. الحَجَرات: جمع حَجَره وهي شدة برد الشتاء وقد تقرأ حُجُرات.

٤. حاجة الفعل ''نِعْم'' إلى اسم مرفوع بعده هو المقصود بالمدح ويسمى ''المخصوص بالمدح'' وعلامته: أن يصلح مبتدأ، خبره الجملة الفعلية التي قبله مع استقامة المعنى، نحو: (نِعْم المغردُ البلبلُ). فالبلبل هو المخصوص بالمدح، ويصلح أن يكون مبتدأ، والجملة الفعلية قبله خبره، فتقول: ''البلبل نِعْم المغردُ''.

أهم الشروط التي يجب توافرها في المخصوص بالمدح:

يشترط في هذا المخصوص:

١. أن يكون معرفة، أو نكرة مختصة بوصف، أو إضافة، أو غيرهما من وسائل التخصيص.
٢. وأن يكون أخص من الفاعل، لا مساوياً له، ولا أعم منه.
٣. وأن يكون مطابقاً له في المعنى، (فيكون مثله في مدلوله تذكيراً، وتأنيثاً، وإفراداً، وتثنية، وجمعاً) وأن يكون متأخراً عن الفاعل، فلا يتوسط بينه وبين فعله، ويجوز تقدمه على الفعل والفاعل معاً. كما يجب تأخره عن التمييز إذا كان الفاعل ضميراً مستتراً له تمييز، نحو: ''نِعْم رجلاً المخترعُ''. أما إذا كان الفاعل اسماً ظاهراً فيجوز تقديم ''المخصوص'' على التمييز وتأخيره، فنقول: ''نِعْم العالِمُ رجلاً إبراهيمُ''، أو: ''نِعْم العالِمُ إبراهيمُ رجلاً''. وإذا كان المخصوص مؤنثاً جاز تذكير الفعل وتأنيثه، وإن كان الفاعل مذكراً، نحو: ''نِعْم الجزاءُ الهديةُ''، ''ونِعْم الشريكُ الزوجةُ''، أو ''نِعْمت الشريكُ الزوجة'' والتذكير في هذه الحالة أحسن ليطابق الفاعل.

حذف المخصوص:

يجوز حذف ''المخصوص'' إن تقدم على جملته لفظ يدل عليه بعد حذفه، ويغني عن ذكره متأخراً، ويمنع اللبس والخفاء في المعنى. ويسمى هذا اللفظ، ''المشعر بالخصوص''، سواء أكان صالحاً لأن يكون هو ''المخصوص'' أم غير صالح، ويعرب على حسب الحالة، مثل: ''سمعت شعراً عذباً لم أتعرّف صاحبه، ثم تبينت أنه البحتري، فنِعْم الشاعر''. أي: فنِعْم الشاعر البحتري. وقوله تعالى في نبيه أيوب: ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾، أي نِعْم العبد الصابر، ويصح '' نِعْم العبد أيوب ''. وعلى التقدير الأول يكون ''المشعر بالخصوص'' وهو كلمة: ''صابراً'' من النوع الذي لا يصلح أن يكون ''مخصوصاً'': لأنه نكرة غير مختصة، بخلافه على ''التقدير الثاني''.

إعراب المخصوص بالمدح :

المشهور إعرابان:

أحدهما: أن يكون مبتدأ مؤخراً، والجملة الفعلية التي قبلها خبر عنه.

وثانيهما: اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً، تقديره ''هو'' أو ''هي'' أو غيرهما مما يناسب المعنى، ويقتضيه السياق. مثلاً: ''نِعْم المغردُ البلبلُ''. ''البلبل'': هو المخصوص بالمدح وهو خبر لمبتدأ محذوف وجوباً تقديره ''هو'' أي نِعْم المغرد هو البلبل.

وهناك إعراب ثالث، هو: أن يكون المخصوص بالمدح مبتدأ وخبره محذوف، تقديره: الممدوح. ويلاحظ أن كلاً من هذه الأوجه الثلاثة المشهورة قائم على الحذف والتقدير، أو التقديم والتأخير، مع الركاكة والضعف، مع أن هناك رأياً آخر أولى بالاعتبار، لخلوه من تلك العيوب وغيرها، وهو: إعراب المخصوص بالمدح ''بدلاً'' من الفاعل، فيكون: ''البلبل'' بدلاً من: ''المغرد''. وهذا لو أخذنا بهذا الإعراب السهل الواضح كما يجوز في هذا المخصوص أن تعمل فيه النواسخ، نحو: ''نِعْم مداوياً الطبيب''، فالطبيب وهو المخصوص بالمدح اسم ''كان'' والجملة الفعلية قبلها خبرها.

القول في نِعْم وبِئْس أفعال هما أم اسمان[1] :

ذهب الكوفيون إلى أن ''نِعْم، وبِئْس'' اسمان مبتدآن وذهب البصريون إلى أنهما فعلان ماضيان جامدان لا يتصرفان، وإليه ذهب علي بن حمزة الكسائي من الكوفيين.

أما الكوفيون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنهما اسمان:

١ – دخول حرف الجر عليهما، نحو قولهم '' ما زيدٌ بِنِعْمَ الرجلُ '' وقيل أيضاً :''نِعْم السيرُ على بِئْسَ العيرُ ''. وقول حسان بن ثابت:

ألستُ بنِعْمَ الجارُ يؤلِفُ بيتَهُ أخا ثِقةٍ أو مُعْدِمَ المالِ مُصْرِما[2]

وحكى أبوبكر بن الأنباري عن أحمد بن يحي ثعلب عن سلمة عن الفراء أنَّ أعرابياً بُشِّرَ بمولودة فقال '' والله ما هي بنِعْم المولودة : نُصِرَتُها بكاء وبِرُّها سَرِقة '' ودخول حرف الجر على نِعْمَ و بئس في ما مرّ من الأمثلة يدل على أنهما اسمان. لأن حروف الجر لا تدخل إلا على الأسماء.

رأي البصريين في الرد على الكوفيين في قولهم دخول حرف الجر على نِعْم وبِئْس :

أما قول الكوفيين ''الدليل على أنهما اسمان دخول حرف الجر عليهما'' في قوله: ''ألست بنِعْمَ الجار يُؤْلِفُ بيته'' وقول بعض العرب: ''نِعْم السيرُ على بئسَ العيرُ''، وقول الآخر: ''والله ما هي بنِعْم المولودةُ''.

---

١. الإنصاف في مسائل الخلاف لأبي البركات عبد الرحمن بن محمد الأنباري: ٩٧/١.

٢. قائله: حسّان بن ثابت–الإنصاف في مسائل الخلاف للأنباري: ٩٧/١، الخزانة لعبد القادر البغدادي: ١٠٦/٤، شرح المفصل لابن يعيش:١٢٧/٧.

يقول البصريون: دخول حرف الجر عليها ليس لهم فيه حجة، لأن الحكاية فيه مُقَدَّرة، وحرف الجر يدخل مع تقدير الحكاية على ما لا شبهة في فعليته، قال الراجز:

والله ما لَيْلِي بِنَامَ صاحبُهْ ولا مُخالِطِ اللِّيَّانِ جانبُهْ [1]

ولو كان الأمر كما زعموا لوجب أن يحكم لنام بالاسمية، لدخول الياء عليه، وإذا لم يجز أن يحكم له بالاسمية لتقدير الحكاية يكون التقدير فيها (والله ما ليلي بليلٍ مقول فيه نام صاحبه) فكذلك هاهنا لا يجوز أن يحكم لنِعْم وبئس بالاسمية لدخول حرف الجر عليهما لتقدير الحكاية، والتقدير في قولك ''ألست بنِعْم الجارُ يؤلِفُ بيتهُ'' ألستُ بجار مقولٍ فيه نِعْم الجار، وكذلك في قولك ''نِعْم السيرُ على بئسَ العيرُ'' يكون التقدير (نِعْم السير على بعير مقولٍ فيه بئس العيرُ). وقول الآخر ''والله ماهي بنِعْم المولودة '' يكون التقدير (ما هي بمولودة مقول فيها نِعْم المولودةُ) إلا أنهم هاهنا حذفوا الموصوف وأقاموا الصفة مقامه، كقوله تعالى ﴿ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ ﴾ أي أعمل دروعاً سابغات.

وكذلك في قولهم ''جادت بِكَفَّيْ كان من أرْمى البشر'' أي: بِكَفَّيْ رَجُلٍ كان من أرمى البشر فحذف الموصوف الذي هو الرجل وأقام الجملة مقامه. فوقعت الإضافة إلى الفعل لفظاً أي ''بِكَفَّيْ : مضاف كان من أرمى البشر: مضاف إليه''، وإن كانت داخلة على غيره تقديراً، ويمكن أن تعتبر ''كان'' زائدة و ''من أرمى'' جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت للمنعوت المحذوف ألا وهو ''رجلٍ'' ويمكن أن نقول من باب التوسع في حذف الموصوف وإقامة الصفة مقامه في نحو قوله: (جاءوا بضيحٍ هل رأيت الذئب قط) [2] والتقدير جاءوا بضيح يقول من رآه هل رأيت الذئب قط، فإنه يشبهه. حيث نجد أن الصفة هنا جملة استفهامية إنشائية لا تحتمل الصدق ولا الكذب.

ويمكن أن تكون الجملة الأمرية حالاً في قوله :

بئس مقامُ الشيخ أمْرِسْ أمْرِسْ إمّا على قَعْوٍ، وإمَّا اقْعَنْسِسْ [3]

وأراد بئس مقام الشيخ مقولاً فيه أمْرِسْ أمْرِسْ و إنما جاءت هذه الأشياء في غير أماكنها لسعة اللغة، وحسَّنَ ذلك ما ذكرناه من إضمار القول، فدلَّ على أن ما تمسكوا به من دخول حرف الجر عليهما ليس بحجة يستند إليها ولا يعتمد عليها.

---

١. الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١/١١٢، لم أقف لهذا البيت على نسبة إلى قائل معين لكن ابن منظور أنشده في لسان العرب-باب (ن و م) ولم يعزه لأحد، وهو من شواهد الأشموني-باب نِعْمَ وبِئْس رقم ٧٤٤، وابن هشام في شرح قطر الندى رقم٨،والرضي في شرح الكافية-في أفعال المدح، انظر الخزانة لعبد القادر البغدادي: ٤/١٠٦.

٢. ينسب بعض الناس هذا الرجز إلى العجاج بن رؤبة الراجز المشهور، ولكن الأكثرين يقولون إنه لراجز لا يُعلَم، وكان قد نزل في قوم وانتظر طويلاً عساهم أن يأتوه بقِراه، وجاؤوه أخيراً بلبنٍ مشوب بماء فقال فيهم:

بتنا بعبدان ومَعْزَاهُ تَنِط تلحس أذنيه وحيناً تمتخط

ما زلت أسعى بينهم وألْتَبِط حتى إذا جنّ الظلام واختلط

جاؤوا بمَذْقٍ هل رأيت الذئب قط

٣. الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١/١٣٠، أنشد ابن منظور هذين البيتين في لسان العرب-باب (ق ع س-م ر س) ولم يَعْزُهما إلى مُعيّن. المُقام: اسم مكان الإقامة، أمْرِسْ:فعل أمر أصله المَرْس هو إعادة الحبل إلى مجراه في البكرة، واقْعَنْسِس: بمعنى تأخر وارجع إلى الخلف.

٢ – دخول أداة النداء على نِعْم وبئس يدل على أنهما اسمان مثل قول العرب: ''يا نِعْم المولى ويا نِعْم النصير'' فنداؤهم نِعْم يدل على الاسمية، والنداء من خصائص الأسماء، ولو كان فعلاً لما توجه نحوه النداء. ويرد الكوفيون على من يقول أن المنادى في ''يا نِعْم المولى ونِعْم النصير'' محذوف لدلالة حرف النداء عليه تقديره ''يا الله نِعْم المولى ونِعْم النصير'' فيقولون متفقين في ذلك مع البصريين ''إن المنادى إنما يقدر محذوفاً إذا ولي حرف النداء فعل أمر وما جرى مجراه، كقراءة الكسائي وأبي جعفر المدني ويعقوب الحضرمي وأبي عبد الرحمن السلمي والحسن البصري وحميد الأعرج: (ألا يا اسجدوا لله) والتقدير ''ألا يا هؤلاء اسجدوا لله''. وقال الشاعر:

أَمَسْلَمَ يا اسمعْ يا ابنَ كُلِّ خليفةٍ ويا سائسَ الدنيا ويا جبل الأرض[١]

والتقدير ''يا هذا اسمعْ'' فحذف المنادى لدلالة حرف النداء عليه. وقول الكوفيين ''إن هذا خاص بما إذا وقع بعد حرف النداء فعل'' غير صحيح لأن ''يا'' قد دخلت على الحرف نحو قول الله تعالى ''يا ليتني مت قبل هذا''، ''يا ليتنا نُرَدُّ ولا نكذب'' وقوله ''يا ليتني كنت معهم'' وقوله ''يا ليت قومي يعلمون''.

رأي البصريين في الرد على الكوفيين في قولهم دخول حرف النداء على نِعْم وبئس:

يقول البصريون: وأما قولهم ''إن العرب تقول: (يا نِعْم المولى ونِعْم النصير)''. فنقول: المقصود بالنداء محذوف للعلم به، والتقدير فيه: ''يا الله نِعْم المولى ونِعْم النصير أنت''. أما قولهم: ''إن المنادى إنما يقدر محذوفاً إذا ولي حرف النداء فعل أمر'' فليس بصحيح، لأنه لا فرق بين الفعل الأمري والخبري في امتناع مجيء كل واحد منهما بعد حرف النداء، إلا أن يقدر بينهما اسمٌ يتوجه النداء إليه، والذي يدل على أنه لا فرق بينهما مجيء الجملة الخبرية أو الجملة الأمرية بعد حرف النداء بتقدير حذف المنادى في مثل قول الشاعر:

يا لعنةُ اللهِ والأقوامِ كلِّهِمُ والصالحين على سِمْعَانَ من جار[٢]

وقول الآخر:

يا لعنَ اللهُ بني السَّعْلاتِ عمـــرو بنَ ميمونِ شِرارَ الناتِ

غـير أعفاء ولا أكياتِ[٣]

والتقدير ''يا قومُ''.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٠٢/١، ورد هذا البيت في لسان العرب لابن منظور–باب (ن ف ض) منسوباً إلى أبي نخيلة.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١١٨/١، وهذا البيت من شواهد ابن هشام في مُغْني اللبيب رقم ٦٢٠، ومن شواهد ''الكتاب'' لسيبويه: ٣٢٠/١، ومن شواهد شرح المفصل لابن يعيش: ص ١١٧٣.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١١٩/١، وهي من شواهد شرح الرضي على الشافية لابن الحاجب رقم ٢٢٣، وشرح المفصل لابن يعيش: ص ١١٣٨٠–الطبعة الأوروبية. وهذه الأبيات من الرجز المشطور وهي لعلباء بن الأرقم اليشكري أحد شعراء الجاهلية، الذات: الناس، أكيات: أكياس وهي جمع كيِّس وهو الحاذق الفطن.

وقال الآخر:

يا قاتل الله صبياناً تجيء بهم أمُّ الهُنَيْبِـرِ من زَنْدٍ لها واري[1]

والتقدير ''يا قومُ''.

٣ – الدليل على أنهما ليسا بفعلين (في رأي الكوفيين أيضاً) أنه لا يحسن إقتران الزمان بـــهما كسائر الأفعال، ألا ترى أنك لا نستطيع أن نقول ''نِعْم الرجلُ أمسِ'' أو ''نِعْم الرجلُ غـــداً'' وكذلـك بِئْس. فلما لم يحسن إقتران الزمان بهما عُلِمَ أنهما ليسا بفعلين.

رأي البصريين على قول الكوفيين من أنه لا يحسنُ إقتران الزمان بهما[2]:

يقول البصريون: وأما قولهم ''إنه لا يحسنُ إقتران الزمان بهما، فلا يقال: نِعْم الرجلُ أمـــسِ، ولا بِئْسَ الغلام غداً، ولا يجوز تصرفهما''. فنقول: إنما امتنعا من اقترانهما بالزمان الماضي، وما جاء التصرف لأن ''نِعْم'' موضوع لغاية المدح و''بِئْس'' موضوع لغاية الذم، فجعل دلالتـــهما مقصـــورة على الآن، لأنك إنما تمدح وتذم بما هو موجود في الممدوح أو المذموم، لا بما كـــان فـــزال، ولا بمـــا سيكون ولم يقع.

٤ – ويضيف الكوفيون على أن نِعْم وبئس ليسا بفعلين إنهما غير متصرفين، لأن التصـــــرف من صفة الأفعال.

٥ – واحتج الكوفيون بأن قالوا إنه قد جاء عن العرب ''نَعِيْمَ الرجلُ زيدٌ'' وليس فـــي أمثلـــة الأفعال فعيلٌ البتّه فدل على أنهما اسمان لا فعلان.

رأي البصريين على الكوفيين في نَعِيْمَ:

يقول البصريون: وأما قولهم ''إنه قد جاء عن العرب نَعِيمَ الرَّجُلُ'' فهذا مما ينفرد بروايته أبـو علي قُطْرُبٌ، وهي روايةٌ شَاذَّةٌ، وإن صحت فليس فيها حجة، لأن نِعْمَ أصله نَعِمَ على وزن فَعِلَ–بكســر العين–فاشبع الكسرة فنشأت الياء كما قال الشاعر:

تنفي يداها الحصى في كُلِّ هاجرةٍ نَفْيَ الدَّراهِيْمِ تنقادُ الصَّيَارِيفُ[3]

أراد الدراهمَ والصيارف.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١١٩/١، وأنشده ابن منظور في لسان العرب–باب (هـ ن ب ر)، وهـــذا البيـت للقَتّال الكلابي واسمه عبيد بن المضرجي. وأنشد بعده:

من كل أعلم مشقوقٌ وتيرته لم يوف خمسة أشبار بشبّار

الهُنَيْبِر: الضبع الصغير، أم الهُنَيْبِر: الضبع، أبو الهُنَيْبِر: الضبعان، البواري: السمين، الأعلم: المشقوق الشفة العليـــا، الوتـــيرة: إطار الشفة.

(٢) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٠٣/١.

(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٢١/١، ولم يُذكَر قائله.

والذي يدل على أن أصل نِعْم ''نَعِمَ'' أنه يجوز فيها أربعُ لغات:

أ. نَعِمَ-بفتح النون وكسر العين-على الأصل.

ب. نَعْمَ- بفتح النون وسكون العين.

ج. نِعِمَ-بكسر النون والعين.

د. ونِعْمَ-بكسر النون وسكون العين.

١. فمن قال نَعِمَ-بفتح النون وكسر العين-أتى بها على الأصل كقراءة ابن عامر وحمزة والكسائي والأعمش وخلف (فَنَعِمًا)-بفتح النون وكسر العين-وكما قال طرفة:

ما أَقَلَّتْ قَدَمٌ ناعِلَها ... نَعِمَ السَّاعون في الأمرِ المُبِرّ[١]

٢. ومن قال نَعْمَ-بفتح النون وسكون العين-حذف كسرة العين، كقراءة يحي بن وثّاب (فَنَعْمَ عُقْبَى الدار) بفتح النون وسكون العين، وكما قال الشاعر:

فإن اهجُهُ يَضْجَرْ كما ضَجَرَ بازِلٌ ... من الأُدْمِ دَبَرَتَ صفحتاه وغاربُهْ[٢]

وقال الآخر:

إذا هَدَرَت شقاشِقُهُ ونَشْبَتْ ... له الأظفارُ تُرْكَ لَهُ المدارُ[٣]

أرادَ ''نشِبَت، وتُرِك''، وقال أبوالنجم العجلي:[٤]

هَيَّجَها نَضْحٌ مِنَ الطَّلِّ سَحَرْ
وَهَزَّتِ الرِّيحُ النَّدَى حين قَطَرْ
لَوْ عُصْرَ منها البانُ المسكُ انْعَصَرْ

أرادَ ''عُصِرَ''، وقال الآخر:

رُجْمَ به الشَّيْطَانُ مِنْ هَوَانِهِ[٥]

أرادَ ''رُجِمَ''، وقال الآخر:

ونُفْخُوا في مدائنِهم فطاروا[٦]

أرادَ ''ونُفِخُوا''.

---

(١) هذا البيت من كلام طرفة بن العبد البكري (د٧٣). الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٢٢/١، وقد أنشد الرضي في شرح الكافية: ٢٩٠/٢، وشرحه البغدادي في الخزانة: ١٠١/٤، وابن منظور في اللسان-باب (ن ع م). وقد اختلفت الرواية في صدر هذا البيت اختلافاً كبيراً فيروى: (ما أقلت قدمٌ ناعلها، ما أقلت قدماي إنهم، ما أقلت قدمي إنهم).

(٢) هذا البيت للأخطل التغلبي، من قصيدة يهجو فيها كعب بن جعيل. ورد في الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٢٣/١، وقد أنشد صاحب اللسان-باب (ض ج ر)، وصاحب الكشاف في تفسير سورة النساء: ١٨٣/١-طبعة بولاق. الأُدم: جمع آدم أو أُدماء والأدم الأسمر اللون، دَبَرَتَ: جَرُبَتْ، غاربه: أعلاه.

(٣) ورد هذا البيت في الإنصاف: ١٢٤/١، ولم أقف له على قائل. شقاشقة: جمع شِقْشِقة وأصله شيء كالرئة يخرجه البعير إذا هاج.

(٤) هذه الأبيات الثلاثة من الرجز المشطور لقائلها أبو النجم العجلي. وردت في الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٢٤/١،وأنشدها ابن منظور في اللسان-باب (ع ص ر). النضح: رشاش الماء، الطل: المطر الضعيف.

(٥) ورد في الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٢٥/١، ولم نقف له على قائل.

(٦) هذا عَجُز بيت من كلام القطامي وصدره (ألم يخزِ التفرق حبذ كسرى)، وأنشده ابن منظور في لسان العرب-باب (ن ف خ).

٣. ومن قال نِعِمَ-بكسر النون والعين-كسر النون اتباعاً لكسرة العين، كقراءة زيد بن علي والحسن البصري ورؤبة (الحمدِ للَّهِ) بكسر الدال إتباعاً لكسر اللام، وكقراءة إبراهيم بن أبي عبلة (الحمدُ لُلَّهِ) بضم اللام إتباعاً لضمة الدال، وكقولهم ''مِنتِن'' بكسر الميم إتباعاً لكسرة التاء، وكقولهم أيضاً ''مُنتُن'' بضم التاء إتباعاً لضمة الميم.

٤. ومن قال نِعْمَ-بكسر النون وسكون العين-نقل كسرة العين من نَعِمَ-بفتح النون وكسر العين-إلى النون، وعليها أكثر القراء، فكلما جاز فيها هذا الأربع اللغات دَلَّ على أن أصلها نَعِمَ على وزن فَعِلَ، لأن كل ما كان على وزن فَعِلَ من الاسم والفعل وعينه حرف من حروف الحلق فإنه يجوز فيه أربع لغات، فالإسم نحو: فَخِذَ وفِخِذَ وفَخْذَ وفِخْذَ، والفعل نحو: قد شَهِدَ وشِهِدَ وشَهْدَ وشِهْدَ، على ما بينا في نِعْم، وإذا ثبت أن الأصل في نِعْمَ نَعِمَ كانت الياء في ''نَعِيمَ الرجلُ'' إشباعاً، فلا يكون فيه دليل على الاسمية، فدل على أنهما فعلان لا اسمان، والله أعلم.

رأي البصريين في نِعْم وبِئْس:[1]

١. احتج البصريون بأن نِعْم وبِئْسَ فعلان لإتصال ضمير الرفع بهما كما يتصل بالفعل المتصرف وقد جاء عن العرب أنهم قالوا: ''نِعْما رجلين، ونعموا رجالاً'' وحكى ذلك الكسائي، ومع ذلك فإن نِعْم وبِئْسَ يرفعان إسماً ظاهراً في نحو ''نِعْم الرجلُ عليٌّ، وبِئْسَ الغلامُ قيسٌ'' ومضمراً في نحو ''نِعْم رجلاً خالدٌ، وبِئْسَ غلاماً قيسٌ''.

٢. وقال بعضهم بأن نِعْم وبِئْس فعلان لإتصالهما بتاء التأنيث الساكنة التي لا تقلب هاءً في الوقف وذلك كقولهم ''نِعْمت المرأةُ، وبِئْسَتْ الجارية'' وهذه التاء المفتوحة يختص بها الفعل الماضي فلا تتعداه.

إعتراض الكوفيين:

اعترض الكوفيون على هذا بأن قالوا: قولكم ''إن هذه التاء يختص بها الفعل'' ليس صحيحاً. لأنها قد اتصلت بالحروف في قولهم ''رُبَّت، وثُمَّت، ولات'' في قوله تعالى ''ولات حين مناص'' وكقول النهشلي الشاعر:

ماويَّ بل رُبَّتها غارةٍ شعواء كاللذعةِ بالميْسَمِ[2]

وقول الآخر:

ثُمَّتَ قُمْنا إلى جُرْدٍ مُسَوَّمَةٍ أعرافهُنَّ لأيدينا مناديلُ[3]

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ٩٧/١.

(٢) هذا البيت لضمرة بن ضمرة النهشلي وهو من شواهد ابن عقيل رقم ٢١٦.

(٣) هذا البيت من قصيدة مستجادة لعبدة بن الطيب وهي المفضلية رقم ٢٦. جُرْد: الخيل القصيرة الشعر، المُسَوَّمة: المعلمة، التي عليها علامة معروفة، أعرافهن: جمع عُرْف وهو الشعر الذي في عنق الفرس.

إسقاط البصريين لهذه الحجة وهي إتصال تاء التأنيث بالحروف "رُبَّ ، وثم ، ولا"

بين البصريون أن حجة الكوفيين في هذا الشأن باطلة من ثلاثة أوجه :

١. إن تاء التأنيث التي تلحق الفعل والتي هي خاصة من خصائصه ساكنة مثل ''قامتْ، وقعدتْ، وأقامتْ'' فتجد تاء التأنيث اللاحقة لهذه الأفعال ساكنة، بخلاف التاء اللاحقة بثم، ورب، ولا. فإنها متحركة حيث نقول: ثُمَّتَ، رُبَّتَ، ولاتَ. وهذه التاء ليست تلك.

٢. إن تاء التأنيث اللاحقة بالأفعال والتي هي خاصة من خصائص الفعل الماضي إنما تلحق الفعل لتخبر أن فاعله مؤنث مثل قولنا ''قامَتْ هندُ، وقعدتْ سعادُ، وسافرتْ سعدى'' فنأتي بهذه التاء البتة مع الفاعل المؤنث للفرق بين فعل المذكر وفعل المؤنث. ولا يكفي ذكر الفعل بدون التاء إذا كان الفاعل اسم يشترك في التسمية به المذكر والمؤنث نحو جهاد مثلاً فإذا كان جهاد مذكراً قلنا: ''قام جهادُ'' وإذا كانت جهاد مؤنثاً وجب القول: ''جاءت جهادُ'' لبيان نوع الفاعل، مؤنثاً كان أم مذكراً. والفرق بين هذه التاء التي تلحق الفعل الماضي والتي تدل على أن الفاعلَ مؤنث وبين التاء اللاحقة لرُبَّ وثم ولا فليست بهذه المنزلة، بل المراد بها تأنيث اللفظ نفسه أي المراد بها تأنيث الحرف ''رب، وثم ولا'' لا لتأنيث شيء آخر وهي ليست مثل التاء اللاحقة بنِعْم وبِئْس وقد أُلحقت بهما لتأنيث الاسم الذي أسند إليهما، أما التاء المتحركة في ''رب، ثم، ولا'' تثبت مع المذكر فنقول: ''رُبَّتَ رجلٍ أهنتُ'' و''رُبَّتَ امرأةٍ أكرمتُ''.

٣. إن لحاق هذه التاء لهذه الحروف شاذ عن القياس بالإجماع من البصريين والكوفيين والحكم فيما عدا هذه الكلمات المحفوظة المعروفة باقٍ على أصله لا ينقضه شيء.

رأي البصريين في لات :(١)

كما احتج البصريون على ''لاتَ'' بقولهم أن التاء غير مزيدة فيها، وإذا كانت التاء مزيدة فالجواب من أربعة أوجه:

١. إن التاء متحركة وليست ساكنة كتاء التأنيث اللاحقة بالفعل الماضي فهي إذن ليست كالتي في نِعْمَ وبِئْسَ.

٢. إن التاء في ''رُبَّتَ، وثَمَّتَ، ولاتَ'' جاءت لتأنيث الحرف ولم تأتِ لتدل على الفاعل المؤنث كما في نِعْمَ وبِئْسَ.

٣. إن الكسائي كان يقف عليها بالهاء، فاحتج بأنه سأل أبا فقعس الأسدي عنها فقال: ''وَلاَهْ'' فهي إذن ليست بمنزلة رُبَّت وثمَّتَ، ولاً بمنزلة التاء في نِعْمت وبِئْسَت.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٠٨/١.

نِعْم في القرآن الكريم

ورد فعل ''نِعْم'' ثمانية عَشرَ مرة في ست عشرة آيةً من التنزيل، تسع آيات مكية وسبع آيات مدنية، ورد ''نِعْم أجر العاملين'' في ثلاثة مواضع، و''نِعْم المولى'' في موضعين، و''نِعْم النصير'' في موضعين، و''نِعْم الوكيل'' في موضع واحد، و''نِعْم العبد'' في موضعين، و''نِعْم الثواب'' في موضع واحد، و''لنِعْم دار المتقين'' في موضع واحد، و''فنِعْم عقبى الدار'' في موضع واحد، و''فنِعْم الماهدون'' في موضع واحد، و''فنِعْم القادرون'' في موضع واحد، و''فلنِعْم المجيبون'' في موضع واحد، و''فنعما، نعما'' في موضعين.

قال تعالى:

١. ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(١)

٢. ﴿ وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ ﴾(٢)

٣. ﴿ فَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَىٰكُمْ ۚ نِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ وَإِن تَوَلَّوْا۟ ﴾(٣)

٤. ﴿ سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ ۚ فَنِعْمَ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴾(٤)

٥. ﴿ وَلَدَارُ ٱلْءَاخِرَةِ خَيْرٌ ۚ وَلَنِعْمَ دَارُ ٱلْمُتَّقِينَ ﴾(٥)

٦. ﴿ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(٦)

٧. ﴿ وَٱعْتَصِمُوا۟ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ فَنِعْمَ ٱلْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ ٱلنَّصِيرُ ﴾(٧)

٨. ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(٨)

٩. ﴿ وَلَقَدْ نَادَىٰنَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ ٱلْمُجِيبُونَ ﴾(٩)

١٠. ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(١٠)

---

(١) سورة آل عمران آية ١٣٦.
(٢) سورة آل عمران آية ١٧٣.
(٣) سورة الأنفال آية ٤٠.
(٤) سورة الرعد آية ٢٤.
(٥) سورة النحل آية ٣٠.
(٦) سورة الكهف آية ٣١.
(٧) سورة الحج آية ٧٨.
(٨) سورة العنكبوت آية ٥٨.
(٩) سورة الصافات آية ٧٥.
(١٠) سورة ص آية ٣٠.

١١. ﴿ إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴾(١)

١٢. ﴿ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۚ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾(٢)

١٣. ﴿ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴾(٣)

١٤. ﴿ فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ ٱلْقَٰدِرُونَ ﴾(٤)

١٥. ﴿ إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ﴾(٥)

١٦. ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴾(٦)

الإعراب :

١. ففي الآية الأولى ''ونِعْم أجر العاملين'' نجد أن:

نِعْم : فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح.

أجر : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف.

العاملين : مضاف إليه مجرور. والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم والمخصوص المدح وهو الخبر المحذوف تقديره الجنة. والجملة استئنافية لا محل لها من الإعراب.

٢. ''ونِعْم الوكيل''

الواو : عاطفة أو إستئنافية.

نِعْم : فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح.

الوكيل : فاعل مرفوع بالضمة. والجملة الفعلية من نِعْم وفاعلها في محل رفع خبر مقدم والمخصوص بالمدح مبتدأ مؤخر وهو محذوف وتقديره الله. والجملة: إما معطوفة في محل نصب على ''حسبنا الله'' أو إستئنافية لا محل لها من الإعراب.

---

(١) سورة ص آية ٤٤.
(٢) سورة الزمر آية ٧٤.
(٣) سورة الذاريات آية ٤٨.
(٤) سورة المرسلات آية ٢٣.
(٥) سورة البقرة آية ٢٧١.
(٦) سورة النساء آية ٥٨.

والآيات التالية كلها بنفس الإعراب. باستثناء آيات قليلة ففي الآية ٢٧١ من سورة البقرة وقعت الجملة الفعلية ''فنِعِمّا هي'' جواباً للشرط واقترنت بالفاء:

١. ''إن تبدو الصدقات فنِعِمّا هي''

الفاء : واقعة في جواب الشرط.

نِعِم : فعل ماض جامد لإنشاء المدح.

ما : اسم معرف بمعنى الشيء في محل رفع فاعل. والجملة الفعلية في محل رفع خبر مقدم.

هي : ضمير منفصل في محل رفع مبتدأ مؤخر. والجملة الاسمية ''فنِعِمّا هي'' في محل جزم جواب الشرط.

وفي الآية ٥٨ من سورة النساء فقد كانت جملة ''نِعِمّا يعظكم به'' خبراً لإن.

٢. ''إن الله نِعِمّا يعظكم به''

إن : حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية فينصب المبتدأ ويسمى اسمها ويرفع الخبر ويسمى خبرها.

الله : لفظ الجلالة اسم إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

نِعِم : فعل ماض جامد لإنشاء المدح. الفاعل ضمير مستتر وجوباً تقديره هو.

ما[1] : نكرة موصوفة مبني في محل نصب تمييز للضمير المستتر.

يعظكم : فعل مضارع مرفوع، والفاعل ضمير مستتر. و كم: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. والجملة الفعلية في محل نصب صفة لـ''ما'' التمييز. والجملة الفعلية ''نِعِمّا يعظكم به'' في محل رفع خبر مقدم والمخصوص بالمدح مبتدأ مؤخر محذوف تقديره العدل والجملة الاسمية ''نِعِمّا يعظكم به'' في محل رفع خبر إن.

وفي الآية ٣٠ من سورة النحل ''ولدار الآخرة خير ولنِعْم دار المتقين''، وفي الآية ٧٥ من سورة الصافات ''ولقد نادانا نوح فلنِعْم المجيبون'' وقعت الجملتان جواباً للقسم.

٣. ''ولنِعْم دار المتقين''

الواو : حرف عطف.

نِعْم : فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح.

دار : فاعل مرفوع بالضمة وهو مضاف.

---

(١) وقد تكون اسم موصول (فاعل)، يعظكم: صلة الموصول وهو الأرجح في رأيي. (الباحث)

المتقين : مضاف إليه مجرور بالياء لأنه جمع مذكر سالم. والجملة الفعلية خبر مقدم لمبتدأ محذوف تقديره الجنة. والجملة الاسمية معطوفة على الجملة التي قبلها ويمكن أن تعرب جواب قسم مقدّر.

٤. ''ولقد نادانا نوح فلنِعْم المجيبون''

الواو : استئنافية.

الفاء : حرف عطف.

اللام : لام القسم المقدر.

نِعْم : فعل ماضٍ جامد لإنشاء المدح.

المجيبون : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم. وجملة ''نِعْم المجيبون'' في محل رفع خبر مقدم لمبتدأ محذوف تقديره نحن. والجملة الاسمية ''لنِعْم المجيبون'' جواب القسم لا محل له من الإعراب.

نِعِمَّا والقراءات

سبب أن ذكرنا أن في نِعْمَ أربعَ لغات، ومن ثم فقد ورد فيها عدة قراءات: (١)

١. قراءة ابن كثير وورش وحفص ''آيتي البقرة والنساء'' ''فَنِعِمّا'' بكسر النون والعين، ووجه هذه القراءة على لغة من يحرك العين فيقول: ''نَعِمَ'' على الأصل فيها ويتبع حركة النون بحركة العين فيكسرها وهي لغة هذيل(٢). وقال آخرون يحتمل أن تكون هذه القراءة على لغة من اسكن فلما دخلت ما وأدغمت حُرِّكت العين لالتقاء الساكنين.

٢. قراءة ابن عامر، وحمزة والكسائي وخلف ''نَعِما'' بفتح النون وكسر العين، وحجتهم في هذه القراءة أنه أتى بالكلمة على أصلها، وتركوا الأول على فتحه.

٣. قراءة أبي عمر، وأبي بكر، وقالون، بكسر النون وإخفاء حركة العين، وحجتهم في هذه القراءة(٣) أنه كسر النون لكسرة العين، وأسكن العين استخفافاً لتوالي كسرتين، فلما اتصل الفعل بـ''ما'' وأدغمت الميم في الميم ثقلت الكلمة بالكسرتين والإدغام وطالت فلم يكن إسكان العين للتخفيف، لئلا يجتمع ساكنان: العين وأول الإدغام، فاخض كسرة العين استخفافاً، والذي خفيت حركته في الوزن والحكم كالمتحرك إلا أنه أخف من المتحرك، وقد رُوِيَ عن أهل الإخفاء الاختلاس، وهو أحسن.

---

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي: ٣١٦/١، النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ٢/(٢٣٥، ٢٣٦)، البحر المحيط لأبي حيان: ٢٢٣/٢.

(٢) الكتاب لسيبوية: ٤٤٠/٤.

(٣) الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي: ٣١٦/١.

٤. قراءة أبي جعفر بكسر النون وإسكان العين، وروي هذه القراءة أيضاً العراقيون والمشوقيون قاطبة عن أبي عمرو، وقالون وأبي بكراً ولا يبالون من الجمع بين الساكنين لصحة روايته، وورود لغة، وقد اختاره الإمام أبو عبيده أحد أئمة اللغة، وقال الإسكان فيما يروي لغة النبي ﷺ في هذا اللفظ، حيث قال لعمرو بن العاص: ''نِعْما المال الصالح للرجل الصالح'' وقد أنكر هذه اللغة أبو العباس، وأبو إسحاق، أبو علي لأن فيه جمعاً لساكنين على غير حده. وقال أبو العباس: لا يقدر أحد أن ينطق به، وإنما يروم الجمع بين ساكِنَيْن، ويحرك ولا يأتيه. وقال أبو إسحاق: لم تضبط الرواةُ اللفظ في الحديث وقال أبو علي: ''لعل أبا عمرو أخفى فظنه السامع إسكاناً، وقد أتى على أكثر القراء''. ولكن أبا حيان يرى صحة هذه القراءة، وينكر رأي من ينكرها حيث قال: ''وإنكار هؤلاء فيه نظر لأن أئمة القراءة لم يقرأوا إلا بنقل عن رسول الله ﷺ، وحتى تطرق إليهم فيما سواه، والذي نختاره ونقوله: ''إن القراءات السبع متواتره لا يمكن وقوع الغلط فيها''. والذي أراه أن هذه القراءة ليس فيها شيء يضعفها فقد ذكر -كما تقدم- أنها لغة النبي ﷺ في هذا اللفظ، كما حكى سيبويه: أن العرب تلزم نِعْم وبِئْس الإسكان. وروى الحافظ أبو عمرو الداني الوجهين عن سيبويه، ثم قال: ''والإسكان آثر، والإخفاء أقْيَس'' ونخلص من ذلك كله أنّ هذه القراءةَ لا تتعارض مع اللغة الصحيحة المأثورة.

٥. قراءة يحي بن وثاب ''فَنَعْمَ عُقبى الدار'' بفتح النون وسكون العين، ووجه هذه القراءة أنه حذف كسرة العين فَسُكِّنَت وبقيت النون مفتوحة على الأصل، وقد روى هذه القراءة ابن الأنباري في الإنصاف، والرضي في شرح الكافية.

أفعال مدح وذم

لقد درج النحاة على أن يقرنوا بين نِعْمَ وبِئْسَ في الأحكام النحوية والأمثلة عليها. وأنا أحاول أن أفصّل في هذه الأحكام مفرداً لكل فعل من هذين الفعلين باباً خاصاً به وأمثلة لكل واحد منهما في معزل عن صاحبه، لتكون الدراسة أكثر وضوحاً وأبيَن لدى القارئ. لذلك نقول أن لكل فعل تحتويه الجملة المفيدة معنى واحداً مناسباً، يُكتفى به، ولا ينضم إليه معنى آخر، كالمدح أو التعجب مثلاً. ولكن النحاة ذكروا أنه من الممكن أن يدل الفعل على معناه الخاص مع الزيادة في الدلالة على معنى عام هو المدح، ويصاغ هذا الفعل من كل فعل مستوفيا للشروط الآتية:

أ. أن يكون ثلاثياً، متصرفاً، تاماً، مثبتاً، قابلاً للتفاوت، ليس الوصل منه على أفعل فعلاء.

ب. أن يكون على وزن ''فَعُل''-بضم العين- سواء أكان مصوغاً من أول الأمر على هذا النحو نقلاً عن العرب، مثلاً: شَرُف، كَرُمَ، وحَسُنَ. أم لم يكن، كفَهِم، وجَهِلَ، وبَرَعَ فيصير، فَهُم، وجَهُل، وبَرُعَ. وضم العين في هذه الأفعال جعلتها قاصرة كنِعْم، ولا تكون إلا لازمة. وحتى

الأفعال المتعدية تصبح لازمة إذا صيغت على وزن ''فَعُل''. والفعل الذي يصاغ على وزن ''فَعُل''-''بقصد تأديته لمعناه اللغوي المعين، مع المدح الخاص به، ومع الإشعار بالتعجب''- يقتضي الأحكام التالية:

١. اعتبار الفعل بعد تلك الصياغة لازماً، مجرداً من الدلالة الزمنية، وجامداً ''فلا مضارع له، ولا أمر، ولا غيرهما من بقية المشتقات''.
٢. صحة تحويل الفعل الثلاثي الصحيح، غير المضعف، تحويلاً مباشراً-إلى صيغة ''فَعُل'' يفيد بعد التحويل إلى جانب معناه اللغوي معنى المدح الخاص، مع التعجب تبعاً لمعناه اللغوي الأصلي قبل التحويل ففي مثل: ''فَهِمَ المتعلمُ-عَدَلَ الحاكم'' نقول: فَهُمَ المتعلم-عَدُلَ الحاكم، فيفيد التركيب الجديد معنى الفعل في اللغة، مزيداً عليه مدح المتعلم بالفهم فقط، ومدح الحاكم بالعدل فقط، مع التعجب في الحالتين. ولا فرق في هذا التحويل وإثارة بين الثلاثي مفتوح العين، أو مكسورها، أو مضمومها.
٣. يجوز في الفعل بعد تحويله إما إبقاؤه على صورته الجديدة ''فَعُل'' وإما تسكين عينه المضمومة فنقول ''فَعْلَ، فَهْمَ المتعلمُ، عَدْلَ الحاكمُ''. وأما تسكين عينه بعد نقل حركتها-وهي الضمة- إلى أوله فنقول ''فُهْمَ المتعلمُ، عُدْلَ الحاكمُ''.
٤. وإذا تم تحويل الفعل على وزن ''فَعُلَ'' صار بمنزلة ''نِعْمَ'' يجري من الأحكام ما يجري عليه، فيحتاج إلى فاعل من نوع فاعله، وقد يحتاج إلى تمييز، وإلى مخصوص. ويسري على فاعله وتمييزه ومخصوصه كل الأحكام التي تسري حين يكون الفعل ''نِعْم''.

وينفرد فاعل الفعل الذي تم تحويله على وزن ''نَعُم'' عن فاعل ''نِعْم'' بأمور أهمها:

١. صحة وقوعه اسماً ظاهراً خالياً من ''أل'' مثل ''عَدُل عُمَرُ''.
٢. كثرة جره بالباء الزائدة إن كان اسماً ظاهراً فيجر لفظاً ويرفع محلاً ''حَمُدَ بالجار معاشرة''.
٣. صحة رجوعه-إن كان ضميراً-إلى شيء سابق عليه، فيطابقه حتماً مثل: ''الأمين وَثُقَ رجلاً'' ''الأمينان وَثُقا رجلين''-''الأمناء وَثُقُوا رجالاً'' أو إلى التمييز المتأخر عيه فلا تصح مطابقته، بل يلتزم الإفراد والتذكير، شأنه شأن فاعل ''نِعْم'' إذا كان ضميراً مستتراً فنقول ''الأمينان وَثُقَ رجلين'' ''الأمينون وثُقَ رجالاً''.

ويخالف الفعل الذي يصاغ على وزن ''فَعُل'' الفعل ''نِعْم'' في ستة أمور: (١)

١. إشرابه التعجب.
٢. كونه للمدح الخاص.
٣. جواز خلو فاعله من ''أل'' ''نَعُمَ عُمَرُ''.

---

(١) النحو الوافي لعباس حسن: ٣/٣٩٠.

٤. كثرة جر فاعله بالباء الزائدة ''سَعُد بالرفيق مزاملةً''.

٥. جواز عودة الفاعل المضمر ومطابقته لما قبله ''المحمدون كرموا رجالاً''.

٦. جواز عودة الفاعل المضمر على التمييز المتأخر ولا تصح المطابقة ''المحمدون كَرُم رجالاً''.

ويصاغ الفعل المضعف على وزن ''فعُل'' بفك التضعيف أولاً ثم يُحول إلى وزن ''فَعُل'' مثل: لَجَّ-لجُجَ، فَرَّ-فَرُرَ. ثم يعود إلى الإدغام فيصير كما كان: لجَّ، فَرَّ ''لجَّ القطُّ مواءً، وفَرَّ الرجلُ جباناً'' ''لجَّ بالقطِّ مواءً، وفرَّ بالرجلِ جباناً'' ويجوز حذف الفتحة من أول الفعل لتحل مكانها الضمة التي في عين الفعل فتصير: فَرَر، فَرُرَ، فُرْرَ، فُرَّ وتصير الجملة[1]: ''فُرَّ الرَّجُلُ جباناً، فُرَّ بالرجل جباناً'' ''لجَّ القطُّ مواءً، لُجَّ بالقطِّ مواءً''. ومن المضعف الذي تجدي عليه هذه القواعد-الفعل، ''حَبَّ'' بشرط ألا يكون فاعله ''ذا'' ويمكن أن نقول ''حُبَّ''.

حسُن في القرآن

ورد لفظ حَسُنَ في القرآن الكريم مرة واحدة في سورة النساء. قال تعالى:

﴿ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ﴾[2]

كما ورد لفظ حَسُنَت في التنزيل مرتين في سور الكهف والفرقان. قال تعالى:

﴿ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِۖ نِعۡمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتۡ مُرۡتَفَقٗا ﴾[3]

﴿ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ حَسُنَتۡ مُسۡتَقَرّٗا وَمُقَامٗا ﴾[4]

الإعراب:

وَحَسُن أولئك رفيقاً

حَسُن : فعل ماض مبني على الفتح لإنشاء المدح الخاص.

أولاء : اسم إشارة مبني في محل رفع فاعل. والكاف: للخطاب.

رفيقاً : تمييز منصوب بالفتحة والمخصوص بالمدح الخاص محذوف أي الممدوحون وجملة ''حسن أولئك رفيقاً'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

---

(١) النحو الوافي لعباس حسن: ٣/٣٩٠.

(٢) سورة النساء آية ٦٩.

(٣) سورة الكهف آية ٣١.

(٤) سورة الفرقان آية ٧٦.

حَسُنَتْ مرتفقاً

حَسُنَ : فعل ماض مبني على الفتح لإنشاء المدح الخاص. التاء: تاء التأنيث لا محل لها من الإعراب. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هي يعود على الجنة.

مرتفقاً : تمييز منصوب بالفتحة والمخصوص بالمدح محذوف أي الجنة وجملة ''وحسنت مرتفقا'' معطوفة على جملة ''نعم الثواب'' الاستئنافية لا محل لها من الإعراب.

حَسُنَتْ مستقراً

حَسُنَ : فعل ماض مبني على الفتح لإنشاء المدح الخاص. التاء: تاء التأنيث الساكنة لا محل لها من الإعراب. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هي يعود على الجنة.

مستقراً : تمييز منصوب بالفتحة. والمخصوص بالمدح محذوف أي الغرفة. والجملة الاسمية ''حسنت مستقراً'' في محل نصب حال من الغرفة بتقدير ''قد''.

حسُن والقراءات

وقد قرأ الجمهور: ''وحَسُنَ'' بفتح الحاء وضم السين وهي الأصل في فَعُل وقرأ أبو السمال وحَسْنَ بسكون السين وهي لغة تميم، ويجوز حُسْنَ بسكون السين وضم الحاء على تقدير نقل حركة السين إليها، وهي لغة بعض بني قيس. ويرى الزمخشري في الكشاف أن فعل ''حَسُنَ'' يراد به معنى التعجب كأنه قيل: وما أحسن أولئك رفيقاً، وكذلك في آية الكهف ''وحسنت مرتفقاً'' وآية الفرقان ''حسنت مستقراً''. وقد علّل قراءة: من قرأ ''حَسْنَ'' بسكون السين بعد فتح الحاء لاستقلال الفعل حينئذٍ بمعنى التعجب، يقول المتعجِّبُ: حَسُنَ الوجهُ وجهُك، وحَسْنَ الوجهُ وجهُك، ويبدو أن الزمخشري سلك مسلك الأخفش والمبرد في أن ما يجوز أن يلحق بباب نِعْمَ أو بِئْسَ، ويجعل فاعله كفاعلهما يشترط فيه ألا يدخله معنى التعجب، فإذا دخله معنى التعجب، فلا يجري مجرى نِعْمَ أو بِئْسَ في الفاعل ولا بقية أحكامهما بل يكون فاعله ما يكون مفعولاً لفعل التعجب. وينكر أبو حيان[1] مذهب الزمخشري في ذلك، ويرى أن ''فَعُلَ'' المراد به المدح يلحق بباب نِعْمَ فقط، ولا يلحق بفعل التعجب حتى ولو كان يتضمن معناه، ولذا فإن ''حَسُنَ'' في الآيات السابقة تدل على المدح وهي ملحقة بنِعْمَ. وأرى أن رأي أبي حيان هو الأولى بالقبول وهو رأي العكبري أيضاً كما ورد في الإملاء، ولأن بعض النحاة اشترط أن يكون الفعل الذي يجوز استعماله على فَعُل بقصد المدح صالحاً للتعجب منه، مضمناً معناه كما ورد في شوح الأشموني. ويقول ابن يعيش شارح مفصل الزمخشري: ''لك أن تذهب بسائر الأفعال مذهب نِعْمَ في المدح فتحولها إلى فَعُل فتقول: عَلُمَ الرجُلُ زيدٌ، وجاءَ الثوبُ ثوبُهُ، وإذا تعجبت فهو مثل: ''نِعْم الرجلُ زيدٌ'' تمدحُ وأنت متعجِّبٌ فدل ذلك على أنَّ فَعُل المراد به المدح لا يمنع من إلحاقه بنِعْمَ تُضَمِّنُهُ معنى

(١) البحر المحيط لأبي حيان: ٣٨٩/٣.

التعجب.

النوع الثالث: الدعاء الذي يراد به المدح

الدعاء في القاموس: دعا في المعجم الوسيط:[1]

دعا: دعا بالشيء دَعْواً، ودعوةً، ودعاءً، ودعوى. معناه: طلب إحضاره، يقال: دعا بالكتاب، ودعا الشيء إلى كذا: احتاج إليه. ويقال: دَعَتْ ثيابُهُ: اخلقت واحتاج إلى أن يلبس غيرها. ودعا الطيب أنفه: وجد ريحَه فطلبه. ودعا فلاناً: صاح به وناداه. ويقال: دعا الميت: ندبه. ودعا الله: رجا منه الخير. ودعا لفلان: طلب الخير له. ودعا على فلان: طلب له الشر. ودعا إلى الشيء: حثّه على قصده. يقال: دعاه إلى القتال، ودعاه إلى الصلاة، ودعاه إلى الدين وإلى المذهب: حثّه على اعتقاده. ودعاه: ساقة إليه. يقال: دعاه إلى الأمير. ويقال: ما دعاه أن يفعل كذا: ما اضطره ودفعه. ودعا القوم دُعاءً ودعوةً، ومدعاةً: طلبهم ليأكلوا عنده داعي البناء: هدمه. وداعي فلاناً: حاجاه وفاطنه.

ودعا في المنجد:[2]

دعاه دعاءً ودعوى: ناداه، رغب إليه، استعانه، ودعا الميتَ: ندبَهُ كأنّه ناداه. ودعاه إلى الأمر: ساقه إليه. ودعا به: استحضره. ودعا دعوةً ومدعاةً فلاناً: طلبه ليأكل عنده. ودعا دعاءً له: رجا له الخير. ودعا عليه: طلب له الشر. ودعا إليه: طلب إليه. تَدَعّى، تَدَعّيات النائحةِ: رفعت صوتها واهتزت في نوحها. تداعى القوم: دعا بعضهم بعضاً. إندعى اندعاءً لدعوته: أجاب. إدّعى الشيء: أجاب. استدعى استدعاءً استدعاه: صاح به. واستدعى الشيء: طلبه، استلزمه. الدعاءُ جمعَه أدْعِيَةٌ: مصدر دعا. الدّعوة: الحلف، الدعاء. يقال ''لهم الدعوة على غيرهم'': أي يبدأ بهم في الدعاء. كنا في دعوة فلان: كنا في ضيافته وطعامه. الداعي: اسم فاعل جمعه دعاةٌ ومؤنثه داعية وجمعها داعيات، ودواعٍ: من يدعو الناس إلى دينه ومذهبه والدعاء عند المسلم: طلب الخير من الله لنفسه ولمن يدعو لهم، فالدعاء هو الاستعانة بالله على جلب الخير، والهداية، والوصول إلى الجنة، أو الإستغاثة لدرء الشر ورد الضلالة والبعد عن النار فهو إذن استعانة أو استغاثة. وقال الله سبحانه: ''أجيب دعوة الدّاع إذا دعان''. والدعاء يكون بدعوة الله سبحانه. يقول تعالى: ''قال ربكم ادعوني أستجب لكم إن اللذين يستكبرون عن عبادتي ...''. فدعاء الله والاستعانة به والإلحاح في الدعاء تعبد يحبه الله، والمؤمن ملحاح في دعائه لا يكل ولا يمل. والصلاة لغة هي الدعاء قال تعالى: ''واصبر نفسك مع اللذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه'' واللذين يدعون: اللذين يصلون الصلوات الخمس. وتختلف جمل الدعاء في العربية:

---

(١) المعجم الوسيط-دار الدعوة-مصر-باب دعا-ص٢٨٦.

(٢) المنجد في اللغة والأعلام-دار المشرق-بيروت-الطبعة ٢٨-١٩٨٦م-باب دعا-ص٢١٦.

١. فهي قد تبدأ بالفعل مثل: رضي الله عنه، كرم الله وجهه، وبارك الله فيك.

٢. وقد تبدأ بالاسم مثل: رحمة الله عليه، سلام الله عليه.

٣. وقد تبدأ باللام ومدخوله نحو: لك الله، لك الحمد، لك السعد.

وما يخصنا في هذا الأمر هو دلالة الدعاء إلى معنى إضافي هو المدح. ''فسلام الله عليه'' إلى جانب المعنى الأصلي الذي يقصد به دعوة الله للمدعو له بأن يسلم عليه ويرضى عنه هناك معنى إضافي يبينه وهو المدح وقد ورد أسلوب المدح هذا بذكر ألفاظ محددة مثل: السلام، ورضي، وطوبى وطاب. وقد ورد لفظ سلام في مواضع عدة من التنزيل الحكيم منها:

قال تعالى:

١. ﴿وَإِذَا جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾(١)

٢. ﴿وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَن سَلَامٌ عَلَيْكُمْ﴾(٢)

٣. ﴿قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ﴾(٣)

٤. ﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ﴾(٤)

٥. ﴿سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾(٥)

٦. ﴿يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٦)

٧. ﴿وَسَلَامٌ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُبْعَثُ حَيًّا﴾(٧)

٨. ﴿وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ وُلِدتُّ وَيَوْمَ أَمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا﴾(٨)

٩. ﴿قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَىٰ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ﴾(٩)

١٠. ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾(١٠)

---

(١) سورة الأنعام آية ٥٤.
(٢) سورة الأعراف آية ٤٦.
(٣) سورة هود آية ٤٨.
(٤) سورة هود آية ٦٩.
(٥) سورة الرعد آية ٢٤.
(٦) سورة النحل آية ٣٢.
(٧) سورة مريم آية ١٥.
(٨) سورة مريم آية ٣٣.
(٩) سورة طه آية ٤٧.
(١٠) سورة النمل آية ٥٩.

١١. ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾(١)

١٢. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ﴾(٢)

١٣. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ إِبْرَٰهِيمَ﴾(٣)

١٤. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾(٤)

١٥. ﴿سَلَٰمٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾(٥)

١٦. ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾(٦)

١٧. ﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(٧)

١٨. ﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ الْيَمِينِ﴾(٨)

١٩. ﴿ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ﴾(٩)

كما ورد لفظ رضي الله في الآيات الآتية: وهو بجانب دلالته على الدعاء فإنه يدل على معنىً إضافي وهو المدح قال تعالى:

١. ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(١٠)

٢. ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ﴾(١١)

٣. ﴿رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَٰئِكَ حِزْبُ اللَّهِ﴾(١٢)

٤. ﴿رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَشِيَ رَبَّهُ﴾(١٣)

وكذلك ''طبتم'' فقد ورد في آية واحدة هي: قال تعالى:
﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ﴾(١٤)

---

(١) سورة يس آية ٥٨.
(٢) سورة الصافات آية ٧٩.
(٣) سورة الصافات آية ١٠٩.
(٤) سورة الصافات آية ١٢٠.
(٥) سورة الصافات آية ١٣٠.
(٦) سورة الصافات آية ١٨١.
(٧) سورة الزمر آية ٧٣.
(٨) سورة الواقعة آية ٩١.
(٩) سورة ق آية ٣٤.
(١٠) سورة المائدة آية ١١٩.
(١١) سورة التوبة آية ١٠٠.
(١٢) سورة المجادلة آية ٢٢.
(١٣) سورة البينة آية ٨.
(١٤) سورة الزمر آية ٧٣.

طوبى

قال تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾[1]

ويحسن بنا أن نقف على كلمة ''طوبى'' التي أفادت الدعاء كما دلت على معنى إضافي هو المدح لخصوصيتها واختلاف الأقوال فيها. وقد مر التنويه عنها طوبى: على وزن ''فُعْلى'' من الطيب وكما ورد في المعجم الوسيط. الطوبى: الحسنى. والطوبى: الخير. و''طوبى'' في التنزيل العزيز: ''طوبى لهم'': كل مستطاب في الجنة من بقاء بلا فناء، وعز بلا زوال، وغنىً بلا فقر. والطوبى: كما جاء في المنجد بمعنى الغبطة، والسعادة، والخير، والخيرة. يقال ''طوبى لك'': أي لك الحظ والعيش الطيب. و''طوباك'' بالإضافة وقيل هي لحسن. طوبى: كان الأصل ''طيبى'' فصير إلى واو لمكان الضمة فيها. ويقال: طوبى لك وطوباك. قال يعقوب: ولا تقل: طوبيك. وجاء في ''التهذيب'': إن العرب تقول طوبى لك وتقول طوباك. وهذا قول أكثر النحويين إلا الأحنش فإنه قال: من العرب من يضيفها فيقول: طوباك. وقال أبو بكر: طوباك إن فعلت كذا. قال: هذا مما يلحن فيه العوام، والصواب: طوبى لك إن فعلت كذا وكذا. وقالوا: طوبى: شجرة في الجنة. وقرأ ثعلبة: ''طوبى لهم وحُسْنَ مآب'' فجعل ''طوبى'' مصدراً كقولك: سقياً له. ونظيره من المصادر الرجعي، واستدل على أن موضعه نصب بقوله: ''وَحُسْنَ مآبٍ''. وهو خلاف ما ذهب إليه سيبويه إلى أنَّ موضع ''طوبى'' الرفع عطف عليه بقوله: ''وحُسْنُ مآبٍ'' مرفوعاً. قال الزجاج: جاء في التفسير عن النبيﷺ: أن ''طوبى'' شجرة في الجنة. وقيل: طوبى لهم: حُسْنى لهم، وقيل: خير لهم، وقيل: خيرة لهم. وقيل طوبى اسم الجنة بالهندية وقيل بالحبشة. قال الصاغاني: فعلى هذا ينبغي أن تكون في الهندية ''توبا'' بالتاء، وذلك لأن الطاء غير معروفة في الهندية. وقال قتادة: طوبى كلمة عربية، تقول العرب: طوبى لك إن فعلت كذا وكذا وأنشد:

طوبى لمن يستبدل الطود بالقرى ورسلاً بيقطين العراق وفومها

أقول: ومن قال: طوبى عربية فقد أدرك الصواب، وذلك لأن الأصل ''طَوَبَ، طَيَبَ'' من الأصول العربية القديمة في العربية وسائر أخواتها من اللغات السامية.

---

(١) سورة الرعد آية ٢٩.

أسلوب التفضيل

و''أفعل التفضيل'': تسمية اصطلاحية للصيغة التي على وزن: ''أفْعَل'' لتدل على التفضيل أو المفاضلة، ''وهي: الزيادة في أمر حسن أو قبيح'' و''أفعل التفضيل'' يدل-في الأغلب-على إشتراك شيئين في معنى خاص، وزيادة أحدهما على الآخر فيه. ويصاغ أفعل التفضيل من فعل:

١. ثلاثي.
٢. تام.
٣. مثبت.
٤. قابل للتفاوت.
٥. مبني للمعلوم.
٦. متصرف-ليس الوصف منه على وزن أفعل فعلاء.

وقد ورد ''أفْعَل التفضيل'' في القرآن الكريم ليبين معنى المدح بالإضافة إلى دلالته الأصلية وهو ثلاثة أقسام:

١. أن يكون مجرداً من ''أل'' والإضافة.

أ. ويأتي متلواً بالمُفَضَّل عليه، مجروراً بمن، ويلزم الإفراد والتذكير وقد ورد في عدة مواضع من الذكر الحكيم قال تعالى:

١. ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ ﴾(١)

٢. ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴾(٢)

٣. ﴿ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾(٣)

٤. ﴿ ٱلنَّبِىُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾(٤)

ب. ويجوز حذف حرف الجر ''من'' والمفضل عليه القرينة. وقد ورد ذلك في آيات عديدة. قال تعالى:

١. ﴿ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٥)

٢. ﴿ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴾(٦)

---

(١) سورة الحديد آية ١٠.
(٢) سورة غافر آية ٥٧.
(٣) سورة الزخرف آية ٤٨.
(٤) سورة الأحزاب آية ٦.
(٥) سورة يونس آية ٦١.
(٦) سورة سبأ آية ٣.

٣. ﴿لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ﴾(١)

٤. ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾(٢)

والتقدير: ''ولذكر الله أكبر من كل شيء''.

٥. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾(٣)

والتقدير: ''أشد حبا لله من حب الكافرين لما يعبدون''.

٦. ﴿وَإِن تَجْهَرْ بِالْقَوْلِ فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى﴾(٤)

والتقدير: ''وأخفى من السر''.

٧. ﴿وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٥)

والتقدير: ''خير من الدنيا وأبقى من الدنيا''.

٨. ﴿وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٦)

والتقدير: ''أعظم درجة من اللذين لا ينفقون''.

٩. ﴿وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٧)

والتقدير: ''رضوان الله أكبر من ذلك''.

١٠. ﴿انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾(٨)

والتقدير: ''وللآخرة أكبر درجات من الدنيا''.

---

(١) سورة النحل آية ٤١.
(٢) سورة العنكبوت آية ٤٥.
(٣) سورة البقرة آية ١٦٥.
(٤) سورة طه آية ٧.
(٥) سورة الأعلى آية ١٧.
(٦) سورة التوبة آية ٢٠
(٧) سورة التوبة آية ٧٢.
(٨) سورة الإسراء آية ٢١.

١١. ﴿وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾(١)

والتقدير: ''أكبر تفضيلا من الدنيا''.

١٢. ﴿وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٢)

والتقدير: ''وأبقى من كل ما سواه''.

١٣. ﴿إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا﴾(٣)

والتقدير: ''أولى بهما من غيره''.

٢. ويأتي ''أفعل التفضيل'' محلى ''بأل''، وفي هذه الحالة يكتفى به فلا يذكر الفضل عليه ثم إنه يطابق المفضل إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا. قال تعالى:

١. ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ﴾(٤)

٢. ﴿لِنُرِيَكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَى﴾(٥)

٣. ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾(٦)

٤. ﴿تَنزِيلًا مِّمَّنْ خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَاوَاتِ الْعُلَى﴾(٧)

٥. ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾(٨)

٦. ﴿وَأَذَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ﴾(٩)

٧. ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ﴾(١٠)

٨. ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَىٰ﴾(١١)

٩. ﴿الْآيَةَ الْكُبْرَىٰ فَأَرَاهُ﴾(١٢)

---

(١) سورة الإسراء آية ٢١.
(٢) سورة طه آية ٧٣.
(٣) سورة النساء آية ١٣٥.
(٤) سورة آل عمران آية ١٣٩.
(٥) سورة طه آية ٢٣.
(٦) سورة طه آية ٦٣.
(٧) سورة طه آية ٤.
(٨) سورة العلق آية ٣.
(٩) سورة التوبة آية ٣.
(١٠) سورة الأنبياء آية ١٠٣.
(١١) سورة النجم آية ١٨.
(١٢) سورة النازعات آية ٢٠.

٣. أ. وقد يأتي ''اسم التفضيل'' مضافاً إلى نكرة فيلزم حالة الإفراد والتذكير. قال تعالى:

﴿ وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ ﴾(١)

والتقدير: ''أوّل فريق كافر''.

ب. وقد يأتي اسم التفضيل مضافاً إلى معرفة والمطابقة في هذه الحالة حاصلة. قال تعالى:

١. ﴿وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴾(٢)

٢. ﴿أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَٰهِيمَ ﴾(٣)

أفعل التفضيل ''خير''
كلمة ''خير'' في التنزيل

ولا بد من وقفة قصيرة عند كلمة ''خير'' في كلام الله-سبحانه-فنقول: وردت هذا الكلمة في جملة من الآي الشريف في أسلوب من التفضيل. ويسري عليها ما يسري على ''أفعل التفضيل'' الذي سبق حيث تدل على المدح إلى جانب التفضيل وهذه الكلمة ''خير'' جاءت من ''أخْيَر'' ثم تحولت في الشيوع والاستعمال إلى ''خير'' وظلت تفيد أسلوب التفضيل وإلى جانبه المدح.

١ – و تأتي كلمة ''خير'' متلوة بالمفضل عليه مجروراً بمن.

قال تعالى:

أ. ﴿وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾(١).

ب. ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ﴾(٢).

ج. ﴿ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾(٣).

---

(١) البقرة ٢٢١ مدنية.

(٢) البقرة ٢٦٣ مدنية.

(٣) آل عمران ١٥٧ مدنية.

٢ – و يجوز أن تأتي كلمة ''خير'' وقد حذف بعدها الجار والمجرور أي: حـــرف الجـــر والفضـــل عليه.

قال تعالى:

أ. ﴿ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴾(١).

والتقدير: ذلك خير من رده إلى أنفسكم.

ب. ﴿ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ (٢).

والتقدير: خير من الدنيا للذين اتقوا.

ج. ﴿ وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾(٣).

والتقدير: ولأجر الآخرة خير مما تجمعون في دنياكم.

د. ﴿ وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴾(٤).

والتقدير: خير عند ربك ثواباً من الأعمال الزائلة.

ه. ﴿ بَقِيَّتُ اللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾(٥).

٣ – وقد تضاف كلمة ''خير'' إلى نكرة.

قال تعالى:

أ. ﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾(٦).

٤ – و قد تضاف كلمة ''خير'' إلى معرفة وهو كثير في التنزيل.

قال تعالى:

أ. ﴿ وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴾(٧).

ب. ﴿ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴾.

---

(١) النساء ٥٩ مدنية.
(٢) يوسف ١٠٩ مكية
(٣) يوسف ٥٧ مكية.
(٤) الكهف ٤٦ مكية.
(٥) هود ٨٦ مكية.
(٦) ال عمران ١١٠ مدنية.
(٧) المؤمنون ٢٩ مكية.
(٨) المؤمنون ٧٢ مكية.

ج. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾(١).

د. ﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾(٢).

ه. ﴿وَأَنتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾(٣).

و. ﴿وَمَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ﴾(٤).

ز. ﴿بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ﴾(٥).

أولئك في الكتاب المبين

وحتى يستكمل موضوعنا عناصره للمدح المباشر أرى أن الله سبحانه، قد ذكر من خص من الأنبياء والصديقين والشهداء والمؤمنين فمدحهم ووصفهم بأنهم أصحاب الجنة أو اللذين يتوب عليهم أو اللذين أنعم عليهم وما شابهها وقدمهم باسم الإشارة ''أولئك'' تعبيرا عن قربهم منه وحبه لهم. وقد ذكرهم الله في كتابه في مواضع كثيرة.

قال تعالى :

١. ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٦).

٢. ﴿فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾(٧).

٣. ﴿فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ﴾(٨).

٤. ﴿فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ نَقِيرًا﴾(٩).

٥. ﴿أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾(١٠).

---

(١) المؤمنون ١١٨ مكية.
(٢) الحج ٥٨ مدنية.
(٣) الأنبياء ٨٩ مكية.
(٤) آل عمران ٥٤ مدنية.
(٥) آل عمران ١٥٠ مدنية.
(٦) آل عمران ١٩٩ مدنية.
(٧) النساء ١٧ مدنية.
(٨) النساء ٦٩ مدنية.
(٩) النساء ١٢٤ مدنية.
(١٠) الأنعام ٨٢ مكية.

٦. ﴿فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

٧. ﴿أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ﴾(٢).

٨. ﴿فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا﴾(٣).

٩. ﴿أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٤).

١٠. ﴿وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ۝ أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ﴾(٥).

١١. ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ﴾(٦).

١٢. ﴿أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٧).

١٣. ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٨).

فعل التعجب
"أفعل"

للتعجب أساليب كثيرة تنحصر في نوعين:

الأول: مطلق لا تحديد له ولا ضابط، وإنما يترك لمقدرة المتكلم، ومنزلته البلاغية، ويفهم بالقرينة. مثل: "لله درك"، ومنها "يا لك أو يا له، أو يا لي".

كقول الشاعر:

فيا لك بحرا لم أجد فيه مشربا وإن كان غيري واجدا فيه مسبحا(٩)

ومنها كلمة: "عجب"، مصدرا ومشتقاته، مثل: عجب، وعجيب في نحو قولهم: عجبت لمن يشتري الآثام بماله، ولا يشتري الجنة بكريم فعاله.

وقول الشاعر: أقاطن قوم سلمى أم نووا ظعنا؟ إن يظعنوا فعجيب عيش من قطنا(١٠)

ومنها: الاستفهام المقصود منه التعجب، كقوله تعالى: "كيف تكفرون بالله وكنتم أمواتا فأحياكم؟"، وكقول شوقي يخاطب تمثال أبي الهول:

إلام ركوبك متن الرمال لطي الأصيل، وجوب السحر؟(١١)

---

(١) الأعراف ٨ مكية.
(٢) التوبة ٢٠ مدنية.
(٣) الإسراء ١٩ مكية.
(٤) الحجرات ١٥ مدنية.
(٥) الواقعة ١١ مكية.
(٦) الحديد ١٩ مدنية.
(٧) المجادلة ٢٢ مدنية.
(٨) الحشر ٩ مدنية.
(٩)+(١٠)+(١١) نقلا عن النحو الوافي لعباس حسن: ٣/٣٤٠.

ومنها: ''سبحان الله'' التي تصاحبها قرينة تدل على أن المقصود التعجب كقول رجل سئل عن اسمه: ''سبحان الله! تجهلني والكل يعرفني''.

أما النوع الاصطلاحي فصيغتان: ''ما أفْعَلَ'' و''أفْعِل به''.

وسبق أن قلنا في التفضيل أن هذا الفعل يُصاغ من فعل ثلاثي، متصرف، مثبت، مبني للمعلوم، قابل للتفاوت، ليس الصفة منه على وزن أفعل فعلاء، وتام. وما يهمنا هنا ''أفْعِل به'' ولا نعرف فعلاً ماضياً جاء على صيغة الأمر غير هذا. وقد أجراه النحاة على التعجب ولكنني أراه في الذكر الحكيم تمجيداً لله وتعظيماً له سبحانه وهو ألصق بأسلوب المدح منه بالتعجب. وقد ورد للمدح في آية واحدة: قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴾[1]. يقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم: ''أي إنه لبصير بهم سميع لهم'' قال ابن جرير وذلك في معنى المبالغة في المدح كأنه قيل ما أبصره وأسمعه وتأويل الكلام، أبصر الله لكل موجود وأسمعه لكل سموع لا يخفى عليه من ذلك شيء، ثم روى عن قتادة ''أبصر به وأسمع'' فلا أبصر من الله ولا أسمع. وقال ابن زيد ''أبصر به وأسمع'' يرى أعمالهم ويسمع ذلك منهم سميعاً بصيراً. وقال الزمخشري في كشافه ''وجاء بما دل على التعجب من إدراكه المسموعات والمبصرات، للدلالة على أن أمره في الإدراك خارج عن حد ما عليه إدراك السامعين والمبصرين، لأنه يدرك ألطف الأشياء وأصغرها، كما يدرك أكبرها حجماً وأكثفها جرماً، ويدرك البواطن كما يدرك الظواهر. و جاء في فتح القدير للشوكاني: ''فأفاد هذا التعجب على أن شأنه سبحانه في علمه بالمبصرات والمسموعات خارج عما عليه إدراك المدركين، وأنه يستوي في علمه الغائب والحاضر، والخفي والظاهر، والصغير والكبير، واللطيف والكثيف، وكأن أصله ما أبصره وما أسمعه، ثم نقل إلى صيغة الأمر للإنشاء، والباء زائدة عند سيبويه وخالفه الأخفش''.

''أفْعِل به'' في النحو

أسْمِعْ به: بمعنى سَمُعَ، أبْصِرْ به: بمعنى بَصُرَ، وذكرنا في الأفعال التي تجري مجرى: ''نِعْمَ'' مثل: ''فَهُمَ'' و''ظَرُفَ'' و''كَرُمَ'' إنها تؤدي معناها الأصلي الخاص مع زيادة في الدلالة، تتضمن المدح بهذا المعنى اللغوي الخاص، كما تتضمن-في الوقت نفسه-الإشعار بالتعجب. فالزيادة الطارئة على المعنى اللغوي الأصلي للفعل بعد تغيير صيغته ''أي تحول من ''فَهِمَ إلى فَهُمَ'' ومن ''عَلِمَ إلى عَلُمَ'' ومن ''جَهِلَ إلى جَهُلَ'' ومن ''بَرَعَ إلى بَرُعَ''' تتضمن التعجب والمدح معاً. وهناك أفعال مصوغة على هذا الوزن من أول الأمر نقلاً عن العرب مثل: ''شَرُفَ وكَرُمَ، وحَسُنَ، وظَرُفَ''. وهذا الفعل بعد أن يصاغ على هذا الوزن يصبح لازماً مجرداً من الدلالة الزمنية وجامداً وأصبح بمنزلة ''نِعْمَ''.

---

(١) سورة الكهف آية ٢٦.

الإعراب :

لإعراب هذا الفعل وجهان:

أبصر : فعل ماض جاء على صورة الأمر، يراد منه في ظاهره وفي حقيقته التعجب والمدح مبني على الفتح المقدر.

الباء : حرف جر زائد. الهاء: ضمير متصل مبني على الكسر في محل رفع فاعل.

الواو : حرف عطف.

أسمع : فعل ماض جاء على صورة الأمر يراد منه التعجب والمدح والفاعل مقدر. والجملة الفعلية من الفعل والفاعل معطوفة على جملة أبصر.

وهناك إعراب آخر يقول صاحب النحو الوافي أنه أقرب إلى أذهان الناشئة وهو صحيح.

الإعراب الثاني : أبصر به وأسمع

أبصر : فعل أمر مبني على السكون. والفاعل: ضمير مستتر وجوبا تقديره: أنت يعود على مصدر الفعل المذكور ''وهو الإبصار''.

الباء : حرف جر مبني على الكسر. **الهاء**: ضمير متصل مبني على الكسر في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلقان بالفعل ''أبصر''. والمراد الملحوظ: أيها الإبصار أبصر، أي لازمه ولا تفارقه. فالخطاب الملحوظ موجه لمصدر الفعل المذكور، بقصد طلب استمراره ودوام بقائه معه، ومثل هذا يقال في الأمثلة الأخرى المشابهة والله أعلم.

البشرى والمدح المباشر(1)

المعنى: جاء في المنجد أن معنى بشر، يبشر، بشرا الجلد: قشر بشرته التي ينبت عليها الشعر. وبشر الشارب: أخفاه حتى تظهر البشرة. وبشر الجراد الأرض: أكل ما على وجهها. أبشر الشيء: قشره. البشرة، جمعها بشر: وهي ظاهر الجلد. البشارة: ما بشر من الجلد. المبشرة: آلة البشر وتسميها العامة المبشرة. بشر يبشر الأمر بشرا: اهتم به وتولاه. باشر الأمر: تولاه بنفسه. بشر وبشر، وأبشر، واستبشر به: سر. يقال ''بشرني بوجه حسن: أي لقيني طلق الوجه''. بشر: فرحه وبلغه البشرى. أبشر فلانا: بلغه البشرى. وأبشر الأمر وجهه: حسنه ونضره. باشره النعيم: فاض عليه حتى كأنه مس بشرته. تباشروا بالأمر: بشر بعضهم بعضا. البشر: بشاشة الوجه. البشير وجمعها بشراء: مبلغ البشرى. البشرى وجمعها بشريات أو البشارة وجمعها بشارات وبشائر: الخبر المفرح. البشارة جمعها بشائر: الجمال والحسن. يقال ''بشائر الوجه'' أي محسناته. ''بشائر الصبح'' أي أوائله. البشارة: ما يعطاه البشير. التباشير: البشرى، أوائل كل شيء ومنه ''تباشير الصبح'' أي أوائله.

---

(1) المنجد في اللغة والأعلام-دار المشرق-بيروت-الطبعة ٢٨-١٩٨٦م-باب بشر-ص ٣٨.

وهذه الكلمة التي تدل على البشرى بالخير وتوقع المكافأة فهي إلى جانب هذا المعنى الخـــاص تدل على معنى المدح، فالله سبحانه وتعالى يبشر كل عامل للخير، مؤمن به و بما جاء به رسوله فـــهو إلى جانب البشرى يمدحه ويثني عليه. وقد وردت البشرى في آيات عديدة من محكم التنزيل. فقد جاءت بصيغة الأمر ''بشر'' في الآيات الآتية:

١. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ﴾(١).

٢. ﴿وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ﴾(٢).

٣. ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٣).

٤. ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٤).

٥. ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾(٥).

٦. ﴿وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٦).

٧. ﴿فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ﴾(٧).

٨. ﴿لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ﴾(٨).

٩. ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾(٩).

١٠. ﴿وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ﴾(١٠).

١١. ﴿وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١١).

١٢. ﴿وَخَشِيَ الرَّحْمَٰنَ بِالْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾(١٢).

---

(١) البقرة ٢٥ مدنية.
(٢) البقرة ١٥٥ مدنية.
(٣) البقرة ٢٢٣ مدنية.
(٤) التوبة ١١٢ مدنية.
(٥) يونس ٢ مكية.
(٦) يونس ٨٧ مكية.
(٧) الحج ٣٤ مدنية.
(٨) الحج ٣٧ مدنية.
(٩) الأحزاب ٤٧ مدنية.
(١٠) الزمر ١٧ مكية.
(١١) الصف ١٣ مدنية
(١٢) يس ١١ مكية.

كما وردت كلمة ''وابشروا'' في آية واحدة:

قال تعالى ﴿أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾(١).

كما وردت كلمة ''يستبشرون'' في الآيات الآتية:

١. ﴿وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ﴾(٢).

٢. ﴿يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ﴾(٣).

٣. ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٤).

٤. ﴿فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٥).

٥. ﴿وَجَاءَ أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٦).

٦. ﴿وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِن دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾(٧).

كما وردت ''فاستبشروا'' وهي للمدح أقرب وأبيَن في آية واحدة:

قال تعالى ﴿وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ﴾(٨).

كما وردت كلمة ''بُشرى'' وتدل على معنى عام وهو المدح إلى جانب دلالتها الخاصة.

قال تعالى:

١. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ﴾(٩).

٢. ﴿لِّيُنذِرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾(١٠).

كما وردت كلمة ''بشراكم'' في آية واحدة:

قال تعالى ﴿بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾(١١).

---

(١) فصلت ٣٠ مكية.
(٢) آل عمران ١٧٠ مدنية.
(٣) آل عمران ١٧١ مدنية.
(٤) التوبة ١٢٤ مدنية.
(٥) الروم ٤٨ مكية.
(٦) الحجر ٦٧ مكية.
(٧) الزمر ٤٥ مكية.
(٨) التوبة ١١١ مدنية.
(٩) الزمر ١٧ مكية.
(١٠) الأحقاف ١٢ مكية.
(١١) الحديد ١٢ مدنية.

وجاء في الكشاف للزمخشري: عن البشارة في الآية الخامسة والعشرين من سورة البقرة من عادته عَزَّ وجل في كتابه أن يذكر الترغيب مع الترهيب، و يشفع البِشَارةَ بالإنذار إرادةَ التثبيط، لاكتساب ما يزلف، والتثبيط عن اقتراف ما يتلف. فما ذكر الكفار وأعمالهم ووعدهم بالعقاب، قفاه ببشارة عباده اللذين جمعوا بين التصديق والأعمال الصالحة من فعل الطاعات وترك المعاصي، وحموها من الإحباط بالكفر والكبائر بالثواب. فإن قلت من المأمور بقوله تعالى ''وبَشِّره''؟ قلت: يجوز أن يكون رسول الله ﷺ، وأن يكون كل أحد. كما قال عليه الصلاة والسلام ''بَشِّر المشائين إلى المساجد في الظلم بالنور التام يوم القيامة[1] لم يأمر بذلك واحداً بعينه''. وإنما كل أحد مأمور به، وهذا الوجه أحسن وأجزل: لأنه يؤذن بأن الأمر لعظمهِ وفخامة شأنه محقوق بأن يُبَشِّرَ به كل من قَدِر على البشَارةِ به. فإن قلت: علام عطف هذا الأمر ولم يسبق أمرٌ ولا نهيٌ يصح عطفه عليه، قلت: ليس الذي اعتمد بالعطف هو الأمر حتى يطلب له مشاكل من أمر أو نهي يعطف عليه، إنما المعتمد بالعطف هو جملة وصف ثواب المؤمنين، فهي معطوفة على جملة وصف عقاب الكافرين، كما تقول: ''زيد يعاقَبُ بالقيد والإرهاق، وبشِّر عمراً بالعفو والإطلاق''. ولك أن تقول: هو معطوف على قوله ''فاتقوا'' كما تقول: يا بني تميم احذروا عقوبة ما جنيتم، وبَشِّر يا فلان بني أسد بإحساني إليهم.

القراءة:

وفي قراءة زيد بن علي رضي الله عنه: ''وبُشِّرَ'' على لفظ المبني للمفعول عطفاً على ''أُعِدَّت''. والبشارة: الإخبار مما يظهر السرور المخبَرِ به. ومن ثم قال العلماءُ: إذا قال لعبيدهَ: أيُكم بشرني بقدوم فلانٍ فهو حُرٌّ. فَبَشَّرُوه فُرادى. عَتَقَ أولهم، لأنه هو الذي أظهر سروره بخبره دون الباقين. و لو قال مكان ''بَشَّرني'' ''أخبرني'' عُتِقوا جميعاً، لأنهم جميعاً أخبروه. وجاء في فتح القدير للشوكاني: لما ذكر تعالى جزاء الكافرين عقبه بجزاء المؤمنين ليجمع بين الترغيب والترهيب والوعد والوعيد كما هي عادته سبحانه في كتابه العزيز، فما في ذلك من تنشيط عباده المؤمنين لطاعاته، وتثبيط عباده الكافرين عن معاصيه. والتبشير: الإخبار بما يظهر أثر على البَشَرة، وهي الجلدة الظاهرة، من البشر والسرور. قال القرطبي: أجمع العلماء على أن المكلف إذا قال: من بَشَّرني من عبيدي فهو حر فَبَشَّرَه واحد من عبيده فأكثر فإنَّ أوَّلَهم يكون حُرّاً دون الثاني واختلفوا إذا قال: من أخبرني من عبيدي بكذا فهو حُرٌّ، فقال أصحاب الشافعي: يَعُم لأن كل واحد منهم مخبر، وقال علماؤنا: لا، لأن المكلِّف إنما قصد خبراً يكون بشارة، وذلك مختص بالأول انتهى. والحق أنّه إذا أراد مدلول الخبر عُتقوا جميعاً، وإن أراد الخبر المقيّد بكونه بشارة عتق الأول، فالخلاف لفظي. والمأمور بالتبشير مثل: هو النبيُّ ﷺ، وقيل: هو كل أحدٍ كما قوله ﷺ: ''بَشِّر المشائين'' وهذه الجمل وإن كانت مصدرة بالإنشاء فلا يقدح ذلك في عطفها على ماقبلها، لأن المراد عطف جملةِ وصف ثواب المطيعين على

(١) أخرجه أبو داود، والترمذي والبزّار.

جملة وصف عقاب العاصين من دون نظر إلى ما اشتمل عليه الوصفان من الأفراد المتخالفة خبراً وإنشاءً. وقيل: إن قوله ''وبَشِّر'' معطوفة على قوله: ''فاتقوا النار'' وليس هذا بجيد. وفي الآية مائةٍ وخمسة وخمسين من سورة البقرة جاء في الكشاف للزمخشري: ولنصيبنكم بذلك إصابة تشبه فعل المختبر لأحوالكم هل تصبرون وتثبتون على ما أنتم عليه من الطاعة وتسلمون لأمر الله وحكمه أم لا؟ ''بشيء'' بقليل من كل واحد من هذه البلايا وطرف منه ''وبشر الصابرين'' المسترجعين عند البلاء، لأن الإسترجاع تسليم وإذعان. وعن النبي ﷺ ''من استرجع[1] عند المصيبة جبر الله مصيبته وأحسن عقباه وجعل له خلفاً صالحاً يرضاه''[2]. ورُوِي أنه طفيء سراج رسول الله ﷺ فقال ''إنا لله وإنا إليه راجعون'' فقيل: أمصيبة هي؟ قال ''نعم كل شيء يؤذي المؤمن فهو له مصيبة''.[3] وإنما قلل في قوله ''بشيء ليؤذن أن كلَّ بلاء أصاب الإنسان وإن جلَّ ففوقه ما يقلّ إليه، وليخفف عليهم ويريهم أن رحمته معهم في كل حال لا تزايلهم وإنما وعدهم ذلك من قبل كونه ليوطنوا عليه أنفسهم ''ونقص'' عطف على ''شيء'' أو على الخوف، بمعنى: وشيء من نقص الأموال. والخطاب في ''وبَشِّر الصابرين'' لرسول الله ﷺ، أو لكل من يتأتى منه البشارة، كما مرّ آنفاً. وعن الشافعي رحمه الله في الخوف: خوف الله. والجوع: صيام شهر رمضان، والنقص في الأموال: الزكوات والصدقات، ومن الأنفس: الأمراض، ومن الثمرات: موت الأولاد. وعن النبي ﷺ: ''إذا مات ولداً لعبد قال الله تعالى للملائكة: أقبضتم ولد عبدي؟ فيقولون: نعم، فيقول: أقبضتم ثمرة قلبه، فيقولون: نعم، فيقول الله تعالى: ماذا قال عبدي؟ فيقولون: حمدك واسترجع، فيقول الله تعالى: ''ابنوا لعبدي بيتاً في الجنة وسموه بيت الحمد''''.[4] والصلاة: الحنو والتعطف، فوضعت موضع الرأفة وجمع بينها وبين الرحمة. كقوله تعالى: ''رأفة ورحمة''''رؤوف رحيم''. والمعنى: عليهم رأفة بعد رأفة. ورحمة بعد رحمة. ''وأولئك هم المهتدون'' لطريق الصواب حيث استرجعوا وسلموا الأمر لله. و جاء في فتح القدير للشوكاني: شرحاً لهذه الآية ١٥٥ من سورة البقرة: والبلاء أصله المحنة، ومعنى نبلونكم: نمتحنكم لنختبركم هل تصبرون على القضاء أم لا؟ و تنكير شيء للتقليل: أي بشيء قليل من هذه الأمور. وقرأ الضحاك بأشياء. والمراد بالخوف: ما يحصل لمن يخشى من نزول ضرر به من عدوّ أو غيره. وبالجوع: المجاعة التي تحصل عند الجدب والقحط. وبنقص الأموال: ما يحدث فيها بسبب الجوائح وما أوجبه الله فيها من الزكاة ونحوها. وبنقص الأنفس: الموت والقتل في الجهاد. وبنقص الثمرات: ما يصيبها من الآفات وهو من عطف الخاص على العام لشمول الأموال للثمرات وغيرها. وقيل: المراد بنقص الثمرات: موت الأولاد.

---

(١) قال: إنّا لله وإنّا إليه راجعون.

(٢) أخرجه الطبراني والطبري والبيهقي في الشعب من رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس.

(٣) أخرجه أبو داود في المراسيل من حديث عمران القصير.

(٤) أخرجه الطبراني منحديث ابن عباس رضي الله عنهما.

وقوله: ''وبشِّر الصابرين'' أمر لرسول الله ﷺ أو لكل من يقدر على التبشير. والصبر أصله الحبس، ووصفهم بأنهم المسترجعون عند المصيبة، لأن ذلك تسليم ورضا. ﴿ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾[1]. جاء في الكشاف: ''المستوجبين للمدح والتعظيم بترك القبائح وفعل الحسنات''. وجاء في فتح القدير للشوكاني: تأنيس لمن يفعل الخير ويجتنب الشر.

(١) سورة البقرة آية ٢٢٣.

المدح غير المباشر

تمهيد

هو ذكر لمآثر الممدوح وتنويه بخصاله بصورة غير مباشرة أي دون ذكر محاسنه وما يتصف به من محامد، أو بما يتحلى به من خلال مباشرة. وقد وردت هذه الأساليب في مواضع شتى من الذكر الحكيم، كالتنويه بصفات المؤمنين بطريقة غير مباشرة كما ورد في سورة البقرة آية ٤٥، سورة البقرة آية ١٤٣، وسورة الإسراء آية ٦٥، وفي هذه الآيات يبين سبحانه عِظَمَ الصلاة وما تشكل من عبء كبير ومكانتها العظيمة في الإسلام وكيف أن الله اختبر المسلمين بتغيير قبلتهم إلى مكة لرغبة رسوله وكيف أن هذا الموقف لحظة عصيبة على نفوس المسلمين فمدح الطائعين والمستسلمين لمشيئة الله بأنهم المهديون المرضيون مدحا غير مباشر بل بين كبر التحويل وكذلك مدحه للمصلين اللذين يؤدون هذا العمل العظيم باستمرار ودون انقطاع والاستمرار في حد ذاته خشوع وطاعة وإيمان وقد مدح الله هؤلاء مدحا غير مباشر حين وصفهم بالخاشعين. كما مدح مريم إذ اختصم الحجبة على رعايتها وهو تعبير عن رضا الله عنها كإنسانة مؤمنة صالحة وذكر ذلك في سورة آل عمران آية ٤٤، وفي سورة مريم آية ٢٨. وقد مدح الله رسوله مدحا غير مباشر عندما ذكر أنه من صلاحه وتقواه أحرص على المسلمين من أنفسهم كما لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ويرضى بحكمه ويسلم له وإكراما لهذا النبي يقضي الله ألا يعذب قومه وهو بين ظهرانيهم كما ورد في سورة النساء آية ٦٥، وسورة الأنفال آية ٣٣، وسورة الأحزاب آية ٦. وقد مدح القرآن الكريم مدحا غير مباشر عندما تعهد الله بالحفظ والرعاية وكتب على خلفه أن يتسلل إلى قلوبهم مؤمنين وغير مؤمنين وقد ورد ذلك في سورة الحجر آية ٩، وفي سورة الحجر آية ١٢. وأخيرا فقد ظهر يوسف عليه السلام أمام النسوة بجماله الأخاذ فبهرهن فشبهنه بالملائكة لجماله وأخرجنه من زمرة الإنس مدحا غير مباشر لهذا النبي الصالح وتجلى ذلك في سورة يوسف آية ٣١.

١- قال تعالى: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(١).

جاء في الكشاف للزمخشري: أن الهاء ضمير للصلاة أو للاستعانة ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها من قوله: ''اذكروا نعمتي ... واستعينوا''. ''لكبيرة'' لشاقة ثقيلة من قولك: كبر علي هذا الأمر، كبر على المشركين ما تدعوهم إليه. فإن قلت مالها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل؟ قلت: لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم. وجاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ''وإنها لكبيرة '' الضمير عائد إلى الصلاة نص عليه مجاهد واختاره ابن جرير ويحتمل أن يكون عائدا إلى ما يدل عليه الكلام وهو الوصية.

---

(١) سورة البقرة آية ٤٥.

وجاء في فتح القدير للشوكاني كالذي جاء في الكشاف نصاً وهو: ''وإنها'' الضمير للصلاة أو للاستعانة. ويجوز أن يكون لجميع الأمور التي أمر بها بنو إسرائيل ونهوا عنها في قوله ''اذكروا نعمتي ... واستعينوا''. ''لكبيرة'' لشاقة ثقيلة في قوله: '' كبر عليَّ هذا الأمر كبر على المشركين ما تدعوهم إليه'' فإن قلت: مالها لم تثقل على الخاشعين والخشوع في نفسه مما يثقل؟ قلت: لأنهم يتوقعون ما ادخر للصابرين على متاعبها فتهون عليهم.

الإعراب :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾.

الواو : واو الحال.

إن : حرف توكيد ونصب تنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها.

الهاء : ضمير متصل مبني في محل نصب اسم إن.

اللام : المزحلقة تفيد التوكيد. كبيرة: خبر إن مرفوع.

إلاّ : أداة حصر. النفي قبلها مقدّر أي : إنها لا تخفّ ولا تسهل إلا على الخاشعين.

على : حرف جر مبني.

الخاشعين : اسم مجرور بعلى وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم. والجار والمجرور متعلق بكبيرة. وجملة ''إنها لكبيرة'' في محل نصب حال.

٢- قال تعالى في التنويه بمدح المؤمنين ﴿ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ ﴾[1].

يقول الزمخشري في كشافه عن هذه الآية: هي إنَّ المخففة التي تلزمها اللام الفارقة والضمير في ''كانت'' لما دل عليه قوله ''وما جعلنا القبلة التي كنت عليها'' من الردة، أو التحويلة، أو الجعلة. ويجوز أن يكون للقبلة. ''لكبيرة'' لثقيلة شاقة. ''إلاّ على الذين هدى الله'' إلاّ على الثابتين الصادقين في اتباع الرسول، الذين لطف الله بهم وكانوا أهلاً للطفه. وهذا مدح غير مباشر للمؤمنين بالله ورسوله حق الإيمان الصادقين في عقيدتهم وثباتهم عليها. وقال الشوكاني: وقوله: ''وإن كانت لكبيرة'' أي ما كانت إلا كبيرة كما قال الفراء في إن وأن إنهما بمعنى ما وإلاّ. وقال البصريون: هي الثقيلة خففت، والضمير في كانت راجع إلى ما يدل عليه قوله: ''وما جعلنا القبلة التي كنت عليها'' من التحويلة والردة، ذكر معنى ذلك الأخفش ولا مانع من أن يرجع الضمير إلى القبلة المذكورة: أي وإن كانت القبلة المتصفة بأنك كنت عليها لكبيرة إلا على الذين هداهم الله للإيمان فانشرحت صدورهم لتصديقك وقَبِلَتْ ما جئتَ به عقولهم.

---

(١) سورة البقرة آية ١٤٣.

البلاغة :

وهذا الاستثناء مفرغ لأن ما قبله في قوة النفي: أي لأنها لا تخف ولا تسهل إلاّ على الذين هدى الله. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني: ''وإن كان هذا التحويل لشاقاً وصعباً إلاّ على الذين هداهم الله.

الإعراب :

﴿ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴾.

الواو : حالية.

إن : المخففة من الثقيلة واجبة الإهمال.

كان : فعل ماضٍ ناقص. التاء: للتأنيث. واسم كان ضمير مستتر تقديره هي أي ''التولية للكعبة''.

اللام : هي الفارقة بين ''إن'' النافية و''إن'' المخففة وهذه اللام لازمة.

كبيرة : خبر كان منصوب ''وجملة كانت'' اعتراضيه لا محل لها من الإعراب. أو تعرب في محل نصب حال.

إلاّ : أداة حصر.

على : حرف جر.

اللذين : اسم موصول مبني في محل جر متعلق ''بكبيرة''.

هدى : فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. والجملة الفعلية ''هدى الله'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. ''وقد اعتمد الحصر على تقدير النفي المفهوم من السياق أي لا تسهل إلا على الذين هدى الله''.

الصرف :

كبيرة : مؤنث كبير، صفة مشبهة من كبُرَ يكبُرُ باب فَرح، وزنه فعيل.

٣- وهناك مدح غير مباشر للمؤمنين، عندما لطم الله سبحانه إبليس وتفاخر عليه بعباده الصالحين الذين لا يخضعون لسيطرته، ولا يلينون أمام إغراءاته، أو يضعفون أمام وسوساته. فهم الذين تربوا على مبادئ عقيدة الإسلام، ونهلوا من مناهل الدين الحنيف، واستظلوا بمظلة السنة النبوية. هؤلاء هم العباد الصالحون، اللذين تشربوا عداوة إبليس اللعين، ولن يخيبوا أمل ربهم بهم، لذلك فهو مدح غير مباشر لهم من خالقهم إذ يقول

سبحانه:﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ﴾[1]. لأنهم لا تلين قناتهم أمام مغريات الدنيا الفانية، ولا تضعف نفوسهم المؤمنة القوية أمام الفتات في دار الفناء. خوفاً من غضب الله وحرصاً على رضاه، وانتظاراً وأملاً بدار البقاء والخلود، وتمسكاً بنعيم باق خالد لا يزول، وكل من تضعف نفسه وينقاد لشهواته وإغراءات إبليس، فليس من عباد الله الصالحين، وليس ممن يفخر به رب العزة والجلال بل هو من اتباع إبليس ورجله.

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير قوله تعالى: ''إن عبادي ليس لك عليهم سلطان'' إخبار بتأييده تعالى عباده المؤمنين، وحفظه إياهم وحراسته لهم من الشيطان الرجيم، ولهذا قال تعالى: ﴿وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾[2] أي حافظاً ومؤيداً ونصيراً، وقال الإمام أحمد: حدثنا ابن لهيعة عن موسى بن وردان عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: ''إن المؤمن لينص[3] شياطينه كما ينص أحدكم بعيره في السفر''. وجاء في الكشاف للزمخشري: ''إن عبادي'' يريد الصالحين، ''ليس لك عليهم سلطان'' أي لا تقدر أن تغويهم، ''وكفى بربك وكيلا'' لهم، يتوكلون به في الاستعاذة منك. وهذا في حقيقته خذلان وتخليه لإبليس وأعوانه. وجاء في فتح القدير للشوكاني: ''إن عبادي ليس لك عليهم سلطان'' يعني عباده المؤمنين لما في الإضافة من هذا الموضع من الكتلب العزيز، من أن إضافة العباد إليه، يراد بها المؤمنون، لما في الإضافة من التشريف، وقيل: المراد جميع العباد بدليل الاستثناء بقوله في غير هذا الموضع ﴿إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ﴾[4]والمراد بالسلطان التسلط ''وكفى بربك وكيلاً'' يتوكلون عليه، فهو الذي يدفع عنهم كيد الشيطان ويعصمه من إغوائه. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني ''إن عبادي ليس لك عليهم سلطان'' أي إن عبادي المخلصين ليس لك عليهم تسلط بالإغواء، لأنهم في حفظي وأماني ''وكفى بربك وكيلاً'' أي كفى بالله تعالى عاصماً وحافظاً لهم من كيدك وشرك. وهكذا نجد أن الله سبحانه فخور بعباده المؤمنين الأقوياء بإيمانهم، المتمسكين بعقيدتهم، اللاجئين إلى ربهم المعتصمين بحبله وقدرته، والمتوكلين عليه لا تغفل قلوبهم عن ذكره واستغفاره، وهم لهذا في ملجأ من إبليس وزمرته، وفي حمى العزيز القهار.

---

(١) سورة الإسراء آية ٦٥.

(٢) سورة الإسراء آية ٦٥.

(٣) ينص: يأخذ بناصيته ويقهره.

(٤) سورة الحجر آية ٤٢.

الإعراب :

قال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا﴾.

إنّ : حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية فينصب المبتدأ ويرفع الخبر.

عبادي : عباد : اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على الدال منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة المشابهة، وهو مضاف. الياء : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

ليس : فعل ماض ناقص جامد من أخوات كان تدخل على الجملة الاسمية ترفع المبتدأ وتنصب الخبر.

لك : اللام : حرف جر زائد. الكاف: ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر ليس في محل نصب.

عليهم[1] : على: حرف جر مبني. هم: ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلق بمحذوف الخبر.

سلطانٌ : اسم ليس مرفوع وعلامة رفعه الضمة. والجملة ''ليس لك عليهم سلطان'' في محل رفع خبر إن. وجملة ''إن عبادي ليس لك عليهم سلطان'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

وكفى : الواو حرف عطف مبني. كفى: فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

بربك : الباء : حرف جر زائد. رب: فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الباء منع من ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائدة وهو مضاف. الكاف: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

وكيلاً : تمييز منصوب وعلامة نصبه الفتحة. وجملة ''وكفى بربك وكيلاً'' لا محل لها معطوفة على الجملة الاستئنافية ''إن عبادي ...''.

٤- كما مدح الله سبحانه وتعالى مريم بطريقة غير مباشرة عندما بين مكانتها عند ربها بالتنافس الشديد بين الأحبار على رعايتها والخصام فيما بينهم على من يكفلها طلباً لرضى الله سبحانه. قال الله تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾[2].

جاء في صفوة التفاسير للصابوني قوله: أي ما كنت عندهم إذ يختصمون ويتنافسون على كفالة مريم حين القوا سهامهم للقرعة، كلٌ يريدها في كنفه ورعايته. ''وما كنت لديهم إذ يختصمون'' أي يتنازعون فيمن يكفلها منهم، والغرض أن هذه الأضاد كانت وحياً من عند الله العليم الخبير رُوِيَ أن

(١) أو متعلق بمحذوف حال من سلطان لأن نعت تقدم المنعوت.

(٢) سورة آل عمران آية ٤٤.

حنة أم مريم حين ولدتها لفتها في خرقة وحملتها إلى المسجد ووضعتها عند الأحبار، وهم في بيت المقدس كالحَجَبَةِ في الكعبة فقالت لهم: دونكم هذه النذيرة، فتنافسوا فيها لأنها كانت بنت إمامهم ثم اقترعوا فخرجت في كفالة زكريا فكفلها[1]. قال ابن كثير: وإنما قدّر الله كون زكريا كافلاً لها لسعادتها لتقتبس منه علماً جماً وعملاً صالحاً. وجاء في الكشاف للزمخشري الآية: ''ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون'' ''ذلك'' إشارة إلى ما سبق من نبأ زكريا ويحيى ومريم وعيسى عليهم السلام يعني أن ذلك من الغيوب التي لم تعرفها إلا بالوحي. فإن قلت: لم نفيت المشاهدة وانتفاؤها معلوم بغير شبهه؟ وترك نفي استماع الأنبياء من حفاظها وهو موهوم؟ قلت: كان معلوماً عندهم علماً يقيناً أنه ليس من أهل السماع والقراءة وكانوا منكرين للوحي، فلم يبق إلا المشاهدة وهي في غاية الاستبعاد والاستحالة، فنفيت على سبيل التهكم بالمنكرين للوحي مع علمهم بأنه لا سماع له ولا قراءة ونحوه، ''أقلامهم'' أزلامهم وهي قداحهم التي طرحوها في النهر مقترعين وقيل: هي الأقلام التي كانوا يكتبون بها التوراة، اختاروها للقرعة تبركاً بها. ''إذ يختصمون'' في شأنها تنافساً في التكفل بها فإن قلت: ''أيهم يكفل'' مم يتعلق؟ قلت: محذوف دل عليه يلقون أقلامهم، كأنه قيل: يلقونها ينظرون أيهم يكفل، أو ليعلموا، أو يقولون. وجاء في فتح القدير للشوكاني: ''وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم'' قال: إن مريم لما وضعت في المسجد اقترع عليها أهل المصلى وهم يكتبون الوحي فاقترعوا بأقلامهم أيهم يكفلها. قال الله لمحمد: ''وما كنت لديهم'' الآية. وأخرج ابن جرير وابن حاتم عن ابن جريج إن الأقلام هي التي يكتبون بها التوراة، وأخرج عبد الحميد وابن أبي حاتم عن عطاء أنها القداح. وجاء في تفسير القرآن الكريم لابن كثير: ''ذلك من أنباء الغيب نوحيه إليك'' أي نقصه عليك. ''وما كنت لديهم'' أي ما كنت عندهم يا محمد فتخبرهم عن معاينة ما جرى أطلعك الله على ذلك كأنك حاضر وشاهد، لما كان من أمرهم حين اقترعوا في شأن مريم، أيهم يكفلها وذلك لرغبتهم في الأجر.

البلاغة :

''إذ يلقون أقلامهم'' أي يرمونها ويطرحونها للاقتراع على سبيل الكناية أي كناية عن القرعة.

الإعراب :

''ذلك من أنباء الخير نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم أيهم يكفل مريم وما كنت لديهم إذ يختصمون''

---

(١) تفسير الطبري: ٣٥١/٦.

ذلك : **ذا** : اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ. **الكاف** : للخطاب. **اللام** : للبعد.

من : حرف جر مبني.

أنباء : اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف. والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر.

الغيب : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة. والجملة الاسمية ''ذلك من أنباء الغيب ...'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

نوحي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل.

الفاعل : ضمير مستتر تقديره نحن للتعظيم. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. والجملة الفعلية ''نوحيه'' في محل نصب حال.

إلى : حرف جر مبني. **الكاف** : ضمير متصل مبني في محل جر. والجار والمجرور متعلق بـ ''نوحيه''.

الواو : حرف عطف.

ما : نافية لا محل لها من الإعراب.

كنتَ : **كان** : فعل ماض ناقص ناسخ مبني على السكون لاتصاله بالتاء. **التاء** : ضمير متصل مبني في محل رفع اسم كان.

لدي : ظرف مكان مبني على السكون في محل نصب متعلق بمحذوف خبر كان وهو مضاف. هم: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

إذ : ظرف لما مضى من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه مبني في محل نصب متعلق بالخبر المحذوف. وهو مضاف.

يلقون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون. **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل .

أقلام : : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف. **هم**: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. والجملة الفعلية ''يلقون'' في محل جر مضاف إليه لـ ''إذ''.

أي : اسم استفهام مبني على الضم في محل رفع مبتدأ وهو مضاف. هم: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

يكفلُ : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

مريم : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. والجملة الفعلية

''يكفل مريم'' في محل نصب مفعول به لفعل محذوف تقديره ''يقترعون''.

الواو : حرف عطف. ''ما كنت لديهم'' الثانية لا محل لها من الإعراب معطوفة على الأولى. ''يختصمون'' الجملة الفعلية في محل جر مضاف إليه للظرف ''إذ''.

٥- هذا وقد مدح الله البتول في سورة مريم مدحا غير مباشر بقوله:

﴿ يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا ﴾[1].

إنه مدح غير مباشر لمريم العذراء عليها السلام، عندما لم يذكر الله ما تتحلى به هذه المرأة من صفات حميدة، وإيمان راسخ، وإنما مدحها الله بطريقة غير مباشرة، وبأسلوب فذ، إذ ذكر أصولها الطيبة والشجرة التي أنبتتها، فهي ابنة امرأة صالحة طاهرة، وأب تقي ورع لا يعرف السوء، إنه مدح غير مباشر، له حلاوة ومذاق طيب، لمن يتذوق الأدب ويتحسس مواقع الجمال الأخاذ فيه. لقد شعرت وأنا اردد هذه الآية، كأنني وسط حديقة غناء تفوح منها رائحة الورود والرياحين، وتملأ أجواءها زقزقة العصافير وتغريد الطيور والخضرة تملأ الأرجاء فَرَحاً وسروراً. جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ''يا أخت هارون'' أي شبيهة هارون في العبادة. ''ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا'' أي أنت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة والزهادة فكيف صدر هذا منك. قال علي بن طلحة والسدي: قيل لها ''يا أخت هارون'' أي أخي موسى، وكانت من نسله، كما يقال للتميمي يا أخا تميم، ويقال للمضري يا أخا مضر، وقيل نسبت إلى رجل صالح كان فيهم اسمه هارون، فكانت تتأسى به في الزهادة والعبادة. وجاء في الكشاف للزمخشري: ''يا أخت هارون'' قيل هذا أخو موسى صلوات الله عليهما. وعن النبي ﷺ: ''إنما عنوا هارون النبي''[1] وكانت من أعقابه في طبقة الاخوة بينها وبينه ألف سنه وأكثر. وعن السدي: كانت من أولاده، وإنما قيل: يا أخت هارون، كما قيل: يا أخا همدان أي: يا واحدا منهم، وقيل: رجل صالح في زمانها شبهوها به، أي كنت عندنا مثله في الصلاة. وجاء في فتح القدير للشوكاني: ''يا أخت هارون'' قد وقع الخلاف في معنى هذه الأخوة، وفي هارون المذكور من هو؟ فقيل: هو هارون أخو موسى، والمعنى: أن من كنا نظنها مثل هارون في العبادة كيف تأتي هذا، وقيل: كانت مريم من ولد هارون أخ موسى فقيل لها يا أخت هارون، كما يقال لمن كان من العرب: يا أخا العرب، وقيل كان لها أخ من أبيها اسمه هارون، وقيل: هارون هذا رجل صالح في ذلك الوقت[2]. ''ما كان أبوك امرأ سوء وما كانت أمك بغيا'' هذا فيه

---

(١) سورة مريم آية ٢٨.

(٢) فهو عند النسائي والترمذي ومسلم عن المغيرة بن شعبة قال: ''بعثني النبيﷺ إلى نجران فقالوا لي: أرأيتم شيئاً يقرأونه ''يا أخت هارون'' وبين موسى وعيسى ما شاء الله من السنين فلم أرد ما أجيبهم فقال النبي ﷺ''هلا أخبرتهم أنهم كانوا يسمون بأسماء أنبيائهم الصالحين من قبلهم''.

(٣) لم نورد ما ذكر من أقوال ضعيفة لا يعتد بها ولا يستند إليها في هذا المقام.

تقرير، لما تقدم من التعبير والتوبيخ وتنبيه على الفاحشة من ذرية الصالحين مما لا ينبغي أن يكون. وأنبه هنا إلى أن قوم ''العذراء'' قد صدموا بالتهمة الموجهة لها من قبل يهود، وحكموا عليها قبل أن يشاهدوا بأعينهم ويسمعوا بآذانهم معجزة الله على الأرض: وهو السيد المسيح إذ تيقنوا من براءة أمه وثبوت طهارتها، وهنا تصبح الآية تقريراً للمدح والإطراء لا للتوبيخ والتقريع، كما يذكر بذلك الشوكاني. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني: ''يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سوء'' أي يا شبيهة هارون في الصلاح والعبادة ما كان أبوك رجلاً فاجراً ''وما كانت أمك بغيا'' وما كانت أمك زانية، فكيف صدر هذا منك وأنت من بيت طاهر معروف بالصلاح والعبادة. قال قتادة: كان هارون رجلاً صالحاً في بني إسرائيل مشهوراً بالصلاح فشبهوها به وليس بهارون أخي موسى، لأن بينهما ما يزيد على ألف عام.[1] وقال السهيلي: هارون رجل من عباد بني إسرائيل المجتهدين، كانت مريم تتشبه به في اجتهادها، وليس بهارون أخي موسى بن عمران، فإن بينهما دهراً طويلاً[2].

القراءة :

قرأ عمر بن لجاء التيمي ''ما كان أباك امرأ سوء''.

الإعراب : ﴿يَٰٓأُخۡتَ هَٰرُونَ مَا كَانَ أَبُوكِ ٱمۡرَأَ سَوۡءٖ وَمَا كَانَتۡ أُمُّكِ بَغِيّٗا﴾.

يا : أداة نداء.

أخت : منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة لأنه مضاف.

هارون : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة. وجملة ''يا أخت هارون'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

ما : نافية لا محل لها من الإعراب.

كان : فعل ماضٍ ناقص ناسخ.

أبوك : اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه من الأسماء الخمسة وهو مضاف.

الكاف : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

امرأ : خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره، وهو مضاف.

سوءٍ : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة. وجملة ''ما كان أبوك ...'' لا محل لها من الإعراب جواب النداء.

---

(١) تفسير الطبري: ٧٧/١٦.

(٢) مختصر ابن كثير للصابوني: ٤٥٠/٢.

الواو : حرف عطف مبني.

ما : نافية لا محل لها من الإعراب.

كانت : **كان** : فعل ماض ناقص ناسخ. التاء: تاء التأنيث لا محل لها من الإعراب.

أمك : أم : اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف. الكاف: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

بغيا : خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة. وجملة ''وما كانت أمك ...'' لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة جواب النداء.

٦- هذا وقد مدح الله رسوله بطريقة غير مباشرة إذ يبين أن محمدا رسول لا ينطق عن الهوى، لأنه يحكم بأمر ربه، ومنزلته عند البارئ عظيمة قال الله تعالى:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

جاء في تفسير ابن كثير: ''يقسم الله تعالى بنفسه الكريمة المقدسة، أنه لا يؤمن أحد حتى يحكم الرسول ﷺ في جميع الأمور، فما حكم به فهو الحق الذي يجب الانقياد له باطنا وظاهرا ولهذا قال: ''ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما'' أي إذا حكموك يطيعونك في بواطنهم، فلا يجدون في أنفسهم حرجا مما حكمت به وينقادون له في الظاهر والباطن، فيسلمون لك تسليما كليا من غير ممانعة ولا مدافعة ولا منازعة كما ورد في الحديث ''والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعا لما جئت به''. وجاء في الكشاف للزمخشري بشأن هذه الآية: فلا وربك: معناه فوربك كقوله تعالى: ''فوربك لنسألنهم'' ولا مزيدة لتأكيد معنى القسم، كما زيدت في ''لئلا يعلم'' لتأكيد وجود العلم. ''لا يؤمنون'': جواب القسم فإن قلت: هلا زعمت إنها زيدت لتظاهر ''لا'' في ''لا'' يؤمنون''؟ قلت: يأبى ذلك استواء النفي والإثبات فيه وذلك قوله: ''فلا أقسم بما تبصرون وما لاتبصرون إنه لقول رسول كريم''. ''فيما شجر بينهم'' فيما اختلف بينهم واختلط، ومنه الشجر لتداخل أغصانه. ''حرجا'' ضيقا أي لا تضيق صدورهم من حكمك، وقيل: شكا لأن الشاك في ضيق من أمره، حتى يلوح له اليقين. ''ويسلموا'' وينقادوا ويذعنوا لما تأتي به من قضائك لا يعارضوه بشيء، من قولك: سلم الأمر لله وأسلم له وحقيقة سلم نفسه وأسلمها إذا جعلها سالمة له خالصة ''وتسليما'' تأكيدا للفعل بمنزلة تكريره. كأنه قيل: وينقادوا لحكمه انقيادا لا شبهة فيه بظاهرهم وباطنهم وقيل: نزلت في شأن اليهودي والمنافق. وقيل: في شأن الزبير وحاطب بن بلتعة، وذلك أنهما

---

(١) سورة النساء آية ٦٥.

اختصما إلى رسول الله ﷺ في شراج من الحرة[1]. وجاء في فتح القدير للشوكاني تفسيرا لهذه الآية: ''فلا وربك'' قال جرير: قوله: ''فلا'' رد على ما تقدم ذكره، تقديره فليس الأمر كما يزعمون أنهم آمنوا بما أنزل إليك، وما أنزل من قبلك، ثم استأنف القسم بقوله: ''وربك لا يؤمنون'' وقيل: أنه قدم ''لا'' على القسم اهتماما بالنفي، وإظهارا لقوته، ثم كرره بعد القسم تأكيدا، قيل: ''لا'' مزيدة لتأكيد معنى القسم لا لتأكيد معنى النفي، والتقدير: فوربك لا يؤمنون كما في قوله:

﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾[2]. (حتى يحكموك) أي يجعلوك حكما بينهم في جميع أمورهم لا يحكمون أحدا غيرك، وقيل: معناه يتحاكمون إليك، ولا ملجأ لذلك. ''فيما شجر بينهم'' أي اختلف بينهم واختلط، ومنه الشجر لاختلاف أغصانه، ومنه قول طرفة:

وهم الحكام أرباب الهدى وسعاة الناس في الأمر الشجر[3].

''ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت'' وقيل: هو معطوف على مقدر ينساق إليه الكلام: أي فتقضي بينهم ثم لا يجدوا و''الحرج'': الضيق، وقيل الشك، ومنه قيل للشجر الملتف: حرج وحرجة، وجمعها حراج، وقيل الحرج: الإثم، أي لا يجدون في أنفسهم إثما بإنكارهم ما قضيت. ''ويسلموا تسليما'' أي ينقادوا لأمرك وقضائك انقيادا لا يخالفونه في شئ. قال الزجاج: ''تسليما'' مصدر مؤكد: أي ويسلمون لحكمك تسليما لا يدخلون على أنفسهم شكا ولا شبهة فيه. والظاهر أن هذا شامل لكل فرد في كل حكم كما يؤيد ذلك قوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذۡنِ ٱللَّهِ﴾[4] فلا يختص بالمقصودين بقوله: ''يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت'' وهذا في حياته ﷺ، وأما بعد موته فتحكيم الكتاب والسنة، ويحكم الحاكم بما فيها من الأئمة والقضاة إذا كان لا يحكم بالرأي المجرد.

مع وجود الدليل في الكتاب والسنة أو في أحدهما، وكان يعقل ما يرد عليه من حجج الكتاب والسنة، بأن يكون عالما باللغة العربية وما يتعلق بها: من نحو، وتصريف، ومعاني، وبيان، عارفا بما يحتاج إليه من علم الأصول بصيرا بالسنة المطهرة، مميزا بين الصحيح وما يلحق به، والضعيف وما يلحق به، منصفا غير متعصب لمذهب من المذاهب ولا لنحلة من النحل، ورعا لا يحيف ولا يميل في حكمه، فمن كان هكذا فهو قائم في مقام النبوة مترجم عنها حاكم بأحكامها.

---

(١) قال البخاري: حدثنا علي بن عبدالله حدثنا محمد بن جعفر حدثنا معمر عن الزهري عن عروة قال: خاصم الزبير رجلا في شراج الحرة فقال النبي ﷺ :''اسق يا زبير ثم ارسل الماء إلى جارك'' فقال الأنصاري يا رسول الله إن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه الرسول ﷺ ثم قال: ''اسق يا زبير ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ثم أرسل الماء إلى جارك'' فاستدعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم، حين احفظه الأنصاري وكان أشار عليهما ﷺ بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير :فما أحسب هذه الآية إلا نزلت في ذلك ''فلا وربك لا يؤمن أحدكم حتى يحكموك فيما شجر بينهم'' الآية.

(٢) سورة الواقعة آية ٧٥.

(٣) الشجر: أي المختلف، ومنه تشاجر الرماح: أي اختلافها.

(٤) سورة النساء آية ٦٤.

وفي هذا الوعيد الشديد ما تقشعر له الجلود وترجف له الأفئدة، فإنه أولاً أقسم سبحانه بنفسه، مؤكداً لهذا القسم بحرف النفي بأنهم لا يؤمنون، فنفى عنهم الإيمان، الذي هو رأس مال صالحي عباد الله، حتى تحصل لهم غاية هي تحكيم رسول الله ﷺ ثم لم يكتف سبحانه بذلك حتى قال: ''ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت'' فضم إلى التحكيم أمراً آخر، هو عدم وجود حرج: أي حرج في صدورهم، فلا يكون مجرد التحكيم و الإذعان كافياً، حتى يكون من صميم القلب عن رضا واطمئنان وانثلاج قلب وطيب نفس، ثم لم يكتف بهذا كله بل ضم إليه قوله: ''ويسلموا'' أي يذعنوا وينقادوا ظاهراً وباطناً، ثم لم يكتف بذلك، بل ضم إليه المصدر المؤكد فقال: ''تسليماً'' فلا يثبت الإيمان لعبد حتى يقع منه هذا التحكيم، ولا يجد الحرج في صدره بما قضي عليه ويسلم بحكم الله وشرعه، تسليماً لا يخالطه رد ولا تشوبه مخالفة. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني: ''فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم'' اللام لتأكيد القسم أي فوربك يا محمد لا يكونون مؤمنين حتى يجعلوك حكماً بينهم ويرضوا بحكمك فيما تنازعوا فيه واختلفوا من الأمور. ''ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً'' أي ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً من حكمك وينقادوا انقياداً تاماً كاملاً لقضائك، من غير معارضة ولا مدافعة ولا منازعة فحقيقة الإيمان الخضوع والإذعان.

الصرف :

حرجاً : مصدر سماعي لفعل حرج يحرج باب مزح يفرح.

تسليماً : مصدر قياسي لفعل سلم الرباعي وزنه فعل تفعيلاً.

الإعراب :

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾

الفاء : استئنافية. **لا** : زائدة لتأكيد معنى النفي في جواب القسم.

الواو : واو القسم. **ربّ**: مجرور بالواو متعلق بفعل مقدّر تقديره أقسم. وجملة ''فلا وربك'' استئنافية لا محل لها من الإعراب. الكاف: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

لا : نافية.

يؤمنون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة. وجملة ''لا يؤمنون'' جواب القسم لا محل لها من الإعراب. **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

حتى : حرف غاية وجر.

يحكموك : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وعلامة نصبه حذف النون. **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. **الكاف** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''يحكموك'' لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرفي ''أن'' والمصدر المؤول ''أن يحكموك'' في محل جر متعلق بـ ''يؤمنون''.

في : حرف جر مبني. **ما** : اسم موصول مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلق بالفعل ''يحكموك''.

شجر : فعل ماض مبني على الفتح. والفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

بين : ظرف مكان منصوب متعلق بـ ''شجر'' وهو مضاف. هم: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. وجملة ''شجر بينهم'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

ثم : حرف عطف.

لا : نافية لا محل لها من الإعراب.

يجدوا : معطوفة على يحكموك منصوبة بحذف النون. الواو: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

في : حرف جر مبني.

أنفس : اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف. والجار والمجرور ''في نفس'' متعلق بمحذوف مفعول ثان. **هم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

حرجا : مفعول به أول لـ ''يجدوا''.

من : حرف جر مبني. **ما** : اسم موصول مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور ''مما'' متعلق بالمصدر ''حرج''.

قضي : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بالتاء. **التاء** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''قضيت'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

الواو : حرف عطف مبني على الفتح.

يسلموا : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة وعلامة نصبه حذف النون لأنه معطوف على يحكموك. الواو: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''يسلموا'' معطوفة على جملة يحكموك لا محل لها.

تسليماً : مفعول مطلق منصوب.

أراء النحاة في ''فلا وربك''

تعددت أراء النحاة في إعراب ''لا'' الأولى :

١. هي نفي لكلام مقدر: أي ليس الأمر كما يزعمون وعلى هذا الوجه يكون ما بعدها مستأنفا.
٢. إنها قدمت على القسم اهتماما بالنفي ثم تكررت توكيدا.
٣. اعتبار ''لا'' الثانية زائدة والقسم معترض بين حرفي النفي والمنفي، والتقدير على الأصل فلا يؤمنون وربك.
٤. إنها زائدة ''فوربك'' وهذه الزيادة تفيد التعظيم والتأكيد.

٧- كما مدح الله سبحانه رسوله بطريقة غير مباشرة، وأكرمه كرامة عظيمة عندما وعد رسوله بأنه لن يعذب قومه الضالين الكافرين، وهو بين ظهرانيهم إكراما له وتعظيما لمكانته عند ربه، وقد ورد هذا المدح غير المباشر في قوله سبحانه:
﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾[١].

جاء في تفسير الصابوني[٢] لهذه الآية: هذا جواب لكلمتهم الشنعاء ''ويقصد هنا التآمر على الرسول في دار الندوة بصحبة إبليس، والاتفاق على قتله ﷺ بأيدي فتية من قبائل شتى، حتى يتفرق دمه بين القبائل'' وهذا سبب موجب لإمهالهم، أي إنهم يستحقون للعذاب، ولكن لا يعذبهم وأنت فيهم إكراما لك يا محمد فقد جرت سنة الله وحكمته ألا تعذب أمة ونبيها بين ظهرانيها قال ابن عباس: لم تعذب أمة قط ونبيها فيها، والمراد بالعذاب عذاب الاستئصال. كما أورد الله في هذه الآية كرامة عظيمة للمؤمنين بقوله سبحانه ''وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون'' وهذا وعد لعباده المؤمنين المستغفرين ألا يعذب قومهم الكافرين وفيهم مؤمنون يستغفرون الله وهو إشارة إلى استغفار من بقى بين أظهرهم من المسلمين المستضعفين. قال ابن عباس: كان فيهم أمانان: نبي الله ﷺ، واستغفار المؤمنين، أما النبي فقد مضى، و أما الاستغفار فهو باق إلى يوم القيامة[٣] ''الشوكاني''. وجاء في فتح القدير للشوكاني تفسيرا لهذه الآية: (وما كان الله ليعذبهم وأنت) يا محمد (فيهم) موجود، فإنك ما دمت فيهم، فهم في مهلة من العذاب الذي هو الاستئصال. (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) روي أنهم

---

(١) سورة الأنفال آية ٣٣.
(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٠٢/١.
(٣) التفسير الكبير للرازي: ١٥٨/١٥.

كانوا يقولون في الطواف غفرانك: أي وما كان الله معذبهم في حال كونهم يستغفرونه، وقيل المعنى: لو كانوا ممن يؤمن بالله ويستغفره لم يعذبهم وقيل: إن الاستغفار راجع إلى المسلمين الذين هم بين أظهرهم: أي وما كان الله ليعذبهم وفيهم من يستغفر من المسلمين، فلما خرجوا من بين أظهرهم عذبهم بيوم بدر وما بعده، وقيل المعنى: وما كان الله معذبهم وفي أصلابهم من يستغفر الله. وجاء في كشاف الزمخشري (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) اللام هنا لتأكيد النفي، والدلالة على أن تعذيبهم وأنت بين أظهرهم غير مستقيم في الحكمة، لأن عادة الله وقضية حكمته أن لا يعذب قوما عذاب الاستئصال ما دام نبيهم بين أظهرهم وفيه الشعار بأنهم مرصدون بالعذاب إذا هاجر عنهم. والدليل على هذا الإشعار قوله: ''وما لهم ألا يعذبهم الله'' كأنه قال: وما كان ليعذبهم وأنت فيهم، وهو معذبهم إذا فارقتهم، وما لهم أن لا يعذبهم (وهم يستغفرون) في موضع الحال. ومعناه نفي الاستغفار عنهم: أي ولو كانوا ممن يؤمن ويستغفر من الكفر لما عذبهم، ولكنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون، ولا يتوقع ذلك منهم وقيل: معناه وما كان الله معذبهم وفيهم من يستغفر، وهم المسلمون بين أظهرهم ممن تخلف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من المستضعفين، وهذه كرامة للمؤمنين ومدح بطريقة غير مباشرة للمؤمنين الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ بعد هجرته. وجاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) الآية قال ابن عباس كان فيهم أمانان : النبي صلى الله عليه وسلم ، والاستغفار ، فذهب النبي صلى الله عليه وسلم وبقى الاستغفار. وقال علي بن طلحة عن ابن عباس (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) يقول ما كان الله ليعذب قوما وأنبياؤهم بين أظهرهم حتى يخرجهم ثم قال (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يقول وفيهم من قد سبق له من الله الدخول في الإيمان وهو الاستغفار، يستغفرون يعني يصلون يعني بهذا أهل مكة. وقال الضحاك وأبو مالك (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) يعني المؤمنين الذين كانوا بمكة. قال ﷺ: ''أنزل الله علي أمانين لأمتي (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) فإذا مضيت تركت فيهم الاستغفار إلى يوم القيامة''.

الإعراب : ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾

الواو : حرف عطف.

ما : نافية.

كان : فعل ماض ناقص ناسخ.

الله : لفظ الجلالة اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

اللام : لام الجحود.

يعذب : فعل مضارع منصوب بان مضمرة بعد لام الجحود. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو. هم: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. والمصدر المؤول (أن يعذبهم) في محل جر باللام. وجملة (يعذبهم) لا محل لها صلة الموصول الحرفي (أن) المضمر متعلق بمحذوف خبر كان في محل نصب.

الواو : واو الحال.

أنت : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ.

في : حرف جر مبني. هم: ضمير مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتدأ أنت. والجملة الاسمية (أنت فيهم) في محل نصب حال.

الواو : حرف عطف.

كان : فعل ماضٍ ناقص ناسخ.

الله : لفظ الجلالة اسم كان مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

مُعَذِّبَ : خبر كان منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف. هم: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. وجملة (ما كان الله معذبهم) لا محل لها معطوفة على الاستئناف المقدر في ''وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم''.

الواو : واو الحال. **هم** : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ.

يستغفرون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون. الواو: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. والجملة الاسمية (وهم يستغفرون) في محل نصب حال.

٨- وقد ورد مدح النبي ﷺ بطريقة غير مباشرة أيضاً في قوله تعالى:

﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ۗ﴾[1] وقد جاءت الآية لا لتذكر العلاقة بين الرسول ﷺ والمؤمنين، وإنما تكريم عظيم للرسول من ربه إذ ذكر صفة من الصفات التي رباه الله عليها، وهي خوفه على أتباعه المؤمنين من العذاب، وخشيته عليهم من غضب ربهم مما يورثهم الجحيم في الآخرة، والذل والهوان في الدنيا، وقد رباه الله سبحانه بشفافية وإحساس مرهف، يتمنى لكل أهل الأرض من ذرية آدم الهداية، وإزاحة الظلمة والغشاوة عن عيونهم والانضواء تحت لواء النور، خوفاً من عقاب القوي الجبار، وحبه للمؤمنين نابع من حبه لهم، ومعرفته الأكيدة لما ينتظر الضالين الكفرة من هوان في الدنيا، وعذاب أليم في الآخرة. إن الله سبحانه لم يذكر صفات محمد وخلاله التي رباه

---

(١) سورة الأحزاب آية ٦.

عليها بطريقة مباشرة، وإنما مدحه بأسلوب غير مباشر. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ''قد علم الله تعالى شفقة رسوله ﷺ على أمته ونصحه لهم، فجعله أولى بهم من أنفسهم، وحكمه فيهم مقدم على اختيارهم لأنفسهم. وفي الصحيح: ''والذي نفسي بيده لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه، وماله، وولده، والناس أجمعين'' وفي الصحيح أيضاً أن عمر رضي الله عنه قال: يا رسول الله والله لأنت أحب إليّ من كل شيء حتى نفسي. فقال ﷺ: ''الآن يا عمر'' ولهذا قال تعالى في هذه الآية (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) وفي البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: ''ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة اقرؤوا إن شئتم (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) فأيما مؤمن ترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك ديناً أو ضياعاً فليأتني فأنا مولاه''. (وأزواجه أمهاتهم) أي في الحرمة والاحترام، أو التوقير والإكرام والإعظام، ولكن لا تجوز الخلوة بهن، ولا ينتشر التحريم إلى بناتهن وأخواتهن بالإجماع: وإن سمى بعض العلماء بناتهن إخوان المؤمنين كما هو منصوص الشافعي رضي الله عنه في المختصر، وهو من باب إطلاق العبادة لإثبات الحكم، وهل يقال لمعاوية وأمثاله خال المؤمنين؟ فيه قولان للعلماء رضي الله عنهم، ونص الشافعي رضي الله عنه على أنه يقال ذلك، وهل يقال له ﷺ أبو المؤمنين؟ فيه قولان صح عن عائشة رضى الله عنها أنها قالت: لا يقال ذلك، وهذا أصحّ الوجهين في مذهب الشافعي رضي الله عنه.

وجاء في كشاف الزمخشري (النبي أولى بالمؤمنين) في كل شئ من أمور الدين والدنيا. (من أنفسهم) ولهذا أطلق ولم يقيده، فيجب عليهم أن يكون أحب إليهم من أنفسهم، وحكمه أنفذ عليهم من حكمها، وحقه آثر لديهم من حقوقها، وشفقتهم عليه أقدم من شفقتهم عليها، وإن يبذلوها دونه، ويجعلوها فداءه إذا أعضل خطب، ووفاءه إذا لقحت حرب، وأن لا يتبعوا ما تدعوهم إليه نفوسهم ولا ما تصرفهم عنه، ويتبعوا كل ما دعاهم إليه رسول الله ﷺ وصرفهم عنه، لأن كل ما دعا إليه فهو إرشادهم إلى نيل النجاة والظفر بسعادة الدارين وما صرفهم عنه، فأخذ بحجزهم[1] لئلا يتهافتوا فيمت يرمي بهم إلى الشقاوة وعذاب النار. أو هو أولى بهم، على معنى أنه أرأف بهم وأعطف عليهم وانفع لهم كقوله تعالى ''بالمؤمنين رؤوف رحيم'' وعن النبي ﷺ ''ما من مؤمن إلا أنا أولى به في الدنيا والآخرة''. اقرؤوا إن شئتم ''النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم'' فأيما مؤمن هلك وترك مالاً فليرثه عصبته من كانوا، وإن ترك دَيْناً أو ضياعاً فإليَّ''[2]. وجاء في فتح القدير للشوكاني: (النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أي هو أحق بهم في كل أمور الدين والدنيا، وأولى بهم من أنفسهم فضلاً عن أن يكون أولى بهم من غيرهم، فيجب عليهم أن يؤثروه بما أراده من أموالهم، وإن كانوا محتاجين إليها، ويحب عليهم أن يحبوه زيادة على حبهم أنفسهم، ويجب عليهم أن يقدموا حكمه عليهم على حكمهم لأنفسهم، وبالجملة

---

(١) قوله ''أخذ بحجزهم'' في الصحاح ''حجزة الإزار'' معقده. ''وحجزة السراويل'' التي فيها التكة (حاشية الشيخ محمد عليان).

(٢) أخرجه البخاري عن طريق عبد الرحمن بن أبي عمرة عن أبي هريرة رضي الله عنه بمعناه.

والدليل على ذلك أن هذا التحريم لم يتعد إلى بناتهن، وكذلك لم يثبت لهن سائر أحكام الأمهات. وجاء في مصحف أبي بن كعب ''وأزواجه أمهاتهم وهو أب لهم''. وقرأ ابن عباس ''أولى بالمؤمنين من أنفسهم وهو أبٌ وأزواجه أمهاتهم ''.

البلاغة :

في هذه الآية تشبيه بليغ في قوله تعالى (وأزواجه أمهاتهم) تشبيه لهن بالأمهات في بعض الأحكام وهي: وجوب تعظيمهن واحترامهن وتحريم نكاحهن، ولذلك قالت عائشة رضي الله عنها: ''لسنا أمهات النساء'' تعني أنهن إنما كن أمهات الرجال، لكونهن محرمات عليهم كتحريم أمهاتهم، ولهذا كان لابد من تقدير أداة التشبيه فيه.

الإعراب :

﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾

النبي : مبتدأ مرفوع بالضمة.

أولى خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. والجملة الاسمية (النبي أولى) استئنافية لا محل لها من الإعراب.

بالمؤمنين الباء : حرف جر مبني. المؤمنين: اسم مجرور بالباء وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم. والجار والمجرور (بالمؤمنين) متعلق بالخبر أولى.

من أنفسهم : من : حرف جر مبني. **أنفسهم** : إسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة وهو مضاف. هم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. والجار والمجرور (من أنفسهم) متعلق بالخبر أولى.

بعضهم : **بعض** : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف. هم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

أولى : خبر المبتدأ الثاني مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على الألف منع من ظهورها التعذر.

الواو : حرف عطف مبني.

أزواجه : أزواج: مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة، وهو مضاف. الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

أمهات خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف.
هم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. والجملة الاسمية (وأزواجهم أمهاتهم) معطوفة على الاستئنافية لا محل لها من الإعراب.

٩- كما مدح الله سبحانه القرآن مدحا غير مباشر، إذ لم يذكر فضله على أمة الإسلام، وما فيه من حكم وعبر، ولم يذكر ما في هذا الكتاب من الكنوز، الواجب على كل مؤمن عالم أن ينقب عنها، باذلا الجهد العظيم للوصول إلى مكنوناتها. وإنما مدح هذا السفر العظيم بطريقة غير مباشرة، بذكر قرينة تدل على قيمته عند منزله على قلب رسوله الأمين، ليكون رحمة للعالمين، هاديا وبشيرا ونذيرا، كما ذكر الله سبحانه أنه سيحفظ هذا القرآن من كل زيادة أو نقص أو ضياع، لأنه خاتم الكتب السماوية، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، منزه عن التحريف والتلاعب بقوله تعالى:
﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾[1].

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: أن الله سبحانه قد قرر في هذه الآية أنه هو الذي أنزل عليه الذكر وهو القرآن وهو الحافظ له من التغير والتبديل، ومنهم من أعاد الضمير في قوله (له لحافظون) على النبي ﷺ كقوله (والله يعصمك من الناس) والمعنى الأول أولى وهو ظاهر السياق. وجاء في الكشاف للزمخشري: (إنا نحن نزلنا الذكر) رد لإنكارهم واستهزائهم[2] في قولهم (يا أيها الذي نزل عليه الذكر) ولذلك قال: إنا نحن، فأكد عليهم أنه هو المنزل على القطع والثبات، وأنه هو الذي بعث به جبريل إلى محمد ﷺ وبين يديه ومن خلفه رصد، حتى نزل وبلغ محفوظا من الشياطين، وهو حافظه في كل وقت من كل زيادة ونقصان وتحريف وتبديل، بخلاف الكتب المتقدمة، فإنه لم يتول حفظها، وإنما استحفظها الربانيين والأحبار، فاختلفوا فيما بينهم بغيا، فكان التحريف، ولم يكل القرآن إلى غيره لحفظه. فإن قلت: حين كان قوله (إنا نحن نزلنا الذكر) ردا لإنكارهم واستهزائهم، فكيف اتصل به قوله (وإنا له لحافظون) قلت: قد جعل ذلك دليلا على أنه منزل من عنده آية، لأنه لو كان من قول البشر أو غير آية لتطرق عليه الزيادة والنقصان، كما يتطرق على كل كلام سواه وقيل: الضمير في (له) لرسول الله ﷺ كقوله تعالى (والله يعصمك). وجاء في فتح القدير للشوكاني: لقد أنكر الله على الكفار استهزاءهم برسوله ﷺ بقولهم: (يا أيها الذي نزل عليه الذكر انك لمجنون) فقال سبحانه: (إنا نحن نزلنا الذكر) أي نحن نزلنا ذلك الذكر الذي أنكروه ونسبوك بسببه إلى الجنون (وإنا له لحافظون)

---

(١) سورة الحجر آية ٩.

(٢) قال محمود الزمخشري: (هذا رد لإنكارهم واستهزائهم ... الخ). قال أحمد ويحتمل أن يراد حفظه مما يشينه من تناقض واختلاف لا يخلو عنه الكلام المفترى. وذلك أيضا من الدليل على أنه من عند الله كما قال تعالى في آية أخرى (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا).

عن كل ما يليق به من تصحيف وتحريف وزيادة ونقص ونحو ذلك. وفيه وعيد شديد للمكذبين به المستهزئين برسول الله ﷺ والأول أولى بالمقام. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني: (إنا نحن نزلنا الذكر) أي نحن بعظمة شأننا نزلنا عليك القرآن يا محمد (وإنا له لحافظون) ونحن لحافظون لهذا القرآن، نصونه عن الزيادة والنقصان، والتبديل والتغير، قال المفسرون: تكفل الله بحفظ هذا القرآن لعلو منزلته ورفعة شأنه عند الله، وهو مدح غير مباشر للقرآن. فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان، ولا على التبديل والتغير، كما جرى في غيره من الكتب فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله تعالى (بما استحفظوا من كتاب الله) وانظر الفرق بين هذه الآية (وإنا له لحافظون) حيث ضمن حفظه، وبين الآية السابقة حيث وكل حفظه إليهم فبدلوا وغيروا.

الإعراب

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾

إن : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها. **نا** الفاعلين: ضمير متصل مبني في محل نصب اسم إن

نحن : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ ثان.

نزلنا : **نزل** : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بنا الفاعلين. **نا** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

الذكر : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة. والجملة الفعلية (نزلنا) في محل رفع خبر للمبتدأ الثاني. والجملة الاسمية (نحن نزلنا) في محل رفع خبر للمبتدأ الأول. والجملة (إنا نحن...) استئنافية لا محل لها من الإعراب.

الواو : حرف عطف مبني.

إنا : **إن** : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها. **نا** الفاعلين: ضمير متصل مبني في محل نصب اسم إن.

له : **اللام** : حرف جر مبني. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلق باسم الفاعل (حافظون).

لحافظون : اللام: المزحلقة للتوكيد. حافظون: خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم. وجملة (وإنا له لحافظون) معطوفة على الاستئنافية لا محل لها من الإعراب.

١٠- قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾[١] أي أن الله سبحانه وتعالى قد سلك القرآن في قلوب الكافرين، كما سلكه في قلوب المؤمنين فاستقر بها، وتمكن منها لإعجازه وبيانه وقوته. وتلك هي معجزة الله في القرآن، فقد تسلل إلى قلوب الكافرين بسهولة ويسر، فأخذ بألبابهم وتمكن من عقولهم، وراح يشدهم إلى الإيمان شدا، لكن عنادهم وظلمهم لأنفسهم، وتكبرهم، دفعهم إلى تكذيب ما جاء به، وهذه الآية مدح غير مباشر للقرآن وما فيه من إعجاز، وقوة إقناع وبلاغة، كيف لا، وهو من عند رب العالمين ومعجزة رسوله إلى خلقه. يقول الزمخشري في كشافه: يقال: سلكت الخيط في الإبرة وأسلكته إذا أدخلته فيها ونظمته. أي مثل ذلك السلك ونحوه: نسلك الذكر في (قلوب المجرمين) على معنى أنه يلقيه في قلوبهم[٢] مكذباً مستهزأً به غير مقبول، كما لو أنزلت بلئيم حاجة فلم يجبك إليها فقلت: كذلك أنزلها باللئام. تعني مثل هذا الإنزال أنزلها بهم مردودة غير مقضية. ونحن نقول: إن هذه الآية مدح غير مباشر للقرآن بالإضافة إلى أنها تهديد ووعيد لأهل مكة اللذين يملكون الفصاحة والفهم لإعجاز القرآن وبيانه إذا أصروا على كفرهم وعنادهم رغم فهمهم وعلمهم بما فيه. وقد اتفق هذان المفسران على أن قوله تعالى (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) أي كذلك نسلك الباطن والضلال والاستهزاء بأنبياء الله في قلوب المجرمين، كما سلكناه وأدخلناه في قلوب أولئك المستهزئين. وقال الزجاج: وقد مضت سنة الله في الأولين بأن سلك الكفر والضلال في قلوبهم.

القراءة :

وقرئ : نسلكه للذكر.

البلاغة :

في قوله تعالى: (كذلك نسلكه في قلوب المجرمين) تشبيه تمثيلي. ففي الكلام تشبيه تمثيلي.

---

(١) سورة الحجر آية ١٢.

(٢) قال محمود الزمخشري: ''معناه يلقيه في قلوب مكذباً به قال أحمد: والمراد والله أعلم إقامة الحجة على المكذبين بأن الله تعالى سلك القرآن في قلوبهم وأدخله في سويدائها، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين فكذب به هؤلاء وصدق به هؤلاء كل على علم وفهم، (ليهلك من هلك عن بينة ويحيا من حي عن بينة) ولئلا يكون للكفار على الله حجة بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن وهم في مهلة و إمكان أنهم ما كفروا إلا على علم معاندين باغين غير معذورين، والله أعلم. ولذلك عقبه الله تعالى بقوله: ''ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعجزون* لقالوا إنما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون'' أي هؤلاء فهموا القرآن وعلموا وجوه إعجازه، وولج ذلك في قلوبهم ووقر. ولكنهم قوم سجيتهم العناد وشيمتهم اللدد، حتى لو سلك بهم أوضح السبيل ودعاها إلى الإيمان بضرورة المشاهدة، وذلك بأن يفتح لهم باباً في السماء ويعرج بهم إليه حتى يدخلوا فيه نهاراً. وهذا القول الذي أفضله.

للعناد المستحوذ عليهم، والعناد الراسخ في صدورهم، وتفضيل ذلك أن الله تعالى، سلك القرآن في قلوبهم، وأدخله في سويداءاته، كما سلك ذلك في قلوب المؤمنين المصدقين، فكذب به هؤلاء، وصدق به هؤلاء. كل على علم وبينة ليهلك من هلك عن بينة، ويحيا من حي عن بينة، ولئلا يكون للكفار على الله حجة، بأنهم ما فهموا وجوه الإعجاز كما فهمها من آمن، فأعلمهم الله تعالى من الآن، وهم في مهلة وإمكان، إنهم ما كفروا إلا على علم، معاندين باغين، ليكون أدحض لأية حجة يختلعونها، وأنفى لكل ادعاء يدعون به.

الإعراب :

﴿كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ﴾

الكاف : حرف جر مبني. **ذلك** : اسم إشارة مبني في محل جر متعلق بمحذوف مفعول مطلق ''عامله نسلك''. والإشارة إلى الاستهزاء والتكذيب. **اللام** : للبعيد. **الكاف** : للخطاب.

نسلكه : **نسلكُ** : فعل مضارع مرفوع بالضمة. الفاعل: ضمير مستتر تقديره نحن. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة (نسلكه) لا محل لها من الإعراب استئنافية.

في : حرف جر مبني.

قلوب : اسم مجرور وعلامة جره الكسرة وهو مضاف.

المجرمين : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه جمع مذكر سالم.

١١- في قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا هَٰذَا بَشَرًا﴾[1] مدح غير مباشر ليوسف عليه السلام، إذ بهر منظرُه وجمال وجهه النساء التي جمعتهن امرأة العزيز، وهن نساء الكبراء والأمراء اللواتي أنكرن عليها وعبن، أن تحاول غلامها عن نفسه وتدعوه إلى نفسها، وقد وصل حبه إلى شغاف قلبها، فدعتهن إلى بيتها لتضيفهن، وأعدت لهن مفارش ومخاد وطعام، فيه ما يقطع بالسكاكين. ثم قالت له (أخرج عليهن) وقد كانت قد خبأته في مكان قريب. فلما خرج أعظمن شأنه وأجللن قدره وجعلن يقطعن أيديهن. والمدح هنا غير مباشر، لأن الآية لم تذكر خصلة واحدة من خصاله الحميدة، أو درجة إيمانه، أو مأثرة من مآثره، وإنما مدحته بطريقة غير مباشرة ونوهت بأن صفاته لا تماثل البشر، وهو أقرب للملائكة في حسنه وجماله.

---

(١) سورة يوسف آية ٣١.

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير قوله تعالى: ''قلن حاش لله ما هذا بشراً'' لأنهن لم يرين في البشر شبيهه ولا قريباً منه، فإنه عليه السلام كان قد أُعطِيَ شطر الحسن، كما ثبت ذلك في الحديث الصحيح، وفي حديث الإسراء أن رسول الله ﷺ مر بيوسف عليه السلام في السماء الثالثة قال: ''فإذا قد أعطى شطر الحسن''. وجاء في الكشاف للزمخشري: في قوله تعالى ''ما هذا بشرا'' نفين عنه البشرية لغرابة جماله ومباعدة حسنه لما عليه محاسن الصور، وأثبتن له الملكية[1] وثبت بها الحكم، وذلك لأن الله سبحانه وتعالى ركز في الطباع أن لا أحسن من الملك، كما ركز فيها أن لا أقبح من الشيطان، ولذلك يشبه كل متناه في الحسن والقبح بهما، كما ركز فيها أن لا أدخل في الشر من الشياطين، ولا أجمع للخير من الملائكة. وجاء في فتح القدير للشوكاني قوله تعالى (حاشا الله). قال الزجاج: وأصل الكلمة من الحاشية بمعنى الناحية تقول كنت في حاشية فلان: أي في ناحيته، فقولك حاشا لزيد من هذا: أي تباعد منه. وقال أبو علي: هو من المحاشاة: ومعناها هنا التنزيه كما تقول: أسى القوم حاشا زيدا، فمعنى حاشا الله: براءة لله وتنزيه له. قوله (ما هذا بشرا) إعمال، ''ما'' عمل ليس هي لغة أهل الحجاز، وبها نزل القرآن كهذه الآية، وكقوله سبحانه:

﴿ مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ﴾[2]، وأما بنو تميم فلا يعملونها عمل ليس. وقال الكوفيون: أصله ما هذا ببشر، فلما جذفت الباء انتصب. قال أحمد بن يحيى ثعلب: إذا قلت ما زيد بمنطلق، فموضع الباء موضع نصب، وهكذا سائر حروف الخفض. وأما الخليل وسيبويه وجمهور النحويين فقد أعملوها عمل ليس، وبه قال البصريون والبحث مقرر في كتب النحو بشواهده وحجمه، وإنما نفين عنه البشرية لأنه قد برز في صورة قد لبست من الجمال البديع ما لم يُعهد على أحد من البشر، ولا أبصر المبصرون ما يقاربه في جميع الصور البشرية، ثم لما نفين عنه البشرية لهذه العلة، أثبتن له الملكية وإن كن لا يعرفن الملائكة، لكنه قد تقرر في الطباع، أنهم على شكل فوق شكل البشر في الذات والصفات، وأنهم فائقون في كل شئ، كما تقرر أن الشياطين على العكس من ذلك، ومن هذا قول الشاعر:

فلست للإنسيّ ولكن لملاك ... تَنَزَّلَ من جَوِّ السّماءِ يُصَوِّتُ

وجاء في صفوة التفاسير للصابوني تفسيراً لهذه الآية: وقوله تعالى (وقلن حاش لله) أي تنزه الله عن صفات العجز، وتعالت عظمته في قدرته على خلق مثله (ما هذا بشرا) أي ليس هذا من البشر (إن هذا إلا ملك كريم) أي ما هو إلا ملك من الملائكة، فإن هذا الجمال الفائق والحسن الرائع مما لا يكاد يوجد في البشر. وهذا مدح غير مباشر ليوسف في جمال طلعته وبهاء وجهه وبعده عن الرذيلة، وجاءت بقرينة تبين هذا المدح بطريقة بعيدة عن المباشرة.

---

(١) نسبة إلى الملائكة.

(٢) سورة المجادلة آية ٢.

القراءات :

أ. وقرأ الحسن ''ما هذا بشراء'' على أن الباء حرف جر، والشين مكسورة: أي ما هذا بعبد يشترى وهذه قراءة ضعيفة لا تناسب ما بعدها من قوله سبحانه: (إن هذا إلا ملك كريم).

ب. وقراءة ابن مسعود ''حاشا الله'' بمعنى براءة الله وتنزيه الله، على إضافة حاشا إلى الله إضافة البراءة، ومن قرأ حاشا لله، فنحو قولك: سقيا لك، كأنه قال: براءة، ثم قال: لله لبيان من يُبَرِّأ وَيُنَزِّهُ. والدليل على تنزيل ''حاشا'' منزلة المصدر.

ج. قراءة أبي السمال : (حاشا لله) بالتنوين.

د. وقراءة أبي عمرو (حاش لله) بحذف الألف الآخرة.

ه. وقراءة الأعمش (حشا لله) بحذف الألف الأولى.

و. وقرئ (حاش لله) سكون الشين، على أن الفتحة تبعث الألف في الإسقاط، وهي ضعيفة لما فيها من التقاء الساكنين على غير حدة.

ز. وقرئ (حاشا الإله).

فإن قلت : فلم جاز في حاشا لله أن يكون لا ينون بعد إجرائه مجرى: براءة لله؟ قلت: مراعاة لأصله الذي هو الحرفية.

البلاغة :

في قوله تعالى: ''ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم'' تشبيه بليغ، إذ شبهن يوسف بالملك من دون ذكر الأداة والمقصود منه إثبات الحس، لأنه تعالى ركب في الطبائع أن لا شئ أحسن من الملك، وقد عاين ذلك قوم لوط في ضيف إبراهيم من الملائكة، كما ركب في الطباع أن لا شئ أقبح من الشيطان وكذلك قوله تعالى في صفة جهنم ''طلعها كأنه رؤوس الشياطين'' فكذلك قد تقرر أن لا شئ أحسن من الملك، فلما أرادت النسوة وصف يوسف بالحسن شبهنه بالملك، ولكن الأسلوب القرآني شاء أن يتجاوز المألوف من تشبيهات العرب لكل ما راعهم حسنه من البشر بالجن، فأدخل فيه فناً آخر لا يبدو للناظر للوهلة الأولى، وهو فن عرفوه بأنه سؤال المتكلم عما يعلمه حقيقة، تجاهلاً منه، ليخرج كلامه مخرج المدح أو ليدل كما هنا على شدة الوله في الحب، وقد يقصد به الذم، أو التعجب، أو التوبيخ، أو التقريع، ويسمى هذا الفن تجاهل العارف. وقوله: (ما هذا بشرا إن هذا إلا ملك كريم) فإنه كونه ''ملكا'' ينفي كونه ''بشرا'' فهي مؤكدة للأولى وقيل: (حاشا) بمعنى جانب يوسف المعصية لأجل الله، هذا لا يتأتى في: (حاشَ لله ما هذا بشرا) قال الفارسي: وهو فاعل، من الحشا الذي هو الناحية أي صار في ناحية، أي بَعُد مما رُمي به وتنحّى عنه فلم يفشَهُ ولم يلابسْهُ. فإن قلت: إذا قلنا باسمية (حاشا) فما وجه ترك التنوين في قراءة الجماعة وهي غير مضافة؟ قلت: قال ابن مالك: الوجه

أن تكون ''حاشى'' المشبهة بحاشى الذي هو حرف، وأنه شابهه لفظاً ومعنى، فجرى مجراه في البناء.

الإعراب :

﴿ مَا هَٰذَا بَشَرًا ﴾

الواو : حرف عطف مبني.

قُلْن : قُلْ : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بنون النسوة. النون : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. والجملة الفعلية (قلن) لا محل لها معطوفة على جملة أكبرنه.

حاشَ : فعل ماضٍ مبني على الفتحة المقدرة على الألف المحذوفة للتخفيف. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو يعود على يوسف.

لله : اللام: حرف جر مبني.

الله : لفظ الجلالة مجرور وعلامة جره الكسرة. والجار والمجرور (لله) متعلق بمحذوف حال من فاعل حاش أي مطيعاً لله. والجملة الفعلية (حاش لله) في محل نصب مقول القول.

ما : المشبهة بليس ترفع المبتدأ وتنصب الخبر.

هذا : الهاء : للتنبيه. ذا : اسم إشارة مبني في محل رفع اسم ما.

بشراً : خبر ما منصوب وعلامة نصبه الفتحة. والجملة (ما هذا بشراً) استئنافية بيانيه لا محل لها من الإعراب.

رأي الكوفيين بالعامل في نصب خبر ما المشبهة بليس[1]

ذهب الكوفيون إلى أن ''ما'' في لغة أهل الحجاز لا تعمل في الخبر. واحتجوا بأن قالوا: إنما قلنا إنها لا تعمل في الخبر وذلك لأن :

١. القياس في (ما) أن لا تكون عاملة البتةِ، لأن الحرف إنما يكون عاملاً إذا كان مختصاً، كحرف الخفض لما اختص بالأسماء عمل فيها، وحرف الجزم لما اختص بالأفعال عمل فيها، وإذا كان غير مختص، فوجب أن لا يعمل كحرف الاستفهام والعطف، لأنه تارة يدخل على الاسم، نحو (ما زَيْدٌ قائمٌ) وتارة يدخل على الأفعال مثل (ما زيد يقوم). فلما كانت مشتركة بين الاسم والفعل وجب ألا تعمل ولهذا كانت مهملة غير معمله في لغة بني تميم، وهو القياس.

---

(١) الإنصاف في مسائل الخلاف لابن الأنباري: ١٦٥/١، انظر في هذه المسألة: أسرار العربية لابن الأنباري: ص٥٩، وتصريح الشيخ خالد: ٢٣٦/٢، وكتاب سيبويه: ٢٨/١، وحاشية الصبان على الأشموني: ٢٣١/١-طبعة بولاق.

٢. إنما أعملها أهل الحجاز لأنهم شبهوها بليس من جهة المعنى، وهو شبه ضعيف فلم يقو على العمل في الخبر كما عملت ليس، لأن ليس فعل، وما حرف. والحرف أضعف من الفعل، فبطل أن يكون منصوباً بما، ووجب أن يكون منصوباً بحذف حرف الخفض (الجر).

٣. لأن الأصل ''ما زيد قائم''.

٤. فلما حذف حرف الخفض وجب أن يكون منصوباً، لأن الصفات منتصبات الأنفس، فلما ذهبت أبقت خلفاً منها، ولهذا لم يجز النصب إذا قدم الخبر، نحو ''ما قائم زيد'' أو دخل حرف الاستثناء نحو ''ما زيد إلا قائم'' لأنه لا يحسن دخول الباء معها، فلا يقال ''ما بقائم زيد، وما زيد إلا قائم'' فدل ذلك على ما قلناه.

رأي البصريين

وأما البصريون فاحتجوا بأن قالوا: الدليل على أن ''ما'' تنصب الخبر ذلك أن ما أشبهت ليس، فوجب أن تعمل عمل ليس، وعمل ليس الرفع والنصب، ووجه الشبه بينهما وبين ليس: من وجهين:

أ. أنها تدخل على المبتدأ والخبر، كما أن ليس تدخل على المبتدأ والخبر.

ب. أنها تنفي ما في الحال، كما أن ليس تنفي ما في الحال ويقوى الشَّبَهَ بينهما من هذين الوجهين دخول الباء في خبرها كما تدخل في خبر ليس، فإذا ثبت أنها قد شبهت ليس من هذين الوجهين فوجب أن تجري مجراه، لأنهم يجرون الشيء مجرى الشيء إذا شابهه من وجهين، إلا ترى أن ما لا ينصرف (الممنوع من الصرف) لما أشبه الفعل من وجهين، أُجريَ مجراه في منع الجر والتنوين، فكذلك هاهنا: لما أشبهت ما ليس من وجهين، وجب أن تعمل عملها، فوجب أن ترفع الاسم وتنصب الخبر كليس على ما بينا.

رد البصريين على الكوفيين

١. قال الكوفيون ''إن القياس يقتضي أن لا تعمل'' يرد البصريون ''كان هذا هو القياس، إلا أنه وجد بينها وبين ليس مشابهة اقتضت أن تعمل عملها، وهي لغة القرآن، قال الله تعالى: (ما هذا بشرا) وقال تعالى: (ما هن أمهاتهم).

٢. قال الكوفيون ''إن أهل الحجاز أعملوها لشبه ضعيف فلم يقو أن تعمل في الخبر''. ورد البصريون: ''هذا الشبه قد أوجب لها أن تعمل عملها، وهي ترفع الاسم وتنصب الخبر، على أنا قد عملنا بمقتضى هذا الضعف، فإنه يبطل عملها إذا تقدم خبرها على اسمها، أو إذا دخل حرف الاستثناء، أو إذا فصل بينها وبين معمولها بأن الخفيفة، ولولا ذلك الضعف لوجب أن تعمل في جميع هذه المواضع''.

٣. يقول الكوفيون : إن الأصل ''ما زيدٌ بقائمٍ''. يرد البصريون: فلا نسلم، وإنما الأصل عدمها، وإنما أدخلت لوجهين :

أ. أنها أدخلت توكيداً للنفي.

ب. ليكون في خبر ما بازاء اللام في خبر إن، لأن ما تنفي ما تثبته إنَّ، فجعلت الباء في خبرها نحو ''ما زيدٌ بقائمٍ'' لتكون بازاء اللام في نحو ''إن زيداً لقائمٌ'' كما جعلت السين جواب لن، ألا ترى أنك تقول ''لن يفعل'' فيكون الجواب ''سيفعل'' وكذلك جعلت قد جواباً لما ألا ترى أنك تقول ''لما يفعل'' فيكون الجواب ''قد فعل'' من غير قد، فدل على أن قد جواب لما، فكذلك هاهنا.

٤. يقول الكوفيون: ''إنه لما حذف حرف الخفض وجب أن يكون منصوباً، لأن الصفات منتصبات الأنفس فلما ذهبت أبقت خلفاً منها''. ويرد البصريون بقولهم: ''إن هذا فاسد، لأن الباء كانت في نفسها مكسورة غير مفتوحة، وليس فيها إعراب، لأن الإعراب لا يقع على حروف المعاني، ثم لو كان حذف حرف الخفض يوجب للنصب كما زعموا، لكان ذلك يجب في كل موضع يحذف فيه، ولا خلاف أن كثيراً من الأسماء تدخلها حروف الخفض ولا تنصب بحذفها، كقولك ''كفى بالله شهيدا، وكفى بالله نصيرا'' ولو حذفت حرف الخفض لقلت ''كفى الله شهيدا، وكفى الله نصيرا'' بالرفع''.

أساليب أخرى للمدح

تمهيد

إن هذا المبحث يحتاج إلى شئ من التدبر والتفكر، حيث هو استقراء لآيات الله واستخراج لأساليب أخرى للمدح، ليست من النوع المباشر أو غير المباشر، إنما يعتمد هذا النوع على الاستقراء والتمعن والغوص في أعماق الكلمات التي لم تكتب وإنما تفهم من السياق. إنه أسلوب رأيت أنه يعتمد على ذكر مساوئ الضد لإبراز محاسن الممدوح وإن لم تذكر، وإنما تبرز من خلال التنويه بمثالب الكاذبين المكذبين والفاسقين المعاندين. إنه أسلوب مدح يطل برأسه من بين معان لم تلفظ، وكلمات لم تكتب، وأهداف لم يفصح عنها. والواجب علينا أن ننقب عنها في خبايا هذا الكنز، وبين ثناياه، حتى نتمكن من الإفصاح عنها وعرضها وتبسيطها.

فالآيات التي سنستقرئها ستمكننا من كشف أساليب المدح الأخرى بعد تفسيرها وبيان المناسبات التي نزلت فيها. وتوضيح الإعجاز الذي تنطوي عليه والمعاني المستترة وراء ألفاظها. أفصحت عنها كلماتها المكتوبة ومدلولاتها، وكأنها تطلب منا أن نفكر بإمعان فيها، لنتوصل إلى المعاني العميقة التي تشير إليها، وقد ورد هذا النوع من المدح في آيات كثيرة إذ مدح المؤمنين المصدقين في سورة الزمر آية ٣، ومدح مؤمن آل فرعون في سورة غافر آية ٢٨، ومدح مؤمناً من بني إسرائيل في سورة الأحقاف آية ١٠، كما مدح المؤمنين من قوم موسى في سورة الصف آية ٥، وهناك أسلوب يعتمد في المدح على الاستفهام الاستنكاري بذم الضد كما ورد في سورة الصف آية ٧، ومدح للمؤمنين بذم اللذين أوغلوا في الكفر والعناد والفسوق كما في سورة المنافقين آية ٦ وسورة التوبة آية ٨، وأخيراً، هناك أسلوباً من هذا النوع يعتمد الحوار المنطقي وإيراد الحجة الدافعة لمدح الذات الإلهية بإبراز ضعف وعجز الضد كما في سورة يونس آية ٣٥.

١- قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ﴾(١) لقد نزلت هذه الآية في المشركين الذين يعبدون الملائكة أو عيسى عليه السلام، أو الأصنام، تقرباً إلى الله زلفى، ويقول سبحانه: بأنه سيحكم بينهم يوم القيامة، بأن يدخل الملائكة وعيسى الجنة، ويدخلهم النار مع الحجارة التي نحتوها وعبدوها من دون الله، يعذبهم بها حيث يجعلهم وإياها حصب جهنم. واختلافهم: أن الذين يُعْبَدون موحدون والذين يَعْبُدون مشركون، يعادونهم ويلعنونهم، وهم يرجون شفاعتهم وتقريبهم إلى الله زلفى. قال سبحانه ''إن الله لا يهدى من هو كاذب كفار'' إن من تعامى عن الحق وأصر على ضلالاته، وقلبه كافر بآيات الله وحججه وبراهينه، وعاند وكابر، واستمر في كذبه على الله، وافترائه على خالقه، فجزاؤه من الله أن يبعد عن الهداية والرشد، ويغلق قلبه عن الحق ليكون مصيره إلى النار، هو وما

(١) سورة الزمر آية ٣.

كان يعبد من الحجارة التي ينحتها، ليكونوا جميعاً وقود النار، جزاء كفره بأنعم الله التي أنعم بها على عباده. وكأن الله سبحانه يقول ''إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار''[1] وإنما يهدي إلى الحق الذي يُصدّق بكل ما أنزل الله على رسوله الأمين، ويخلص العبادة لله وحده لا شريك له. يهدي من لا يفتري على الله الكذب، وقلبه مطمئن للإيمان، مستسلم لله خالقه، يعبده وهو مؤمن بأنه لا شريك له ولا عديل ولا بديل. فأعمال الكافر غير مقبولة، وأعمال المؤمن مقبولة، ويثاب عليها بالجزاء الأوفى في الدنيا والآخرة. إنه نوع آخر من المدح، تبرزه الكلمات التي تمعن في ذم الضد، ويُفْهَمُ من القرائن والسياق، فالله سبحانه قد مدح المؤمنين المصدقين، بذم الكافرين المكذبين المعاندين،وإبراز هذا المدح وكأنه قد نطق به. مدح ظهر بكلمات لم تقال صراحة، وإنما عبرت عنه كلمات ذم للأضداد، اللذين كفروا بأنعم الله واستمروا في عنادهم وتكذيبهم، لتبرز محاسن المؤمنين المصدقين الأخيار.

القراءات :

(أ) قرأ ابن مسعود بإظهار القول ''قالوا ما نعبدهم''.

(ب) وفي قراءة أبي: ''ما نعبدكم إلا لتقربونا'' على الخطاب.

(ج) وقرئ: نَعبد، بضم النون.

(د) وقرئ: كذاب وكذوب.

البلاغة :

قال تعالى: ''إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار'' فإن ظاهر هذه الآية مشكل، لأن الله سبحانه وتعالى قد هدى كفاراً كثيراً وماتوا مسلمين وإنما المراد: لا يهدي من كان في علمه أنه قد حقت عليه كلمة العذاب، وبيانه بقوله تعالى: ﴿ أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي النَّارِ ﴾[2] إنه أمر مستبعد أن تنقذ الذين كتب الله عليهم أن يكونوا من أصحاب النار لصلفهم وعنادهم وكفرهم وإصرارهم على أعمالهم المنكرة التي تؤدي بهم إلى الجحيم. وقوله في سورة أخرى:
﴿ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ وَلَوْ جَاءَتْهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴾[3]. أي ثبت عليهم قول الله الذي كتبه في اللوح، وأخبر به الملائكة، أنهم يموتون كفاراً، فلا يكون غير ذلك وتلك كتابة معلوم لا كتابة مقدر ومراد، تعالى الله عن ذلك.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٢/٢.

(٢) سورة الزمر آية ١٩.

(٣) سورة يونس آية ٩٦، ٩٧.

الإعراب :

قال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴾.

إن : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها.

الله : لفظ الجلالة اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

لا : نافية لا محل لها من الإعراب.

يهدي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ الجلالة.

من : اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''لا يهدي من ...'' في محل رفع خبر إن.

هو : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ.

كاذب : خبر أول للمبتدأ ''هو'' مرفوع بالضمة.

كفار : خبر ثان للمبتدأ ''هو'' مرفوع بالضمة. والجملة الاسمية ''هو كاذب كفار'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب. وجملة ''إن الله لا يهدي'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

٢- وجاء في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَاذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾(١).

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: المشهور أن هذا الرجل المؤمن كان قبطيا من آل فرعون قال السدي: كان ابن عم فرعون، ويقال أنه الذي نجا مع موسى عليه الصلاة والسلام، واختاره ابن جرير، ورد قول من ذهب إلى أنه كان إسرائيليا، لأن فرعون انفعل لكلامه واستمعه، وكف عن قتل موسى عليه السلام، ولو كان إسرائيليا لأوشك أن يعاجل بالعقوبة لأنه منهم. وقال جرير عن ابن عباس رضى الله عنهما: لم يؤمن من آل فرعون سوى هذا الرجل وامرأة فرعون، والذي قال '' يا موسى إن الملأ يأتمرون بك ليقتلوك'' رواه ابن أبي حاتم، وقد كان هذا الرجل يكتم إيمانه عن قومه القبط، فلم يظهر إلا هذا اليوم حين قال فرعون :''ذروني أقتل موسى'' فأخذت الرجل غضبة لله عز وجل. وأفضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان جائر، كما ثبت في الحديث، ولا أعظم من هذه الكلمة عند فرعون وهي قوله ''أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله'' اللهم إلا ما رواه البخاري عن عروة بن الزبير رضي الله عنهما قال: قلت لعبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: أخبرني بأشد شيء صنعه

(١) سورة غافر آية ٢٨.

المشركون برسول الله ﷺ قال: بينما رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة، إذ أقبل عقبة بن أبي معيط، فأخذ بمنكب الرسول ﷺ ، ولوى ثوبه في عنقه فخنقه خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه فأخذ بمنكبه ودفعه عن النبي ﷺ ثم قال: ''أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم'' أي كيف تقتلون رجلا لكونه يقول ربي الله، وقد أقام لكم البرهان على صدق ما جاءكم به من الحق؟ ثم تنزل معهم في المخاطبة فقال: ''وإن يك كاذبا فعليه كذبه وإن يك صادقا يصبكم بعض الذي يعدكم'' يعني: إذا لم يظهر لكم صحة ما جاءكم به، فمن العقل والرأي التام والحزم، إن تتركوه ونفسه فلا تؤذوه، فإن يك كاذبا فإن الله سبحانه وتعالى سيجازيه على كذبه بالعقوبة في الدنيا والآخرة، وإن يك صادقا وقد آذيتموه، يصبكم بعض الذي يعدكم، فإنه يتوعدكم إن خالفتوه بعذاب في الدنيا والآخرة، فمن الجائز عندكم أن يكون صادقا، فينبغي على هذا ألا تتعرضوا له بل اتركوه وقومه يدعوهم ويتبعونه. وهكذا أخبر الله عز وجل عن موسى عليه السلام أنه طلب من فرعون وقومه الموادعة في قوله ''ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاء رسول كريم * إن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين* وإني عذت بربي أن ترجمون * وان لم تؤمنوا لي فاعتزلون''. وهكذا قال رسول الله ﷺ لقريش أن يتركوه يدعو إلى الله تعالى عباد الله، ولا يمسوه بسوء ويصلوا ما بينهم وبينه من القرابة في ترك أذيته، قال الله عز وجل: ''قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى'' أي لا تؤذوني فيما بيني وبينكم من القرابة، فلا تؤذوني وتتركوا بيني وبين الناس. وعلى هذا وقعت الهدنة يوم الحديبية، وكان فتحا مبينا، وقوله جل وعلا ''إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب'' أي لو كان هذا الذي يزعم أن الله تعالى أرسله إليكم كاذبا كما تزعمون، لكان أمره بينا يظهر لكل واحد في أقواله وأفعاله، فكانت تكون في غاية الاختلاف والاضطراب، وهذا نرى أمره سديدا ومنهجه مستقيما، ولو كان من المسرفين الكذابين، لما هداه الله وأرشده إلى ما ترون من انتظام أمره وفعله. وهذا أسلوب آخر من أساليب المدح. وجاء في الكشاف للزمخشري في قوله تعالى: ''إن الله لا يهدي من هو مسرف'' لو أنه كان مسرفا كذابا خذله الله وأهلكه ولم يستقم له أمر، فيتخلصون منه، وأنه لو كان مسرفا كذابا لما هداه الله للنبوة، ولما عضده بالبينات. وقيل: ما تولى أبو بكر من رسول الله ﷺ كان أشد من ذلك، طاف ﷺ بالبيت، فلقوه حين فرغ، فأخذوا بمجامع روائه فقالوا له: أنت الذي تنهانا عما كان يعبد آباؤنا، فقال: أنا ذاك، فقام أبو بكر الصديق رضي الله عنه فالتزمه من ورائه وقال: أتقتلون رجلا أن يقول ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم، رافعا صوته بذلك، وعيناه تسفحان حتى أرسلوه[1]. وعن جعفر الصادق: أن مؤمن آل فرعون قال ذلك سرا، وأبو بكر قاله ظاهرا، وهذا أسلوب آخر للمدح حيث يبين الله سبحانه ''لو أن موسى كذاب مسرف، لما هداه الله للنبوة، ولما عضده بالبينات، ولما استقامت أموره وتبعه قومه. إنه تأكيد على أن موسى صادق وليس بمسرف وأنه مهدي من الله، يتبع ما يأمره ربه به. وجاء في فتح القدير للشوكاني في قوله سبحانه: ''إن الله لا

(١) أخرجه النسائي من طريق هشام عم عروة عن أبيه عن عمرو بن العاص وابن حبان عن طريق يحيى بن عروة عن عروة عن عبدالله بن عمرو بن العاص أتم منه.

يهدي من هو مسرف كذاب'' هذا من تمام كلام الرجل المؤمن، وهو احتجاج أخر ذو وجهين: أحدهما أنه لو كان مسرفاً كذاباً لما هداه الله إلى البينات ولا أيده بالمعجزات، وثانيهما أنه إذا كان كذلك خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله، والمسرف المقيم على المعاصي المستكثر منها، والكذاب المفتري.

وهذا أسلوب آخر لمدح موسى عليه السلام بأنه:

١. ليس مسرفاً ولا كذاباً لأن الله هداه إلى البينات وأيده بالمعجزات.
٢. والثانية أنه لم يكن كذاباً ولا مسرفاً، لأن الله لم يخذله ولم يهلكه، لأنه ليس مقيماً على المعاصي وليس مستكثراً منها وليس كذاباً ولا مفترياً.

وجاء في صفوة التفاسير للصابوني في هذه الآية: كان هذا الرجل ابن عم فرعون وكان قبطياً يخفي إيمانه عن فرعون، فلما سمع قول الجبار متوعداً موسى بالقتل نصحهم بقوله ''أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله؟'' استفهام إنكاري للتبكيت، عليهم أي أتقتلون رجلاً لا ذنب له إلا لأجل أن قال: ربي الله من غير تفكر ولا تأمل في أمره ''وقد جاءكم بالبينات من ربكم'' أي والحال، أنه قد أتاكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها من عند ربكم ''وإن يك كاذباً فعليه كذبه'' أي إن كان كاذباً في دعوى الرسالة، فضرر كذبه لا يتعداه قال القرطبي: ولم يكن ذلك لشك منه في رسالته وصدقه، ولكن تلطفاً في الاستكفاف، واستنزالاً عن الأذى[١] ''وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم'' أي وإن كان صادقاً في دعواه، أصابكم بعض ما وعدكم به من العذاب ''إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب'' أي لا يوفق للهداية والإيمان من هو مسرف في الضلال، مبالغ في الكذب على الله قال الإمام الفخر: وفي هذا إشارة إلى رفع شأن موسى[٢] لأن الله هداه وأيده بالمعجزات، وتعريض بفرعون في أنه مسرف في عزمه على قتل موسى، كذاب في إقدامه على إدعاء الألوهية[٣]. والله لا يهدي مَنْ هذا شأنه وصفته، بل يبطله ويهدم أمره[٤] وقال في البحر: هذا نوع من أنواع علم البيان، بسميه علماؤنا استدراج المخاطب، وذلك أنه لما رأى فرعون قد عزم على قتل موسى، وقومه على تكذيبه، أراد الانتصار له بطريقة يخفي بها أنه من أتباعه، فجاءهم بطريق النصح والملاحظة فقال ''أتقتلون رجلاً'' ليوهمهم أنه لا يعرفه، ثم يقول ''أن يقول ربي الله'' ولم يقل رجلاً مؤمناً بالله أو هو نبي الله،

---

(١) تفسير القرطبي: ٣٠٧/١٥.

(٢) وهو أسلوب آخر للمدح (الباحث).

(٣) أسلوب آخر للمدح بإبراز وضلال وغواية الضد (الباحث).

(٤) التفسير الكبير للرازي: ٥٩/٢٧.

إذ لو قال ذلك لعلموا أنه متعصب ولم يقبلوا قوله، ثم أتبعه بقوله ''وإن يك كاذباً'' فقدم الكذب على الصدق موافقة لرأيهم فيه ثم تلاه بقوله ''وإن يك صادقاً'' ولم يقل هو صادق وكذلك قال ''يصبكم بعض الذي يعدكم'' ولم يقل كل ما يعدكم، ولو قال ذلك لعلموا أنه متعصب له، و أنه يزعم ثبوته وأنه يصدقه، ثم أتبعه بكلام يفهم منه أنه ليس بمصدق له وهو قوله ''إن الله لا يهدي من هو مسرف كذاب'' وفيه تعريض بفرعون، إذ هو في غاية الإسراف والكذب على الله، إذ ادعى الألوهية والربوبية[1].

البلاغة :

١. إذا اجتمع صفتان أو أكثر مختلفة في الصراحة والتأويل قدم الاسم المفرد، ثم الظرف أو عديله، ثم الجملة[2] منه قوله تعالى: ''وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه''. حيث قدم المفرد ''مؤمن'' ثم تبعه بعديل الظرف ''من آل فرعون'' ثم تبعه بالجملة ''يكتم إيمانه''.

٢. أو يكون في التأخير إخلال بالمعنى كقوله تعالى: ''قال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم إيمانه'' لو أخر قوله ''من آل فرعون'' من قوله ''يكتم إيمانه'' لتوهم أنه من صفة يكتم فيكون المعنى: إن الرجل يكتم إيمانه من آل فرعون فلا يفهم أنه منهم[3].

٣. وفي هذه الآية تقديم الوصف بالمفرد ''مؤمن'' على الوصف بالجملة ''يكتم إيمانه''[4].

٤. وفي الآية من باب التأدب في الخطاب قوله تعالى عن مؤمن آل فرعون ''وإن يك كاذباً فعليه كذبه وإن يك صادقاً يصبكم بعض الذي يعدكم''. هو من باب إرخاء العنان للخصم، ليدخل في المقصود بألطف موعود.

القراءات :

قال تعالى: ''وقال رجل مؤمن'' وقرئ: رَجُلٌ بسكون الجيم.

الإعراب :

قال تعالى: ﴿ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴾

وإن : الواو: حرف عطف. إن: حرف شرط يجزم فعلين.

---

(١) البحر المحيط: ٤٦٠/٧ وهذا أسلوب لخر للمدح بالتعريض وذم الضد.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٤/٣.

(٣) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٠٤/٣.

(٤) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٠٤/٣.

يك : فعل مضارع ناقص مجزوم فعل الشرط وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف. واسم يكن ضمير مستتر تقديره هو.

كاذباً : خبر يك منصوب.

فعليه : الفاء: واقعة في جواب الشرط. على: حرف جر مبني. الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور ''عليه'' متعلق بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ ''كذبه''.

كذبهُ : كذبُ: مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف. الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. والجملة الاسمية ''فعليه كذبه'' في محل جزم جواب الشرط.

وإن : الواو: حرف عطف مبني. إن: حرف شرط يجزم فعلين.

يك : فعل مضارع ناقص مجزوم وعلامة جزمه السكون على النون المحذوفة للتخفيف وهو فعل الشرط. اسم يك: ضمير مستتر تقديره هو.

صادقاً : خبر ''يك'' منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

يصبكم : يصبْ: فعل مضارع مجزوم بالسكون وهو جواب الشرط. كم: ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به.

بعض : فاعل مرفوع ''ليصبكم'' وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره وهو مضاف.الذي: اسم موصول مبني في محل جر مضاف إليه.

يعدكم : يعدُ: فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. الفاعل: ضمير متصل تقديره هو.

كم : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''يعدكم'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

به : الباء: حرف جر مبني. الهاء: ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور ''به'' متعلق بالفعل ''يعدكم''. وجملة ''يصبكم بعض ...'' جواب الشرط غير مقترنة بالفاء لا محل لها من الإعراب.

إن الله : إن: حرف توكيد ونصب تنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها. الله: لفظ الجلالة اسم ''إن'' منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

لا : نافية لا محل لها من الإعراب.

يهدي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منعاً من ظهورها الثقل. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى لفظ الجلالة.

من : اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''لا يهدي من ...'' في محل رفع خبر إن.

هو : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ.

مسرف : خبر أول للمبتدأ ''هو'' مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

كذاب : خبر ثان للمبتدأ ''هو'' مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. وجملة ''هو مسرف كذاب'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

٣- وهناك أسلوب آخر لمدح مؤمن من بني إسرائيل آمن بهذا القرآن العظيم، وشهد بصدقه وصحته، حيث وجد ما فيه مطابقا لما جاءت به الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبل محمد، بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به. أما أنتم أيها المشركون، فقد كفرتم بهذا القرآن واستكبرتم عن اتباعه وكذبتموه. قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾[١].

يقول ابن كثير في تفسير القرآن العظيم في هذه الآية: يقول تعالى ''قل'' يا محمد لهؤلاء المُشركين الكافرين بالقرآن ''أرأيتم إن كان'' هذا القرآن ''من عند الله وكفرتم به'' أي ما ظنكم أن الله صانع بكم إن كان هذا الكتاب الذي جئتكم به قد أنزله عليَّ لأبلغكموه، وقد كفرتم به وكذبتموه؟ ''وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله'' أي وقد شهد بصدقه وصحته الكتب المتقدمة المنزلة على الأنبياء عليهم الصلاة والسلام قبلي بشرت به وأخبرت بمثل ما أخبر هذا القرآن به. وقوله عز وجل ''فآمن'' أي هذا الذي شهد بصدقه من بني إسرائيل لمعرفته بحقيقته واستكبرتم أنتم عن اتباعه، وقال مسروق فآمن هذا الشاهد بنبيه وكتابه وكفرتم أنتم بنبيكم وكتابكم ''إن الله لا يهدي القوم الظالمين'' وهذا الشاهد اسم جنس يعم عبد الله بن سلام رضي الله عنه وغيره، فإن هذه الآية مكية نزلت قبل إسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه، وهذه كقوله تبارك وتعالى ''وإذا يتلى عليهم قالوا آمنا به إنه الحق من ربنا إنا كنا من قبله مسلمين''[٢] وقال ''إن اللذين أوتوا العلم من قبله إذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجداً ويقولون سبحان ربنا إن كان وعد ربنا مفعولاً''[٣] قال مسروق والشعبي ليس بعبد الله ابن سلام، هذه الآية مكية وإسلام عبد الله بن سلام رضي الله عنه كان بالمدينة. رواه عنهما جرير وابن أبي حاتم واختاره ابن جرير.

---

(١) سورة الأحقاف آية ١٠، جاء في البرهان في علوم القرآن للزركشي أن الحواميم كلها مكيات غير آية في الأحقاف نزلت في عبد الله بن سلام ''قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به''.

(٢) سورة القصص آية ٥٣.

(٣) سورة الإسراء آية ١٠٧.

وقال مالك عن أبي النضر عن عامر بن سعد عن أبيه قال: ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام رضي الله عنه، قال وفيه نزلت[1]. إنه أسلوب آخر للمدح، بإبراز محاسن المؤمن المصدق بهذا القرآن، وما جاء به مصدقا لما جاء في الكتب السماوية المتقدمة المنزلة على الأنبياء اللذين سبقوا محمدا، بذم الضد وهم المشركون الكافرون اللذين كذبوا واستكبروا وكفروا بهذا القرآن، وبما جاء به، وظلموا عقولهم وأنفسهم. وجاء في الكشاف للزمخشري: بشأن هذه الآية ''قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به ...'' جواب الشرط محذوف تقديره إن كان القرآن من عند الله وكفرتم به ألستم ظالمين؟ ويدل على هذا المحذوف ''ألستم ظللمين'' قوله تعالى ''إن الله لا يهدي الظالمين'' والشاهد من بني إسرائيل: عبد الله بن سلام، لما قدم رسول الله ﷺ المدينة نظر إلى وجهه فعلم أنه ليس بوجه كذاب، وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر. قال سعد بن أبي وقاص ما سمعت رسول الله ﷺ يقول لأحد يمشي على وجه الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام[2]. وفيه نزل ''وشهد شاهد من بني إسرائيل''[3] الضمير: للقرآن، أي: على مثله في المعنى، وهو ما في التوراة من المعاني المطابقة لمعاني القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك. ويدل عليه قوله تعالى ''وأنه لفي زبر الأولين''[4]، ''إن هذا لفي الصحف الأولى''[5]. ''كذلك يوحي إليك وإلى اللذين من قبلك''[6] ويجوز أن يكون المعنى: إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد على نحو ذلك، يعني كونه من عند الله ويقول الزمخشري في معنى الآية: قل أخبروني إن اجتمع كون القرآن من عند الله مع كفركم به، واجتمع شهادة أعلم بني إسرائيل على نزول مثله وإيمانه به، مع استكباركم عنه وعن الإيمان به، ألستم أضل الناس وأظلمهم؟ وجعل الإيمان في قوله ''فآمن'' سببا عن الشهادة على مثله لأنه لما علم أن مثله أنزل على موسى صلوات الله عليه، وأنه من جنس الوحي وليس من كلام البشر، وأنصف من نفسه فشهد عليه واعترف، كان الإيمان نتيجة ذلك. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني[7] بشأن هذه الآية ''قل أرأيتم إن كان من عند الله وكفرتم به'' أي قل يا محمد: أخبروني يا معشر المشركين إن كان هذا القرآن كلام الله حقا وقد كذبتم به وجحدتموه وجوابه محذوف تقديره: كيف يكون حالكم؟ ''وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم'' أي وقد شهد رجل من علماء بني إسرائيل على صدق القرآن، فآمن به واستكبرتم أنتم عن الإيمان، كيف يكون حالكم، ألستم أضل الناس وأظلم الناس؟.

---

(١) رواه البخاري ومسلم والنسائي من حديث مالك به.

(٢) متفق عليه.

(٣) روى الطبري من رواية محمد بن يوسف بن عبد الله بن سلام قال: قال عبد الله بن سلام في نزلت هذه الآية. ثم روى عن الشعبي أنه أنكر ذلك لكون السورة مكية. كذا أخرجه ابن أبي شيبة عن الشعبي.

(٤) سورة الشعراء آية ١٩٦.

(٥) سورة الأعلى آية ١٨.

(٦) سورة الشورى آية ٣.

(٧) صفوة التفاسير للصابوني: ١٩٤/٣.

البلاغة :

في هذه الآية حذف لجواب الشرط في قوله ''إن كان من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله فآمن واستكبرتم''[1]. أي أفلستم ظالمين؟ بدليل قوله عقبه: ''إن الله لا يهدي القوم الظالمين''. وقدره البغوي[2]: من المحق منا ومن المبطل؟ ونقله عنه أكثر المفسرين. وفي هذه الآية أسلوب آخر للمدح يعتمد على ذم الضد فيقول ''إن الله لا يهدي القوم الظالمين'' بل يهدي المؤمنين المصدقين اللذين رضي الله عنهم ورضوا عنه، واهتدوا إلى جادة الحق، وأنار الله بصائرهم، ولم يستمروا على كفرهم وعنادهم، وإنكار ما يعلمون إنه مصدق لما معهم في التوراة والإنجيل.

الإعراب :

قال تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ﴾.

قلْ : فعل أمر مبني على السكون.

الفاعل : ضمير مستتر تقديره أنت.

الهمزة : استئنافية لا محل لها من الإعراب.

رأيْ : فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع.

تم : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

ومفعولاً ''رأيتم'' مقدران أي: أرأيتم حالكم إن كان كذا ..... ألستم ظالمين؟. وجملة ''أرأيتم'' في محل نصب مقول القول.

إن : حرف شرط.

كان : فعل ماضٍ ناقص ناسخ تدخل على الجملة الاسمية فيرفع المبتدأ ويسمى اسمها وتنصب الخبر ويسمى خبرها.

اسم كان: ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى ''القرآن''.

من : حرف جر مبني.

عند : اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة وهو مضاف.

والجار والمجرور ''من عند'' متعلق بمحذوف خبر كان.

اللهِ : لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة.

وجملة ''كان من عند الله'' اعتراضيه بين الفعل ومفعوليه المقدرين.

جواب الشرط ''إن'' محذوف تقديره خسرتم.

وكفرتم : الواو: حرف عطف.

كفرْ : فعل ماضٍ مبني على السكون.

تم : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

وجملة ''كفرتم'' معطوفة على ''كان .....'' لا محل لها من الإعراب.

الإعراب :

﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ﴾.

الواو : حرف عطف مبني.

شهد : فعل ماضٍ مبني على الفتح.

شاهدٌ : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة. وجملة ''شهد شاهد'' معطوفة على جملة كان لا محل لها من الإعراب.

من : حرف جر مبني.

بني : اسم مجرور بمن وعلامة جره الياء لأنه ملحق بجمع المذكر السالم والنون حذفت للإضافة. وهو مضاف.

إسرائيل : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الفتحة عوضاً عن الكسرة لأنه ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة.

والجار والمجرور ''من بني'' متعلق بمحذوف نعت لـ''شاهد'' في محل رفع.

على : حرف جر مبني.

مثلِ : اسم مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة وهو مضاف.

الهاء : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

والجار والمجرور ''على مثله'' متعلق بالفعل ''شهد''.

الإعراب :

﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾.

الفاء : حرف عطف مبني.

آمَنَ : فعل ماض مبني على الفتح.

الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو. وجملة ''آمن'' معطوفة على ''شهدَ'' لا محل لها من الإعراب.

الواو : حرف عطف مبني.

استكبر : فعل ماضٍ مبني على السكون.

تم : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

وجملة ''استكبرتم'' معطوفة على آمن لا محل لها من الإعراب.

الإعراب :

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

إن : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى

اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها.

الله : لفظ الجلالة اسم إن منصوب بالفتحة.

لا : نافية لا محل لها من الإعراب.

يهدي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منعاً من ظهورها التعذر.

الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو.

القومَ : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

الظالمين : نعت منصوب لـ''القومَ'' وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم.

وجملة ''لا يهدي .....'' في محل رفع خبر إن.

٤- وهناك أسلوب أخر للمدح في قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(١).

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير لهذه الآية: يقول تعالى مخبراً عن عبده ورسوله وكليمه موسى بن عمران عليه السلام أنه قال لقومه ''لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم؟'' أي لِمَ توصلون الأذى إليَّ وأنتم تعلمون صدقي فيما جئتكم به من الرسالة. وفي هذا تسلية لرسول الله ﷺ فيما أصابه من الكفار من قومه وغيرهم، وأمر له بالصبر ولهذا قال ''رحمة الله على موسى: لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر'' وفيه نهي للمؤمنين أن ينالوا من النبي ﷺ، أو يوصلوا إليه أذى كما قال تعالى ''يا أيها اللذين آمنوا لا تكونوا كاللذين آذوا موسى فبرأه الله مما قالوا وكان عند الله وجيها'' وقوله تعالى: أي فلما عدلوا عن اتباع الحق مع علمهم به أزاغ الله قلوبهم عن الهدى وأسكنها الشك والحيرة والخذلان ثم أتبعها سبحانه وتعالى بقوله: ''إن الله لا يهدي القوم الفاسقين'' وكأنه يقول: وإنما يهدي اللذين وقر الإيمان في قلوبهم وعرفوا الحق فاتبعوه وابتعدوا عن أذى النبي والمؤمنين، وآمنوا بالرسالة فعملوا بها. إنه أسلوب آخر للمدح يتجلى في هذه الآية الكريمة. وجاء في كشاف الزمخشري في هذه الآية ''وإذ قال موسى لقومه يقوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم والله لا يهدي القوم الفاسقين''. ''وإذا'' منصوب بإضمار اذكر. وحين قال لهم كذا وكذا ''تؤذونني'' كانوا يؤذونه بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه في نفسه وجحود آياته، وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه، وعبادتهم البقرة، وطلبهم رؤية الله جهرة، والتكذيب الذي هو تضييع حق الله وحقه ''وقد تعلمون'' في موضع الحال. أي: تؤذونني عالمين علما يقيناً ''أني رسول الله إليكم'' وقضية علمكم بذلك وموجبة تعظيمي وتوقيري، لا أن تؤذوني وتستهينوا بي، لأن من عرف الله وعظمته عظم رسوله،علماً بأن تعظيمه في تعظيم رسوله، ولأن آذاه كان وعيد الله لاحقاً به ''فلما زاغوا عن الحق

---

(١) سورة الصف آية ٥.

أزاغ الله قلوبهم'' بأن منع ألطافه عنهم ''والله لا يهدي القوم الفاسقين'' لا يلطف بهم لأنهم ليسوا من أهل اللطف. فإن قلت: ما معنى ''قد'' في قوله ''قد تعلمون؟'' قلت: معناه التوكيد كأنه قال: وتعلمون علماً يقيناً لا شبهه لكم فيه. وجاء في فتح القدير للشوكاني بشأن هذه الآية ''يا قوم لم تؤذونني'' هذا مقول القول: أي لم تؤذوني بمخالفة ما آمركم به من الشرائع التي افترضها الله عليكم، أولم تؤذونني بالشتم والانتقاص، ومنه رمية بالادره والجملة ''وقد تعلمون أني رسول الله إليكم'' في محل نصب على الحال، وقد تحقق العلم أو لتأكيده، وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار، والمعنى: كيف تؤذونني مع علمكم بأني رسول الله، والرسول يحترم ويعظم، ولم يبق معكم شك في الرسالة، لما شاهدتم من المعجزات التي توجب عليكم الاعتراف برسالتي، وتفيدكم العلم بها علماً يقيناً ''فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم'' أي لما أصروا على الزيغ واستمروا عليه أزاغ الله قلوبهم عن الهدى، وصرفها عن قبول الحق. وقيل: فلما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم عن الثواب. قال مقاتل: لما عدلوا عن الحق أمال الله قلوبهم عنه، يعني أنهم لما تركوا الحق بإيذاء نبيهم، أمال الله قلوبهم عن الحق جزاءً بما ارتكبوا ''والله لا يهدي القوم الفاسقين'' هذه الجملة مقدرة لمضمون ما قبلها. قال الزجاج: لا يهدي من سبق في علمه أنه فاسق، والمعنى: أنه لا يهدي كل متصف بالفسق وهؤلاء من جملتهم. بل يهدي كل متصف بالإيمان بالله، المصدق بما بعث به رسله، متبعاً لما جاءوا به مجتنباً ما نهوه عنه. إنه أسلوب آخر للمدح يبرز في هذه الآية بذم الضد. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني في قوله تعالى ''والله لا يهدي القوم الفاسقين'' أي والله لا يوفق للخير والهدى من كان فاسقاً خارجاً عن طاعة الله قال الرازي: وفي هذا تنبيه على عظم ايذاء الرسول، حتى أنه يؤدي إلى الكفر وزيغ القلوب عن الهدى[1].

البلاغة :

في هذه الآية تتجلى فصاحة القرآن الكريم، وذلك بتقديم فعل البشر بالزيغ وهو تأدب في الخطاب[2] كما في قوله تعالى ''فلما زاغوا أزاغ الله قلوبهم'' وجاء في قوله تعالى ''يا قوم لم تؤذونني وقد تعلمون أني رسول الله إليكم''. ''قد'' معناها التوكيد، كأنه قال تعلمون علماً يقيناً لا شبهة لكم فيه[3].

الإعراب :

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ﴾.

الواو : استئنافية.

إذ : ظرف لما مضى من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه.

---

(١) التفسير الكبير للرازي: ٣١٣/٢٩.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٥٤/٤.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٩٣/٣.

قال : فعل ماضٍ مبني على الفتحة الظاهرة على آخره.

موسى : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. وجملة ''قال موسى'' في محل جر مضاف إليه.

لقومه : اللام: حرف جر.

قوم : اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة وهو مضاف .

الهاء : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. والجار والمجرور (لقومه) متعلق بالفعل قال.

يا : أداة نداء.

قومِ : منادى منصوب وعلامة نصبه الفتحة المقدرة على ما قبل الياء المحذوفة للتخفيف وهو مضاف.

الياء المحذوفة : ضمير متصل مبني في محل مضاف إليه. وجملة ''يا قومِ'' في محل نصب مقول القول.

لِمَ : اللام: حرف جر.

مَ : اسم استفهام مبني في محل جر بحرف الجر حذفت ألفها للتخفيف.
والجار والمجرور ''لِمَ'' متعلق بالفعل ''تؤذونني''.

تؤذونني : **تؤذون** : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون. **الواو**: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. **النون** : للوقاية. **الياء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''تؤذونني'' جواب النداء لا محل لها من الإعراب.

وقد : **الواو** : واو الحال. **قد** : حرف تحقيق.

تعلمون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون. وجملة ''تعلمون'' في محل نصب حال.

أني : أن : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها. **الياء** : ضمير متصل مبني في محل نصب اسم ''أن''.

رسولُ : خبر أن مرفوع وعلامة رفعه الضمة وهو مضاف.

الله : لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة.

إليكم : جار ومجرور. والمصدر المؤول ''أني رسول الله إليكم'' في محل نصب سد مسد مفعولي ''تعلمون''.

فلما : **الفاء** : استئنافية.

لما : ظرف بمعنى حين متضمن معنى الشرط متعلق بالجواب أزاغ.

زاغوا : زاغ : فعل ماضٍ مبني على الفتح.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

قلوبَهم : قلوبَ : مفعول به منصوب بالفتحة وهو مضاف. هم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. وجملة ''أزاغ .....'' جواب الشرط غير جازم لا محل لها من الإعراب.

والله : الواو: استئنافية. الله : لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة.

يهدي فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منعاً من ظهورها الثقل. والفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود على لفظ الجلالة.

القومَ : مفعول به منصوب بالفتحة.

الفاسقين : صفة منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنها جمع مذكر سالم. وجملة ''لا يهدي'' في محل رفع خبر المبتدأ. وجملة ''والله لا يهدي .....'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

٥- ومن الأساليب الأخرى للمدح ما جاء في قوله تعالى:

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾(١).

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير في هذه الآية: أي لا أحد أظلم ممن يفتري الكذب على الله ويجعل له أنداداً وشركاء، وهو يُدعى إلى التوحيد والإخلاص ولهذا قال تعالى ''والله لا يهدي القوم الظالمين''. بل يهدي اللذين يتبعون الحق ويبتعدون عن الباطل. وجاء في الكشاف للزمخشري: أي الناس أشد ظلماً ممن يدعوه ربه على لسان نبيه الذي له فيه سعادة الدارين، فيجعل مكان إجابته إليه افتراء الكذب على الله بقوله لكلامه الذي هو دعاء عباده إلى الحق: هذا سحر؟ لأن السحر كذب وتمويه. وجاء في فتح القدير للشوكاني: أي لا أحد أكثر ظلماً منه حيث يفتري على الله الكذب، والحال أنه يدعى إلى دين الإسلام الذي هو خير الأديان وأشرفها، لأن من كان كذلك، فحقه أن لا يفتري على غيره الكذب، فكيف يفتري على ربه؟ ''والله لا يهدي القوم الظالمين'' هذه الجملة مقدرة لمضمون ما قبلها. والمعنى: لا يهدي من اتصف بالظلم، والمذكورون في جملتهم وإنما يهدي من يصدق بما جاء به الرسول. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني في هذه الآية: استفهام بمعنى النفي: أي لا أحد أظلم ممن يدعوه ربه إلى الإسلام على لسان نبيه، فيجعل مكان إجابته إلى الإسلام على لسان نبيه، افتراء الكذب على الله بتسمية نبيه ساحراً، وتسمية آيات الله المنزلة سحراً ''والله لا يهدي القوم الظالمين'' أي لا يوفق ولا يرشد إلى الفلاح والهدى من كان فاجراً ظالماً. وإنما يهدي الله إلى الفلاح من آمن بالله رباً

---

(١) سورة الصف آية ٧.

وبمحمد نبياً وبالإسلام دين حق ونوراً وهدى جاء للناس كافة. أولئك هم المؤمنون المهديون اللذين مدحهم الله بأسلوب آخر للمدح. عندما أبرز عيوب الضد من اللذين كفروا وكذبوا بآيات الله وسموا نبيه ساحراً.

القراءات :

١. قرأ الجمهور ''وهو يُدعى'' من الدعاء مبنياً للمفعول.

٢. قرأ طلحة بن مصرف ''يَدَّعي'' بفتح الياء وتشديد الدال من الادعاء مبيناً للفاعل، و إنما عدي بالى، لأنه ضمن معنى الانتماء والانتساب.

الإعراب : ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰ إِلَى الْإِسْلَامِ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾.

الواو : استئنافية.

من : اسم استفهام مبني في محل رفع مبتدأ وهي بمعنى الإنكار.

أظلم : خبر المبتدأ مرفوع بالضمة.

مِمَّن : من : حرف جر. من : اسم موصول مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور ''ممن'' متعلق بـ''أظلم''.

افترى : فعل ماضٍ مبني على الفتحة المقدرة على الألف منعاً من ظهورها التعذر. والفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود على ''من''. وجملة ''افترى'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

على : حرف جر مبني.

الله : لفظ الجلالة اسم مجرور بعلى وعلامة جره الكسرة. والجار والمجرور ''على الله'' متعلق بالفعل ''افترى''.

الكذب : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

الواو : واو الحال.

هو : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ.

يُدعى : فعل مضارع مبني للمجهول. ونائب الفاعل ضمير مستتر تقديره هو. وجملة ''يُدعى'' في محل رفع خبر المبتدأ الضمير المنفصل ''هو''. وجملة ''وهو يُدعى'' في محل نصب حال.

إلى : حرف جر مبني.

الإسلام : اسم مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة. والجار والمجرور ''إلى الإسلام'' متعلق بالفعل ''يُدعى''.

الواو : استئنافية.

الله : لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

لا : حرف نفي لا محل له من الإعراب.

يهدي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على اليـــاء منـــع مـــن ظهورها الثقل. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى لفظ الجلالة.

القومَ : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

الظالمين : صفة لـــ''القوم'' منصوبة وعلامة نصبها الياء لأنها جمـــع مذكـــر ســـالم. وجملة ''لا يهدي .....'' في محل رفع خبر المبتدأ ''الله''. وجملـة ''الله لا يهدي .....'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

٦- وفي قوله تعالى: ﴿ سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[1]، كما في قوله سبحانه: ﴿ ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ ﴾[2] أسلوب آخر للمدح بذم الأضاد.

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير: بشأن هذه الآية: يخبر تعالى نبيـــه ﷺ، بـــأن هـــؤلاء المنافقين ليسوا أهلاً للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم، وقد قيل إن الســـبعين إنما ذكرت حسماً لمادة الاستغفار لهم، لأن العرب في أساليب كلامها تذكر السبعين في مبالغة كلامـــها، ولا تريد التحديد بها، ولا أن يكون ما زاد عليها بخلافها، وقيل بل لها مفهوم كما روى العوفي عن ابـن عباس أن رسول الله ﷺقال: ''لما نزلت هذه الآية أسمع قد رخص لي فيهم فوالله لأستغفرن لهم أكـــثر من سبعين مرة لعل الله أن يغفر لهم'' فقال الله من شدة غضبه عليهم ''سواء عليهم أستغفرت لـــهم أم لم تستغفر لهم'' وقال الشعبي لما ثقل عبد الله بن أبي انطلق ابنه إلى النبـــي ﷺ فقـــال: إن أبـــي قـــد أحتضر فأحب أن تشهده وتصلي عليه، فقال له النبي ﷺ''ما اسمك'' قال الحباب بن عبد الله قال ''بـــل أنت عبد الله بن عبد الله، إن الحباب اسم شيطان'' فانطلق معه حتى شهده وألبسه قميصه وهو عـــرق، وصلى عليه فقيل له أتصلي عليه؟ فقال: إن الله قال ''إن تستغفر لهم سبعين مرة'' ولأســـتغفرن لـــهم سبعين وسبعين وسبعين'' وكذا رُوِيَ عن عروة بن الزبير، ومجاهد بن جبير، وقتادة بن دعامة، ورواه

---

(١) سورة المنافقين آية ٦.

(٢) سورة التوبة آية ٨٠.

ابن جرير بأسانيده. وجاء في الكشاف للزمخشري: سأل عبد الله بن عبد الله بن أبـــي رســول الله ﷺ وكان رجلاً صالحاً ''أن يستغفر لأبيه في مرضه ففعل، فـنزلت، فقـال رسـول الله ﷺ ''إن الله قـد رخص لي فسأزيد على السبعين'' فنزلت ''سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لهم'' كأنه قيل: لـن يغفر الله لهم مهما استغفرت لهم. ولا أريد أن أدخل في الجدل الذي دار حول هذه الآية من أن الرسـول ﷺ قد فسر هذا التحديد بالسبعين كأنها رخصة الاستغفار لهؤلاء بأكثر من سبعين حتى يغفر الله لـــهم، رحمة منه بأمته، وأنه لن ييأس من رحمة الله، وإن فهمها البعض كالزمخشري بأن الله سبحانه لن يغفر لهؤلاء مهما استغفر لهم الرسول بغض النظر عن العدد، لشدة غضب الله عليهم، وهذا مخـالف لـرأي أهل السنة حيث أن باب الاستغفار والتوبة لن يغلق.

جاء في صفوة التفاسير للصابوني في الآية ''سواء عليهم استغفرت لهم أم لم تستغفر لـهم'' أي يتساوى الأمر بالنسبة لهم. فإنه لا ينفع استغفارك لهم شيئاً، لفسقهم وخروجهم عن طاعة الله ورســوله قال الصاوي: والآية للتيئيس من إيمانهم، أي إن استغفارك يا محمد وعدمه سواء، فهم لا يؤمنون بسـبق الشقاوة لهم ''لن يغفر الله'' أي لن يصفح الله عنهم لرسوخهم في الكفر، وإصرارهم على العصيان، ثـم علله بقوله ''إن الله لا يهدي القوم الفاسقين'' أي لا يوفق للإيمان من كان فاسقاً خارجاً عـــن طاعـــة الرحمن. وهذا أسلوب آخر لمدح الفئة التي تطيع الرحمن، المؤمنة الصادقة، التي تـــأتمر بـأوامر الله ورسوله، وتجتنب ما نهاهم الله عنه ورسوله، وجاء في صفوة التفاسير ''اســتغفر لـــهم أو لا تســتغفر لهم'' أمر ومعناه الخبر، أي سواء يا محمد استغفرت لهؤلاء المنافقين أم لم تستغفر لهم، فلن يغفـر الله لهم ''إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم''. قال الزمخشري في كشـــافه: والســبعون جـار مجرى المثل في كلامهم للتكثير، والمعنى: مهما أكثرت من الاستغفار لهم وبالغت فيه فلن يغفر الله لـهم أبداً ''ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله'' أي عدم المغفرة لهم، بسبب كفرهم بالله ورسوله كفـــراً شـنيعاً، حيث أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر ''والله لا يـــهدي القـــوم الفاســقين''. أي لا يوفـق الله للإيمـــان الخارجين عن طاعته، ولا يهديهم إلى سبيل السعادة. وهذا أسلوب آخر لمدح الفئة المؤمنة، التي وفقـها الله للإيمان، وهداها إلى سبيل الرشاد، وأظهر مدحها وأبرزه بإظهار غضبه ونقمته على اللذين فســقوا وفجروا وضلوا. جاء في فتح القدير للشوكاني: تفسيراً لهذه الآية من سورة التوبة: أخـبر الله سـبحانه رسوله ﷺ بأن صدور الاستغفار منه للمنافقين وعدمه سواء، وذلك لأنهم ليسوا بأهـل لاسـتغفاره ﷺ، ولا للمغفرة من الله سبحانه لهم، ثم قال: ''إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم'' وفيـــه بيـان لعدم المغفرة من الله سبحانه للمنافقين، وإنْ أكثر النبي ﷺ من الاستغفار لهم، وليس المراد من هذا أنـه لو زاد على السبعين لكان ذلك مقبولاً كما في سائر مفاهيم الأعداد، بل المراد بهذا المبالغة فـــي عـدم القبول. فقد كانت العرب تجري ذلك مجرى المثل في كلامها عند إرادة التكثير، والمعنى: إنه لن يغفـر الله لهم، وإن استغفرت لهم استغفاراً بالغاً في الكثرة غاية المبلغ، وقد ذهب بعض الفقهاء إلى أن التقيـد بهذا العدد المخصوص يفيد قبول الزيادة عليه، ويدل لذلك ما سيأتي عن النبي ﷺ أنه قال: لأزيد علـى

السبعين وذكر بعضهم لتخصيص السبعين وجهاً فقال: إن السبعة عدد شريف لأنها عدد السماوات والأرضيين والبحار والأقاليم والنجوم السيارة والأعضاء وأيام الأسبوع، فصير كل واحد من السبعة إلى عشرة، لأن الحسنة بعشرة أمثالها، وقيل: خصت السبعين بالذكر لأنه ﷺ كبر على عمه حمزة سبعين تكبيرة، فكأنه قال: إن تستغفر لهم سبعين مرة بإزاء تكبيراتك على حمزة. وانتصاب سبعين على المصدر كقولهم: ''ضربته عشرين ضربة'' ثم علل عدم المغفرة لهم بقوله: ''ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله'' أي ذلك الامتناع بسبب كفرهم بالله ورسوله ''والله لا يهدي القوم الفاسقين'' أي المتمردين الخارجين عن الطاعة، المتجاوزين لحدودها. والمراد هنا الهداية الموصلة إلى المطلوب، لا الهداية التي بمعنى الدلالة وإراءة الطريق.

الإعراب : ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَـٰسِقِينَ﴾.

سواءٌ : خبر مقدم مرفوع بالضمة.

عليهم : جار ومجرور متعلق بـ''سواء''.

الهمزة في ''أستغفرت'': للتسوية مصدرية. استغفرت: فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بضمير الرفع المتحرك. التاء: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''استغفرت'' صلة الموصول الحرفي لا محل لها من الإعراب.

لهم : جار ومجرور متعلق بالفعل ''استغفرت''. والمصدر المؤول ''أستغفرت لهم'' في محل رفع مبتدأ مؤخر والتقدير ''استغفارك لهم''.

أم : حرف عطف.

لم : حرف نفي وجزم وقلب.

تستغفره : فعل مضارع مجزوم ''بلم'' وعلامة جزمه السكون. الفاعل : ضمير مستتر وجوباً تقديره أنت.

لهم : جار ومجرور متعلق على الجملة ''استغفرت'' لا محل لها من الإعراب.

لن : حرف نفي ونصب تنصب الفعل المضارع.

يغفرَ : فعل مضارع منصوب بلن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

لهم : جار ومجرور متعلق بالفعل ''يغفر''. وجملة ''لن يغفر الله لهم'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

إن : حرف مشبه بالفعل يدخل على الجملة الاسمية فينصب المبتدأ ويسمى اسمها ويرفع الخبر ويسمى خبرها.

الله : لفظ الجلالة اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

لا : حرف نفي لا محل له من الإعراب.

يهدي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منعاً من ظهورها الثقل. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى لفظ الجلالة.

القومَ : مفعول به منصوب بالفتحة.

الفاسقين : نعت لـ''القومَ'' منصوب وعلامة نصبه الياء لأنه جمع مذكر سالم. وجملة ''لا يهدي .....'' في محل رفع خبر إن. وجملة ''إن الله لا يهدي .....'' تعليلية لا محل لها من الإعراب.

٧- وهناك أسلوب آخر للمدح يعتمد الحوار المنطقي وإيراد الحجة الدامغة وإعمال العقل، والحث على التفكير، إنه أسلوب يبين قدرة الله سبحانه:

﴿أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾(١).

جاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير بشأن هذه الآية: أي ما بالكم أن يُذهب بعقولكم، كيف سويتم بين الله وبين خلقه وعدلتم هذا بهذا وعبدتم هذا وهذا؟ وهلا أفردتم الرب جل جلاله، المالك الحاكم الهادي من الضلالة بالعبادة وحده، وأخلصتم لله الدعوة والإنابة؟ ثم بين تعالى أنهم لا يتبعون في دينهم هذا دليلاً ولا برهاناً، وإنما هو ظن منهم، أي توهم وتخيل وذلك لا يغني عنهم شيئاً. وأورد الزمخشري في كشافة تفسيراً بشأن هذه الآية فقال: ''إن الله وحده هو الذي يهدي للحق، بما ركب في المكلفين من العقول، وأعطاهم من التمكين، للنظر في الأدلة التي نصبها لهم، وبما لطف بهم ووفقهم وألهمهم وأخطر ببالهم ووقفهم على الشرائع، فهل من شركائكم اللذين جعلتم أنداداً لله، أحد من أشرفهم كالملائكة والمسيح وعزير يهدي إلى الحق مثل هداية الله؟. ثم قال: أفمن يهدي إلى الحق هذه الهداية أحق بالاتباع، أم الذي لا يهدي؟ أي لا يهتدي بنفسه، أو لا يهدي غيره إلا أن يهديه الله. ''إلا أن يهدي'' أي لا يهتدي ولا يصح منه الاهتداء إلا أن ينقله الله من حاله إلى أن يجعله حيواناً مكلفاً فيهديه ''فما لكم كيف تحكمون'' بالباطل، حيث تزعمون أنهم أنداد الله. يقول الشوكاني في فتح القدير ''فمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يَهِدِّي إلا أن يُهدى''. للتقرير وإلزام الحجة. ''إلا أن يُهْدَى'' أي لكنه يحتاج أن يُهدى، فهو استثناء منقطع كما نقول فلان لا يُسْمِعُ غيره إلا أن يُسْمَعَ: أي لكنه يحتاج أن يُسْمَعَ. والمعنى: أفمن يهدي الناس إلى الحق وهو الله سبحانه أحق أن يُتَّبَعَ ويُقْتَدى به. أم الأحق

(١) سورة يونس آية ٣٥.

بأن يُتَّبَعَ وَيُقْتَدَي بِهِ من لا يهتدي بنفسه إلا أن يَهْدِيَهُ غيره فضلاً عن أن يهدي غيره؟ والاستثناء هنا استثناء مفرغ على أعم الأحوال قوله: ''ما لكم كيف تحكمون'' هذا تعجيب من حالهم باستفهامين متتالبين أيْ: أيُّ شئ لكم كيف تحكمون باتخاذ هؤلاء شركاء لله، وكلا الاستفهامين للتقريع والتوبيخ، بالإضافة إلى أنه أسلوب آخر لمدح الذات الإلهية ببيان قدرة الله سبحانه حيث: أن الله سبحانه هو الذي يبدأ الخلق ثم يعيده وهو الذي خلق فسوى والذي قدر فهدى. وهو الذي أرسل الآيات في المخلوقات، وهو الذي أرسل الرسل، و أنزل الكتب، وهو الذي خلق للعباد عقولاً وأفهاماً والأسماع والأبصار. وبيان ضعف من يتبع هؤلاء الضالون، فهم يتبعون من لا يستطيعون خلق شئ، أو هداية أحد، بل هم بحاجة لله سبحانه ليهديهم، وينور بصائرهم، وينير عقولهم وأفهامهم. إنه أسلوب آخر لمدح الذات الإلهيه بإبراز ضعف الآخرين وعجزهم. وقال الصابوني في صفوة التفاسير بشأن هذه الآية ''أفمن يهدي إلى الحق أحق أن يتبع أمن لا يَهِدِّي إلا أن يُهْدَي'' أي أفمن يرشد إلى الحق وهو الله سبحانه وتعالى أحق بالاتباع، أم هذه الأصنام التي لا تهدي أحداً. ولا تستطيع هداية نفسها فضلاً عن هداية غيرها؟[1]. ''فما لكم كيف تحكمون'' أي ما لكم أيها المشركون، تسوون بين الأصنام وبين رب الأرباب، وتحكمون بهذا الباطل الصراح؟ وهو استفهام معناه التعجب والإنكار، ثم بين تعالى فساد نحلتهم بعد أن أفهمهم بالبراهين النيرة التي توجب التوحيد وتبطل التقليد. إنه أسلوب آخر للمدح يقوم على الحجة والمقارنة والمنطق، وحث العقل والانحياز إلى الحق والصواب.

القراءات :

اختلف القراء في ''لا يهدي'' فقرأ أهل المدينة إلا نافعاً ''يَهْدّي'' بفتح الياء وإسكان الهاء وتشديد الدال فجمعوا في قراءتهم هذه بين ساكنين. قال النحاس: والجمع بين ساكنين لا يقدر أحد أن ينطق به. قال محمد بن يزيد: لا بد لمن رام مثل هذا أن يحرك حركة خفيفة إلى الكسر، وسيبويه يسمي هذا اختلاساً. وقرأ أبو عمرو وقالون في رواية بين الفتح والإسكان. وقرأ ابن عامر وابن كثير وورش وابن محيصن بفتح الياء والهاء وتشديد الدال. قال النحاس: هذه القراءة بَيِّنَة في العربية، والأصل فيها يهتدي، أدغمت التاء في الدال وقلبت حركتها إلى الهاء. وقرأ حفص ويعقوب والأعمش مثل قراءة ابن كثير إلا أنهم كسروا الهاء، قالوا لأن الكسر هو الأصل عند التقاء الساكنين. وقرأ أبو بكر عن عاصم، ''يِهِدّي'' بكسر الياء والهاء وتشديد الدال وذلك للاتباع. وقرأ حمزة والكسائي وخلف ويحيى بن وثاب ''يَهْدِي'' بفتح الياء وسكون الهاء وتخفيف الدال من هدى يهدي. قال النحاس: وهذه القراءة لها وجهان في العربية، وإن كانت بعيدة:

---

(١) تفسير الطبري: ١١٥/١١. هذا ما ذهب إليه الطبري وقال بعض المفسرين: المراد الرؤساء والمضلون اللذين لا يرشدون أنفسهم إلى هدي إلا أن يرشدوا.

١. أن الكسائي والفراء قالا: إن يَهِدّي بمعنى يهتدي.
٢. أن أبا العباس قال: إن التقدير أم من لا يهدي غيره.

البلاغة :

هنا يحذف السؤال ثقة بفهم السامع وتقديره[٢] كقوله تعالى ''قل هل من شركائكم من يهدي إلى الحق * قل الله يهدي للحق'' فإنه لا يستقيم أن يكون السؤال والجواب من واحد، فتعين أن يكون ''قل الله'' جواب سؤال، كأنهم سألوا لما سمعوا من رسول الله ﷺ، وهو ''من يهدي إلى الحق'' فأجابهم الله عز وجل ''قل الله يهدي للحق'' فترك ذكر السؤال.

الإعراب :

قال تعالى: ﴿ أَفَمَن يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّي إِلَّا أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾.

الهمزة : استئنافية. الفاء : حرف عطف مبني. من: اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ.

يهدي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظهورها الثقل. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو.

إلى الحق : جار ومجرور متعلق بالفعل ''يهدي''. وجملة ''يهدي إلى الحق .....'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

أحقُّ : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

أن : حرف مصدري ونصب.

يُتَبَع : : فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره. والمصدر المؤول ''أن يُتَبَعَ'' في محل جر بحرف الجر المحذوف ''الباء'' والجار والمجرور متعلق بأحق. أي: أحق بأن يتبع، والمفضل عليه محذوف أي فمن لا يهدي.

أم : حرف عطف معادل للهمزة.

من : اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٤/٤٣.

لا : نافية لا محل لها من الإعراب.

يَهدِّي : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على اليـــاء منـــع مـــن ظهورها الثقل. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو. وجملة ''لا يهدّي .....'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

إلاّ : أداة حصر. وجملة ''من لا يهدّي'' في محل نصب معطوفة علـــى الجملـــة من يهدي.

أن : حرف مصدري ونصب.

يُهْدَى : فعل مضارع مبني للمجهول منصوب بأن المصدرية وعلامة نصبه الفتحـــة الظاهرة على آخره. والمصدر المؤول ''أن يهدي'' في محل جـــر بحـــرف الجر المحذوف هو ''الباء'' والجار والمجرور متعلق بـــ''يَـــهدّي''. أي: لا يهدّي إلاّ بأن يُهدى.

ألفاء : استئنافية لا محل لها من الإعراب. **ما** : اسم استفهام مبني للتوبيخ والإنكـــار مبني في محل رفع مبتدأ. **اللام** : حرف جر مبني. **كم** : ضمير متصل مبنـــي في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور متعلق بمحذوف خبر المبتـــدأ ''ما''. وجملة ''ما لكم'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

كيف : اسم استفهام مبني في محل نصب حـــال مـــن الـــواو وهـــو الفـــاعل فـــي ''تحكمون''.

تحكمون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة. الواو: ضمـــير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''تحكمون'' في محل نصب حـــال ''كم'' في لكم.

الذم

مقدمة

ورد الذَّمُّ مباشراً في القرآن الكريم في مواضع كثيرة وفي آياتٍ عديدة. لقد ذَمّ الله الكافرين والضالين المكذبين:

١. باستعمال ألفاظ للذم صريحة كالكافرين والفاسقين والمجرمين، وشبههم بالبهائم تارة والتي لا تفقه شيئاً إذ قال سبحانه: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(١). وشبههم بالحمار الذي يحمل أسفاراً ، ووصفهم بالصم اللذين لا يسمعون، والبكم اللذين لا ينطقون، والعمي اللذين لا يبصرون. قال تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢). كما وصفهم سبحانه بالمقفلة عقولهم فهم لا يعقلون ولا يفهمون شيئاً مما يتلى عليهم من آيات الله البينات وما يُنزّل على نبيهم من الدلائل والمعجزات، وشبّه قلوبهم بالحجارة الصلدة التي لا تلين ووصفها بالغُلف الموصدة أبوابُها أمام كل خير وفي وجه كلِّ مكرمة. كما وصفهم الله بالمقبوحين الجاحدين الخاسرين والغابرين. كما استعمل سبحانه في ذمهم كلمة (ختار، كفور، ظلوم، جهول) بالإضافة إلى أنَّهُ وصفهم بالعجز والتكبر والبطلان. ووصف إبليس بالرجيم والملعون والعدو والطاغوت. كما وصف الله سبحانه الكافرين بـ (أصحاب النار، وحزب الشيطان، وأصحاب السعير، وأصحاب المشأمة، وأصحاب الشمال، وأصحاب الجحيم).

٢. كما ورد الذم باستعمال فعل الذم العام ''بِئْسَ'' وما جرى مجراه مثل ''سَاء'' و''كَبُر'' أو متدثراً بالدعاء باستعمال أفعال أو مصادر أو أسماء أفعال أو أسماء تفضيل أو باستعمال حروف مثل ''ب'' أو ''على'' أو باستعمال صيغة المبالغة. وقد جاء الذم في القرآن الكريم بإسهاب وتفصيل كبيرين، لأثره العظيم في تحذير النفس البشرية وتخويفها بالتهديد والوعيد، وذلك لترويعها ومنعها من ارتكاب الآثام والوقوع في الموبقات، أو المحظور من الأقوال والأفعال، التي تورث النهايات السيئة والعواقب الوخيمة، والتي تؤدي بصاحبها إلى المهالك في الدنيا، وتلقي به في أتون جهنم في الآخرة. هذا ونرجوه سبحانه أن يوفقنا في عرض هذا الفصل بتشعباته وتفاصيله وبإيجاز لا يخل بمتطلبات البحث.

انه سميع مجيب.

---

(١) سورة الفرقان آية ٤٤.

(٢) سورة الزخرف آية ٤٠.

الذم المباشر

تمهيد

لقد تضمن هذا البحث ألفاظ الذم المباشر الذي ذم الله بها الكافرين والنافقين والمكذبين بألقاب تعبر عن هجائهم وتقلل من شأنهم وتبغض الناس بهم وبأعمالهم المنكرة فوصفهم سبحانه بالأعداء، بأصحاب النار، حزب الشيطان وأصحاب الجحيم، كما شبههم بالبهائم وكأنهم بلا عقول ولا أسماع ولا أبصار، كما ذمهم باستعمال ألفاظ الذم المعروفة مثل: بِئْسَ وما جرى مجراها كـ: سَاء وكَبُر، وهناك ذم جاء ممتزجاً بالدعاء باستعمال ألفاظ بعينها مثل: خاب، الويل، لعن، غَضِبَ، بُعْداً، ويلٌ، خَسَأ، طغى، بطل، ختم،خَسِرَ، أُفٌ، وذُق.

وأخيراً، جاء الذم المباشر باستعمال أفْعَل التفضيل وباستعمال كلمة شرٌ، وهكذا نجد أن الذم المباشر يأتي على صورة لقب أو ذكر مصير مذنب أو مآله الذي يؤول إليه أو باستعمال صيغ لها دلالاة الذم إلى جانب دلالاتها الأصلية.

معنى الذم[1]:

ذَمَّ، يذُمُّ، ذَمًّا، ومَذَمَّةً، ذَمَّهُ ضِدَّ مَدَحَه. ذَمَّمَ: بالغ في ذَمِّه. ذَامَّ عَيْشَهُ: زَجَّاه متبلغاً به. أذَمَّ الرجلَ: فَعَل ما يُذَمُّ عليه. وأذَمَّ بهم: تهاونَ. وقيل تَرَكهم مذمومين. تَذَامَّ القومُ: ذَمَّ بعضهم بعضاً. تَذَمَّمَ منه: استكنف واستحيا. يُقال ''إني أتذمَّمُ من القوم'': إني أتحول من عندهم إلى غيرهم. ومن قولهم: ''لو لم أترك الكذب تأثُّماً لتركته تَذَمُّماً''. ''أي لو لم أتركه مجانبة للإثم لتركته مجانبةً للذَّم''. إستذمّ: فَعل ما يُذَمُّ عليه. الذَّمُّ (مصدر) وجمعها ذُموم: خلاف المدح. المذموم: وصفاً بالمصدر (العيب). يُقَالُ: ''افعل كذا وخلاك ذَمٌّ'' أي زال عنك الذم. الذَّميم: جمعها ذِمام: ضد الممدوح. أمرٌ مُذِمٌّ: مَعيب. المَذَمَّةُ: مصدر وهي خلاف المحمدة. يُقال ''قضى مَذَمَّتَهُ أو مَذِمَّتَهُ'' أي أحسن إليه خوف الذَّمِّ. المُذَمَّمُ: المذموم. ذَمَّ يَذُمُّ ذَمّاً ومَذَمَّةً الأنف: سال. الذَّميم جمعها ذِمام: المخاط، أو الماء المكروه. ذَمَّ الأنف ذميماً[2]: سال مخاطه. وذَمَّ الوجهُ: عَلاَهُ الذَّميم. وذمَّ فلاناً يَذُمُّ ذَمّاً وَمَذَمَّةً: عابه ولامهُ. فهو مذموم، وذِمٌّ، وذَميمٌ. أذَمَّ: أتى بما يُذَمُّ عليه. وأذَمَّ البئرُ: قَلَّ ماؤه.

---

(١) المنجد في اللغة والأعلام-الطبعة ٢٨-دار المشرق-بيروت-١٩٨٦م-باب (ذ م): ص ٢٣٧.

(٢) المعجم الوسيط (دار الدعوة) استانبول- تركيا-باب (ذ م): ص ٣١٥.

ألفاظ الذم المباشر

لقد ذم الله الكافرين والمفسدين في الأرض ووصفهم بأنهم بأعمالهم المنكرة وتكذيبهم لرسولهم أصحاب النار في قوله سبحانه: ﴿وَأُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾(١).

كما وصفهم بأصحاب السعير لأن مصيرهم إلى السعير جزاء ما اقترفت أيديهم من آثام و ما ارتكبوا من حماقات بحق رسولهم وصحبه قال تعالى: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٢).

كما ذمهم الله لأنهم أطاعوا الشيطان وأعرضوا عن ذكر الله فاصبحوا من حزب الشيطان قال تعالى:

١. ﴿أُولَٰئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٣).

٢. ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾(٤).

كما وصفهم بأصحاب المشأمة قال تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ﴾(٥).

وقال عنهم سبحانه أصحاب الشمال بقوله تعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ﴾(٦).

كما لقبهم بأصحاب الجحيم بقوله سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ﴾(٧).

كما شبه الله الكافرين أصحاب النار في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه، بحمر الوحش جدّت في نِفارِها مما أفزعها، وفي هذا التشبيه مَذَمَّةٌ ظاهرة وتهجينٌ لحالهم بيّن، وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص(٨) قال تعالى: ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ۝٥٠ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾(٩).

كما شبههم بالبهائم بل هم أضل منها قال تعالى: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(١٠).

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٦.
(٢) سورة الملك آية ١.
(٣) سورة المجادلة آية ١٩.
(٤) سورة فاطر آية ٦.
(٥) سورة الواقعة آية ٩.
(٦) سورة الواقعة آية ٤١.
(٧) سورة الحديد آية ١٩.
(٨) الكشاف للزمخشري: ٤/٦٥٦. القانص: الصياد.
(٩) سورة المدثر آية ٥١.
(١٠) سورة الفرقان آية ٤٤.

كما شبه اليهود –وهم حملة التوراة وقراؤها وعرفوا أن فيها نعت رسول الله ﷺ والبشارة به ولم يؤمنوا به– بالحمار يحمل كتباً كباراً من كتب العلم ولا يعرف قيمتها وما تحويه من النفائس والدرر، وكلٌ من علِمَ ولم يعمل بعلمه فهو مثله. قال تعالى:

﴿ مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ﴾(١).

كما وصف الله الكفار بالنجس تحقيراً لهم وتقليلاً لشأنهم وذماً ويطلب من الرسول والمؤمنين الابتعاد عنهم وتجنبهم وإهمالهم ومنعهم من الاقتراب من المسجد الحرام. قال تعالى:

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ ﴾(٢).

كما شبه الله سبحانه ذلك العالِم الذي اتبع هواه وضل عن سبيل الله بالكلب الذي انحط أسفل السافلين في الخسة والدناءة، إن طردته وزجرته سعى ولهث، وإن تركته على حاله لهث وهذا مَثَلٌ لكل من كذب بآيات الله وفيه تعريض باليهود قال تعالى:

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَث ﴾(٣).

كما ذم الكافرين ووصفهم بأوصاف تقلل من شأنهم وتلحقهم بالبهائم إذ لا يعقلون شيئاً مما نزل على نبيه؛ منهم لا يستعملون عقولهم بل يسعون وراء عنادهم وأهوائهم فهم لا يعقلون. قال تعالى:

١. ﴿ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

٢. ﴿ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ ﴾(٥).

٣. ﴿ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴾(٦).

٤. ﴿ صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٧).

٥. ﴿ وَهَا هُزُوًا وَلَعِبًا ۚ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴾(٨).

٦. ﴿ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٩).

٧. ﴿ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(١٠).

---

(١) سورة الجمعة آية ٥.
(٢) سورة التوبة آية ٢٨.
(٣) سورة الأعراف آية ١٧٦.
(٤) سورة العنكبوت آية ٦٣.
(٥) سورة يونس آية ١٠٠.
(٦) سورة البقرة آية ١٧٠.
(٧) سورة البقرة آية ١٧١.
(٨) سورة المائدة آية ٥٨.
(٩) سورة المائدة آية ١٠٣.
(١٠) سورة الأنفال آية ٢٢.

٨. ﴿أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَعْقِلُونَ﴾(١).

٩. ﴿قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ﴾(٢).

١٠. ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ﴾(٣).

وقد ورد الذم على صورة توبيخ باستعمال الاستفهام بقوله تعالى : ''أفلا يعقلون'' وقد وردت في مواضع عديدة من القرآن الكريم. قال سبحانه:

١. ﴿أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُمْ وَأَنتُمْ تَتْلُونَ الْكِتَابَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٤).

٢. ﴿أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٥).

٣. ﴿وَمَا أُنزِلَتِ التَّوْرَاةُ وَالْإِنجِيلُ إِلَّا مِن بَعْدِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٦).

٤. ﴿وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٧).

٥. ﴿وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ﴾(٨).

٦. ﴿فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٩).

٧. ﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٠).

٨. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١١).

٩. ﴿لَقَدْ أَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٢).

١٠. ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٣).

١١. ﴿وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١٤).

---

(١) سورة يونس آية ٤٢.
(٢) سورة الزمر آية ٤٣.
(٣) سورة الحشر آية ١٤.
(٤) سورة البقرة آية ٤٤.
(٥) سورة البقرة آية ٧٦.
(٦) سورة آل عمران آية ٦٥.
(٧) سورة الأنعام آية ٣٢.
(٨) سورة الأعراف آية ١٦٩.
(٩) سورة يونس آية ١٦.
(١٠) سورة هود آية ٥١.
(١١) سورة يوسف آية ١٠٩.
(١٢) سورة الأنبياء آية ١٠.
(١٣) سورة الأنبياء آية ٦٧.
(١٤) سورة المؤمنون آية ٨٠.

١٢. ﴿وَمَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١).

١٣. ﴿وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ﴾(٢).

١٤. ﴿وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِاللَّيْلِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(٣).

كما ورد الذم بصورة توبيخ باستعمال حرف الترجي ''لعلكم'' قال سبحانه:

١. ﴿كَذَٰلِكَ يُحْيِي اللَّهُ الْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٤).

٢. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٥).

٣. ﴿ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٦).

٤. ﴿إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٧).

٥. ﴿كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٨).

٦. ﴿وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٩).

٧. ﴿إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١٠).

٨. ﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١١).

وجاء الذم صريحاً في صورة توبيخ باستعمال حرف الشرط ''إن'' حيث قال سبحانه:

﴿قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(١٢).

كما أتى الذم مباشراً باستعمال لفظه ''المجرمون'' قال تعالى:

١. ﴿إِنَّهُ مَن يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ﴾(١٣).

٢. ﴿لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾(١٤).

---

(١) سورة القصص آية ٦٠.
(٢) سورة يس آية ٦٢.
(٣) سورة الصافات آية ١٣٨.
(٤) سورة البقرة آية ٧٣.
(٥) سورة البقرة آية ٢٤٢.
(٦) سورة الأنعام آية ١٥١.
(٧) سورة يوسف آية ٢.
(٨) سورة النور آية ٦١.
(٩) سورة غافر آية ٦٧.
(١٠) سورة الزخرف آية ٣.
(١١) سورة الحديد آية ١٧.
(١٢) سورة آل عمران آية ١١٨.
(١٣) سورة طه آية ٧٤.
(١٤) سورة الأنفال آية ٨.

٣. ﴿إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ﴾(١).

٤. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾(٢).

٥. ﴿وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا﴾(٣).

٦. ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْمُجْرِمُونَ﴾(٤).

٧. ﴿وَلَا يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾(٥).

٨. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ﴾(٦).

٩. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ﴾(٧).

١٠. ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ﴾(٨).

١١. ﴿وَامْتَازُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ﴾(٩).

١٢. ﴿فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ﴾(١٠).

١٣. ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ﴾(١١).

١٤. ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ﴾(١٢).

١٥. ﴿وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ الْمُجْرِمِينَ﴾(١٣).

١٦. ﴿وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾(١٤).

١٧. ﴿وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ﴾(١٥).

١٨. ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾(١٦).

---

(١) سورة يونس آية ١٧.
(٢) سورة يونس آية ٥٠.
(٣) سورة الكهف آية ٥٣.
(٤) سورة الشعراء آية ٩٩.
(٥) سورة القصص آية ٧٨.
(٦) سورة الروم آية ١٢.
(٧) سورة الروم آية ٥٥.
(٨) سورة السجدة آية ١٢.
(٩) سورة يس آية ٥٩.
(١٠) سورة الدخان آية ٢٢.
(١١) سورة الرحمن آية ٤١.
(١٢) سورة الرحمن آية ٤٣.
(١٣) سورة الأنعام آية ٥٥.
(١٤) سورة الأنعام آية ١٤٧.
(١٥) سورة الأعراف آية ٤٠.
(١٦) سورة المرسلات آية ٤٦.

١٩. ﴿ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١).

٢٠. ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴾(٢).

٢١. ﴿ وَلَا تَتَوَلَّوْا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(٣).

٢٢. ﴿ وَكَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴾(٤).

٢٣. ﴿ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٥).

٢٤. ﴿ وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ﴾(٦).

٢٥. ﴿ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٧).

٢٦. ﴿ قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴾(٨).

٢٧. ﴿ وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ فَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ ﴾(٩).

٢٨. ﴿ وَنَسُوقُ ٱلْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وِرْدًا ﴾(١٠).

٢٩. ﴿ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴾(١١).

٣٠. ﴿ لَا بُشْرَىٰ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٢).

٣١. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٣).

٣٢. ﴿ كَذَٰلِكَ سَلَكْنَٰهُ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٤).

٣٣. ﴿ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٥).

٣٤. ﴿ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾(١٦).

---

(١) سورة الأعراف آية ٨٤.
(٢) سورة الأعراف آية ١٣٣.
(٣) سورة هود آية ٥٢.
(٤) سورة هود آية ١١٦.
(٥) سورة يوسف آية ١١٠.
(٦) سورة إبراهيم آية ٤٩.
(٧) سورة الحجر آية ١٢.
(٨) سورة الحجر آية ٥٨.
(٩) سورة الكهف آية ٤٩.
(١٠) سورة مريم آية ٨٦.
(١١) سورة طه آية ١٠٢.
(١٢) سورة الفرقان آية ٢٢.
(١٣) سورة الفرقان آية ٣١.
(١٤) سورة الشعراء آية ٢٠٠.
(١٥) سورة النمل آية ٦٩.
(١٦) سورة القصص آية ١٧.

٣٥. ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾(١).

٣٦. ﴿بَلْ كُنتُمْ مُّجْرِمِينَ﴾(٢).

٣٧. ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٣).

٣٨. ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ﴾(٤).

٣٩. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ﴾(٥).

٤٠. ﴿وَكُنتُمْ قَوْمًۢا مُّجْرِمِينَ﴾(٦).

٤١. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(٧).

٤٢. ﴿قَالُوٓا۟ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ﴾(٨).

٤٣. ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ﴾(٩).

٤٤. ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ﴾(١٠).

٤٥. ﴿عَنِ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾(١١).

٤٦. ﴿كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ﴾(١٢).

٤٧. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِى كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا۟ فِيهَا﴾(١٣).

كما وصفهم الله سبحانه بـ''المُفرِطون'' بقوله تعالى:
﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ﴾(١٤).

---

(١) سورة السجدة آية ٢٢.
(٢) سورة سبأ آية ٣٢.
(٣) سورة الصافات آية ٣٤.
(٤) سورة الزخرف آية ٧٤.
(٥) سورة الدخان آية ٣٧.
(٦) سورة الجاثية آية ٣١.
(٧) سورة الأحقاف آية ٢٥.
(٨) سورة الذاريات آية ٣٢.
(٩) سورة القمر آية ٤٧.
(١٠) سورة القلم آية ٣٥.
(١١) سورة المدثر آية ٤١.
(١٢) سورة المرسلات آية ١٨.
(١٣) سورة الأنعام آية ١٢٣.
(١٤) سورة النحل آية ٦٢.

كما ذمهم سبحانه ووصفهم بأنهم ''الخاسرون'' في قوله تعالى:

١. ﴿ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(١).

٢. ﴿ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾(٢).

٣. ﴿ الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا الَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ الْخَاسِرِينَ ﴾(٣).

٤. ﴿ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٤).

٥. ﴿ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾(٥).

كما ذمهم الله عندما وصفهم بـ''المكذبين'' قال تعالى:

١. ﴿ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ﴾(٦).

٢. ﴿ فَانْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٧).

٣. ﴿ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٨).

٤. ﴿ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(٩).

٥. ﴿ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ ﴾(١٠).

٦. ﴿ فَلَا تُطِعِ الْمُكَذِّبِينَ ﴾(١١).

٧. ﴿ وَإِنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُمْ مُكَذِّبِينَ ﴾(١٢).

٨. ﴿ وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ ﴾(١٣).

---

(١) سورة النحل آية ١٠٩.
(٢) سورة الأعراف آية ٩٩.
(٣) سورة الأعراف آية ٩٢.
(٤) سورة الزمر آية ٦٥.
(٥) سورة فصلت آية ٢٣.
(٦) سورة الواقعة آية ٥١.
(٧) سورة النحل آية ٣٦.
(٨) سورة الأنعام آية ١١.
(٩) سورة الزخرف آية ٢٥.
(١٠) سورة الواقعة آية ٩٢.
(١١) سورة القلم آية ٨.
(١٢) سورة الحاقة آية ٤٩.
(١٣) سورة المزمل آية ١١.

كما ذمهم الله سبحانه عندما وصفهم بـــ''الكاذبين'' بقوله:

١. ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١).

٢. ﴿يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٢).

٣. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٣).

٤. ﴿فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٤).

٥. ﴿بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٥).

٦. ﴿فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(٦).

٧. ﴿يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثَرُهُمْ كَاذِبُونَ﴾(٧).

٨. ﴿إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٨).

٩. ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(٩).

١٠. ﴿أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾(١٠).

١١. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾(١١).

١٢. ﴿وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ﴾(١٢).

١٣. ﴿ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ﴾(١٣).

١٤. ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَاذِبِينَ﴾(١٤).

---

(١) سورة الأنعام آية ٢٨.
(٢) سورة التوبة آية ٤٢.
(٣) سورة التوبة آية ١٠٧.
(٤) سورة النحل آية ٨٦.
(٥) سورة المؤمنون آية ٩٠.
(٦) سورة النور آية ١٣.
(٧) سورة الشعراء آية ٢٢٣.
(٨) سورة العنكبوت آية ١٢.
(٩) سورة الصافات آية ١٥٢.
(١٠) سورة المجادلة آية ١٨.
(١١) سورة الحشر آية ١١.
(١٢) سورة المنافقون آية ١.
(١٣) سورة آل عمران آية ٦١.
(١٤) سورة النحل آية ٣٩.

كما ذمهم سبحانه بوصفهم بـــ''الفاسقين'' في قوله تعالى:

١. ﴿وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ﴾(١).

٢. ﴿فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٢).

٣. ﴿مِّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٣).

٤. ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ﴾(٤).

٥. ﴿وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَاسِقُونَ﴾(٥).

٦. ﴿وَلَٰكِنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٦).

٧. ﴿وَأَكْثَرُهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٧).

٨. ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ﴾(٨).

٩. ﴿وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾(٩).

١٠. ﴿فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾(١٠).

١١. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١١).

١٢. ﴿فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١٢).

١٣. ﴿وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١٣).

١٤. ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾(١٤).

---

(١) سورة البقرة آية ٩٩.
(٢) سورة آل عمران آية ٨٢.
(٣) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٤) سورة المائدة آية ٤٩.
(٥) سورة المائدة آية ٥٩.
(٦) سورة المائدة آية ٨١.
(٧) سورة التوبة آية ٨.
(٨) سورة التوبة آية ٦٧.
(٩) سورة التوبة آية ٨٤.
(١٠) سورة الأحقاف آية ٣٥.
(١١) سورة الحديد آية ١٦.
(١٢) سورة الحديد آية ٢٦.
(١٣) سورة الحديد آية ٢٧.
(١٤) سورة البقرة آية ٢٦.

١٥. ﴿فَٱفْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١).

١٦. ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٢).

١٧. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٣).

١٨. ﴿وَإِن وَجَدْنَآ أَكْثَرَهُمْ لَفَٰسِقِينَ﴾(٤).

١٩. ﴿سَأُوْرِيكُمْ دَارَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٥).

٢٠. ﴿وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٦).

٢١. ﴿لَن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾(٧).

٢٢. ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(٨).

٢٣. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمَ سَوْءٍ فَٰسِقِينَ﴾(٩).

٢٤. ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾(١٠).

٢٥. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾(١١).

٢٦. ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾(١٢).

٢٧. ﴿فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾(١٣).

---

(١) سورة المائدة آية ٢٥.
(٢) سورة المائدة آية ٢٦.
(٣) سورة المائدة آية ١٠٨.
(٤) سورة الأعراف آية ١٠٢.
(٥) سورة الأعراف آية ١٤٥.
(٦) سورة التوبة آية ٢٤.
(٧) سورة التوبة آية ٥٣.
(٨) سورة التوبة آية ٩٦.
(٩) سورة الأنبياء آية ٧٤.
(١٠) سورة النمل آية ١٢.
(١١) سورة الزخرف آية ٥٤.
(١٢) سورة الذاريات آية ٤٦.
(١٣) سورة الحشر آية ٥.

كما ذم الله الكافرين ذماً مباشراً عندما وصفهم بـ''المعتدين'' بقوله سبحانه:

١. ﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ﴾(١).

٢. ﴿وَلَا تَعْتَدُوا ۚ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾(٢).

٣. ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ﴾(٣).

٤. ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾(٤).

كما ذمهم ذماً مباشراً عندما لقبهم بـ''الطاغين'' في قوله سبحانه:

١. ﴿بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ﴾(٥).

٢. ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾(٦).

٣. ﴿هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ﴾(٧).

٤. ﴿قَالُوا يَا وَيْلَنَا إِنَّا كُنَّا طَاغِينَ﴾(٨).

٥. ﴿لِلطَّاغِينَ مَآبًا﴾(٩).

كما ذم الله الكافرين المستكبرين المعاندين ووصفهم بالعدوان في قوله تعالى:

١. ﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(١٠).

٢. ﴿فَمَنِ ابْتَغَىٰ وَرَاءَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْعَادُونَ﴾(١١).

وقد ذم الله الشيطان والكافرين حين وصفهم بأنهم عدوٌ لله وللمؤمنين بقوله تعالى:

١. ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۚ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١٢).

٢. ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾(١٣).

٣. ﴿يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ﴾(١٤).

---

(١) سورة التوبة آية ١٠.
(٢) سورة البقرة آية ١٩٠.
(٣) سورة الأنعام آية ١١٩.
(٤) سورة يونس آية ٧٤.
(٥) سورة الصافات آية ٣٠.
(٦) سورة الذاريات آية ٥٣.
(٧) سورة ص آية ٥٥.
(٨) سورة القلم آية ٣١.
(٩) سورة النبأ آية ٢٢.
(١٠) سورة المطففين آية ١٢.
(١١) سورة المؤمنون آية ٧.
(١٢) سورة البقرة آية ١٦٨، ٢٠٨.
(١٣) سورة يوسف آية ٥.
(١٤) سورة طه آية ٣٩.

٤. ﴿ فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ ﴾(١).

٥. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ﴾(٢).

٦. ﴿ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴾(٣).

٧. ﴿ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ﴾(٤).

٨. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ ﴾(٥).

٩. ﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ﴾(٦).

١٠. ﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴾(٧).

١١. ﴿ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾(٨).

١٢. ﴿ لَا تَتَّخِذُوا۟ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ ﴾(٩).

وقد ذم الله الكافرين حين وصفهم بـــ''القاسية قلوبهم'' بقوله تعالى:

١. ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ﴾(١٠).

٢. ﴿ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(١١).

٣. ﴿ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾(١٢).

٤. ﴿ فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَٰقَهُمْ لَعَنَّٰهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَٰسِيَةً ﴾(١٣).

٥. ﴿ لِّلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ ﴾(١٤).

٦. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ﴾(١٥).

---

(١) سورة طه آية ١١٧.
(٢) سورة فاطر آية ٦.
(٣) سورة الزخرف آية ٦٢.
(٤) سورة المنافقون آية ٤.
(٥) سورة الأنعام آية ١١٢.
(٦) سورة الإسراء آية ٥٣.
(٧) سورة الفرقان آية ٣١.
(٨) سورة الأنفال آية ٦.
(٩) سورة الممتحنة آية ١.
(١٠) سورة البقرة آية ٧٤.
(١١) سورة الأنعام آية ٤٣.
(١٢) سورة الحديد آية ١٦.
(١٣) سورة المائدة آية ١٣.
(١٤) سورة الحج آية ٥٣.
(١٥) سورة الزمر آية ٢٢.

كما وصف الله الكافرين وذمهم بأن قلوبهم غلف أو على قلوبهم أكنة وفي آذانهم وقر وقد ختم الله على قلوبهم غشاوة وفي قلوبهم مرض بقوله تعالى:

١. ﴿وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾(١).

٢. ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ﴾(٢).

٣. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾(٣).

٤. ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾(٤).

٥. ﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ﴾(٥).

٦. ﴿وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٦).

٧. ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ﴾(٧).

٨. ﴿إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا﴾(٨).

٩. ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾(٩).

١٠. ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾(١٠).

كذلك ورد الذم المباشر للكفار والمنافقين باستعمال صيغة المبالغة إمعاناً في تحقيرهم وإهانتهم قال تعالى:

١. ﴿إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(١١).

٢. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾(١٢).

٣. ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ﴾(١٣).

٤. ﴿وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾(١٤).

---

(١) سورة النساء آية ١٥٥.
(٢) سورة فصلت آية ٥.
(٣) سورة البقرة آية ٧.
(٤) سورة البقرة آية ١٠.
(٥) سورة المائدة آية ٥٢.
(٦) سورة الأنعام آية ٢٥، سورة الإسراء آية ٤٦.
(٧) سورة التوبة آية ١٢٥.
(٨) سورة الكهف آية ٥٧.
(٩) سورة الأحزاب آية ١٢.
(١٠) سورة الأحزاب آية ٦٠.
(١١) سورة نوح آية ٢٧.
(١٢) سورة غافر آية ٢٨.
(١٣) سورة القلم آية ١٢.
(١٤) سورة القلم آية ١٠.

٥. ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءٍۭ بِنَمِيمٍ﴾(١).

٦. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(٢).

٧. ﴿كَذَٰلِكَ نَجْزِي كُلَّ كَفُورٍ﴾(٣).

٨. ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَفَرَةُ ٱلْفَجَرَةُ﴾(٤).

٩. ﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ۝ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ﴾(٥).

١٠. ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾(٦).

١١. ﴿قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾(٧).

١٢. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ﴾(٨).

١٣. ﴿عُتُلٍّۭ بَعْدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾(٩).

١٤. ﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا﴾(١٠).

وقد ورد الذم للشيطان ذماً مباشراً باستعمال كلمة ''رجيم'' بمعنى مرجوم ولم يوصف أحد من خلق الله بهذا الوصف قال تعالى:

١. ﴿وَإِنِّيٓ أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(١١).

٢. ﴿وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ﴾(١٢).

٣. ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ﴾(١٣).

٤. ﴿قَالَ فَٱخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ﴾(١٤).

---

(١) سورة القلم آية ١١.
(٢) سورة الهمزة آية ١.
(٣) سورة فاطر آية ٣٦.
(٤) سورة عبس آية ٤٢.
(٥) سورة ق آية ٢٥.
(٦) سورة لقمان آية ٣٢.
(٧) سورة الذاريات آية ١٠.
(٨) سورة القمر آية ٢٦.
(٩) سورة القلم آية ١٣.
(١٠) سورة الأحزاب آية ٧٢.
(١١) سورة ال عمران آية ٣٦.
(١٢) سورة الحجر آية ١٧.
(١٣) سورة النحل آية ٩٨.
(١٤) سورة ص آية ٧٧.

٥. ﴿وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ﴾(١).

كما حقَّره الله لعناده بطرده من رحمته ووصفه بالصاغر ونعته بالطاغوت لفرط مـــا يصـــرف الناس عن طريق الخير ولأنه رأس الغواية والضلال(٢). قال تعالى:

١. ﴿فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ﴾(٣).

٢. ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ﴾(٤).

٣. ﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٥).

٤. ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ﴾(٦).

٥. ﴿أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾(٧).

٦. ﴿يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ﴾(٨).

وقد ورد في القرآن ذماً لامرأة لوط بوصفها من الغابرين بقوله تعالى:
﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾(٩).

هذا وقد ذم الله الكافرين والفاسقين والمكذبين ببيان مآلهم وتحديد مصيرهم جزاء مـــا اقـــترفت أيديهم من آثام وما اجترحت من معاصي. ذمهم ذماً مباشراً بجمل تبدأ بحرف الجر ''لهم'' أو ''فـــي'' بقوله سبحانه:

١. ﴿فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾(١٠).

٢. ﴿فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا﴾(١١).

٣. ﴿ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾(١٢).

---

(١) سورة التكوير آية ٢٥.
(٢) المنجد في اللغة والأعلام-باب طغى-ص ٤٦٧.
(٣) سورة الأعراف آية ١٣.
(٤) سورة البقرة آية ٢٥٦.
(٥) سورة الزمر آية ١٧.
(٦) سورة النساء آية ٧٦.
(٧) سورة النحل آية ٣٦.
(٨) سورة النساء آية ٦٠.
(٩) سورة العلكبوت آية ٣٢.
(١٠) سورة البروج آية ١٠.
(١١) سورة الجن آية ٢٣.
(١٢) سورة الحشر آية ١٥.

٤. ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾(١).

٥. ﴿ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾(٢).

٦. ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ ﴾(٣).

٧. ﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾(٤).

كذلك ورد الذم على شكل خطاب مباشر بالنداء ''يا أيها'' تعبيراً عن الإهانة والتحقير للكافرين في موضعين(٥). قال تعالى:

١. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ ﴾(٦).

٢. ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾(٧).

فعل الذم ''بِئْسَ''

يندرج بِئْسَ على ما درج على نِعْمَ في الفصل الأول ويجتمع الفعلان في معظم الخصائص، لكنني فضلت فصلهما للإيضاح ولضرورة البحث ومتطلباته. فبِئْسَ فعل جامد أريد به الذم العام واختلف البصريون والكوفيون في أسميته وفعليته، ذُكر ذلك آنفاً في الفصل الأول المبحث الأول ولا داعي للإعادة والتكرار، كما بينا اختلاف المدرستين بشأن دخول حرف الجر والنداء عليهما، وفي ''أنه لا يَحْسُن اقتران الزمان بهما'' أيضاً.

لذلك فإننا سننطلق مع فعل الذم ''بِئْسَ'' باللغات المستعملة فيه، وبِئْسَ في القرآن الكريم، وبِئْسَ والقراءات، ثم الأحكام النحوية لهذا الفعل وأخيراً المخصوص بالذم وأحكامه وإعرابه، والمواضع التي اختلف المفسرون في بيان المخصوص بالذم.

بعدها ننتقل إلى الأفعال التي جرت مجراها وقامت بالذم مثلها، مثل ''سَاء، وكَبُر، وبَطُل، وشرٌّ'' وغيرها من الأساليب التي أريد بها الذم إلى جانب أغراضها الأساسية كالدعاء والتفضيل.

---

(١) سورة المجادلة آية ٤.
(٢) سورة المجادلة آية ٥.
(٣) سورة الزمر آية ٣٢.
(٤) سورة الزمر آية ٦٠.
(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٥٨/٢.
(٦) سورة التحريم آية ٧.
(٧) سورة الكافرون آية ١.

اللغات المستعملة في بِئْسَ

ورد في اللسان أن في بِئْسَ خمسَ لغات:

الأول : بفتح أوله وكسر ثانيه ''بَئِسَ''.

الثانية : بكسر أوَّلِهِ وثانيه ''بِئِسَ''.

الثالثة : بكسر فائه وسكون عينه ''بِئْسَ''.

الرابعة : بفتح الباء وسكون الهمزة ''بَأْسَ''.

وتجري هذه اللغة على كل ما كان على وزن ''فَعِلَ'' من اسم أو فعل وعينه حرف من حروف الحلق.

وسمع في ''بِئْس'' لغة خامسة وهي ''بَيْسَ'' بفتح الباء وسكون الياء مُبْدَلة من الهمزة على غير قياس، كما سُمِع في ''نِعْمَ'' ''نعيم'' بالإشباع، قال أبو حيان: وذلك ستزود، لا لغة. وذُكر أن الأفصح ''بِئْسَ'' وهي القرآن الكريم. ذكر الصبّان في حاشيته على الأشموني أن الأفصح هو الترتيب التالي:

أ. بِئْسَ ''كسر فسكون''.

ب. بِئِس ''كسر فاء وعين''.

ج. بَأْس ''فتح فسكون''.

د. بَئِسَ ''فتح فكسر''.

وأعتقد أن ترتيب أبي حيان أفضل حيث رتبه كما يلي:

أ. بِئْسَ ''كسر فسكون''.

ب. بِئِس ''كسر فاء وعين''.

ج. بَئِسَ وهي الأصلية.

د. بَأْس ''فتح فسكون''.

أما لغة الفتح فالسكون ''بَأْس'' التي قدّمها الصبان على اللغة السابقة، فلم يذكر لها النحاة شاهداً في كتب اللغة أو النحو.[1]

---

(١) شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٢/٩٤.

استعمالات بِئْسَ

جاء في التمهيد لهذا الفصل أن الذم المباشر في القرآن الكريم قد جاء على نوعين:

الأول : باستعمال الألفاظ الصريحة للذم كالكافر والفاسق والكذاب والعدو والطاغوت والرجيم وغيرها.

الثاني : فباستعمال الألفاظ التي تدل على الذم العام[1]، وتمتاز بأحوال وأحكام خاصة بها دون نظائرها من النوع الصريح مثل ''بِئْسَ'' التي تختلف بسبب العموم عن الأفعال الأخرى التي تجري مجراها مثل ''ساء، وكبرُ'' حيث يكون الذَّم في تلك الأفعال الأخرى خاص ومتضمن التعجب.

وقد ذكر النحاة لبِئْسَ استعمالين:

الأول : أن يستعمل فعلاً متصرفاً، كسائر الأفعال الأخرى فيكون له فعل مضارع، وأمر، واسم فاعل وغيره من المشتقات فيقال فيه: بَئِس المريضُ، يَبْأس، فهو بَائِسٌ، ويكون حينئذٍ على الأصل منه لغة واستعمالاً.

الثاني : أن يستعمل لإنشاء الذم، وهو في هذا الاستعمال غير متصرف، لخروجه عن الأصل في الفعل للدلالة على الحدث والزمان، فأشبه الحرف.

والكلام عليه هنا باعتبار هذا الاستعمال، والأكثر فيه ''بِئْس'' بكسر الباء وإسكان العين. والإنشاء الذي يفيده من قبيل الإنشاء غير الطلبي، وهو الإنشاء الذي لا يستلزم مطلوباً ليس حاصلاً وقت الطلب. ووجه إفادته لهذا النوع من الإنشاء كما ذكر الرضي[2]: ''إنك إذا قلت: بِئْسَ الرجلُ الفاجرُ، فإنما تنشئ الذم وتحدثه بهذا اللفظ، وليس الذم موجوداً في الخارج في أحد الأزمنة مقصوداً مطابقة هذا الكلام إياه، حتى يكون شراً، بل نقصد بهذا الكلام ذمه على عمله السيّئ أو على سوئه الحاصل خارجاً، ولو كان إخباراً صرفاً عن سوئهِ خارجاً لدخله التصديق والتكذيب، فقول أحدهم عن دابته ''ما هو بِبِئْسَ العير'' ليس تكذيباً له في الذم، إذ لا يمكن تكذيبه فيه، بل هو إخبار بأن السوء الذي حكمت بحصوله في الخارج ليس بحاصل. فهو إنشاء جزؤه الخبر''. وقول الرضي هذا هو غاية ما يمكن قوله في التعليل، ليدخل هذا النوع في جملة الإنشاء غير الطلبي، ومع ذلك ففي تعليله هذا نظر، لاحتماله الصدق والكذب باعتبار نفس الخبر، وإن لم تحتمله باعتباره ذمّاً. على أنَّ بعض البلاغيين ذكر أن ''بِئْسَ خبراً''. قال السبكي في عروس الأفراح[3]: ''وما يدل على أن بِئْسَ خبر في الأصل، وقوع ''بِئْسَ'' في جواب القسم في قوله تعالى ''ولبِئْس ما شروا به أنفسهم'' ولكن ما ذكره

---

(١) شمل العيوب كلها مبالغة، ولا يقتصر على بعض منها، كالكذب، أو الجهل، أو السفه، ومن أمثلته قوله تعالى: ''أفمن اتبع رضوان الله كمن باء بسخط من الله، ومأواهم جهنم وبِئْسَ المصير''

(٢) شرح الكافية للرضي الاستربادي: ٢/٣١١.

(٣) هذا النص بتصرف لأن السبكي ذكر نِعْمَ وبِئْسَ معاً وجعل لهما قاعدة واحدة مشتركة.

السبكي لا يعد دليلاً قاطعاً على صحة قوله، فقد أجاز بعض النحاة ومنهم الرضي وقوع الجملة الطلبية خبراً للكن، ولآن المكسورة، حيث قال[1]: ''وأما الجملة الطلبية، كالأمر، والنهي، والدعاء، والجملة المصدّرة بحرف الاستفهام، والعرض، والتمني، ونحو ذلك، فلا أرى منعاً من وقوعها خبراً لهما كما في خبر المبتدأ وإن كان قليلاً. وقد جاءت الجملة الطلبية[2] خبراً لإنَّ المكسورة في قوله تعالى: ''إن الذين يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير حقّ، ويقتلون اللذين يأمرون بالقسط من الناس، فبَشّرَهُمْ بعذاب أليم''. ويلاحظ أن البلاغيين لم يلقوا بالاً إلى الإنشاء غير الطلبي، لقلة المباحث المتعلقة به، ولأنه في الأصل أخبار نقلت إلى معنى الإنشاء. وأما النحويون فيوجهون عنايةً خاصةً إلى معظم أنواع هذا القسم في مختلف أبواب النحو. بل عقدوا لبعضه أبواباً خاصة.

بِئْسَ في القرآن الكريم

وردت بِئْسَ في القرآن الكريم تسعاً وثلاثين مرة في ثمانية وثلاثين موضعاً. أربعاً وعشرين مرة فاعلها محلى بآل: عشر منها كلمة ''المصير'' وخمس منها كلمة ''المهاد'' واثنتان كان الفاعل هو كلمة القرار. أما السبع الباقية فهي ''الشراب''، ''الورد''، ''الرِّفْد''، ''المولى''، ''العشير''، ''القرين''، ''الاسم''. كما ورد فاعلها مضافاً إلى ما فيه ''ال'' خمس مرات، ثلاث منها ''مثوى المتكبرين'' وواحدة ''مثوى الظالمين'' أما الخامسة فهي ''مثل القوم''. أما التسع الباقية فكان فاعلها هو ''ما'' عند من يجعلها في محل رفع فاعل. أمّا من يجعلها في محل نصب تمييز فيكون الفاعل ضميراً مستتراً وإليك حصراً لها قال تعالى:

١. ﴿ثُمَّ أَضْطَرُّهُۥٓ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلنَّارِ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[3].

٢. ﴿وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ ۚ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[4].

٣. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[5].

٤. ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[6].

٥. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَلَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[7].

٦. ﴿مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِىَ مَوْلَىٰكُمْ ۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ﴾[8].

---

(١) شرح الكافية للرضي الاستربادي: ٣٤٨/٢.
(٢) دراسات لأسلوب القرآن لمحمد عبد الخالق عضيمة: ٤٤٦/١.
(٣) سورة البقرة آية ١٢٦.
(٤) سورة آل عمران آية ١٦٢.
(٥) سورة الأنفال آية ١٦.
(٦) سورة التوبة آية ٧٣.
(٧) سورة النور آية ٥٧.
(٨) سورة الحديد آية ١٥.

٧. ﴿ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(١).

٨. ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٢).

٩. ﴿ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٣).

١٠. ﴿ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾(٤).

١١. ﴿ فَحَسْبُهُ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٥).

١٢. ﴿ وَتُحْشَرُونَ إِلَى جَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٦).

١٣. ﴿ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٧).

١٤. ﴿ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٨).

١٥. ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴾(٩).

١٦. ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾(١٠).

١٧. ﴿ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴾(١١).

١٨. ﴿ وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(١٢).

١٩. ﴿ يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ ﴾(١٣).

٢٠. ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴾(١٤).

٢١. ﴿ لَبِئْسَ الْمَوْلَى ﴾(١٥).

٢٢. ﴿ وَلَبِئْسَ الْعَشِيرُ ﴾(١٦).

---

(١) سورة المجادلة آية ٨.
(٢) سورة التحريم آية ٩.
(٣) سورة الملك آية ٦.
(٤) سورة الحج آية ٧٢.
(٥) سورة البقرة آية ٢٠٦.
(٦) سورة آل عمران آية ١٢.
(٧) سورة آل عمران آية ١٩٧.
(٨) سورة الرعد آية ١٨.
(٩) سورة ص آية ٥٦.
(١٠) سورة إبراهيم آية ٢٩.
(١١) سورة ص آية ٦٠.
(١٢) سورة الكهف آية ٢٩.
(١٣) سورة هود آية ٩٨.
(١٤) سورة هود آية ٩٩.
(١٥) سورة الحج آية ١٣.
(١٦) سورة الحج آية ١٣.

٢٣. ﴿يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ﴾(١).

٢٤. ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ ۖ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ﴾(٢).

٢٥. ﴿فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٣).

٢٦. ﴿قِيلَ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٤).

٢٧. ﴿ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ﴾(٥).

٢٨. ﴿وَمَأْوَىٰهُمُ ٱلنَّارُ ۖ وَبِئْسَ مَثْوَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٦).

٢٩. ﴿بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾(٧).

٣٠. ﴿وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾(٨).

٣١. ﴿وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾(٩).

٣٢. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١٠).

٣٣. ﴿لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ﴾(١١).

٣٤. ﴿كَانُوا۟ لَا يَتَنَاهَوْنَ عَن مُّنكَرٍ فَعَلُوهُ ۚ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَفْعَلُونَ﴾(١٢).

٣٥. ﴿لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾(١٣).

٣٦. ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ﴾(١٤).

٣٧. ﴿بِئْسَمَا يَأْمُرُكُم بِهِۦٓ إِيمَٰنُكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾(١٥).

٣٨. ﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ﴾(١٦).

---

(١) سورة الزخرف آية ٣٨.
(٢) سورة الحجرات آية ١١.
(٣) سورة النحل آية ٢٩.
(٤) سورة الزمر آية ٧٢.
(٥) سورة غافر آية ٧٦.
(٦) سورة آل عمران آية ١٥١.
(٧) سورة الجمعة آية ٥.
(٨) سورة البقرة آية ١٠٢.
(٩) سورة آل عمران آية ١٨٧.
(١٠) سورة المائدة آية ٦٢.
(١١) سورة المائدة آية ٦٣.
(١٢) سورة المائدة آية ٧٩.
(١٣) سورة المائدة آية ٨٠.
(١٤) سورة البقرة آية ٩٠.
(١٥) سورة البقرة آية ٩٣.
(١٦) سورة الأعراف آية ١٥٠.

٣٩. ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾[١].

وبحصر هذه الآيات نجد أن عدد ''بِئْسَ'' في القرآن الكريم يزيد عن ضعف عدد ''نِعْمَ''. فقد بلغ عدد الفعل ''بِئْسَ'' تسعاً وثلاثين مرة منها ستة وعشرون آيةً مدنية، وثلاث عشرة آية مكية، وقد سبقت بلام القسم في عشرة مواضع كلها مدنية إلا آية النحل وقد جاء التأكيد بالقسم فيها، لأنها تذم المنافقين وأعمالهم، وبعضها يذم اليهود ومسلكهم، فكان التوكيد مناسباً للمقام.

بِئْسَ والقراءات

لم يَرِد فعل ''بِئْسَ'' في القرآن الكريم إلا مكسور الفاء ساكن العين وبعض القَراء من العشرة قرأوا بتخفيف الهمزة فيها فيقولون: بِيْسَ بكسر الباء وبعدها ياء ساكنة واعتبروا هذا جائزاً حسناً انطلاقاً من الأصل الذي يقول: ''إذا انكسر ما قبل الهمزة الساكنة أُبدل منها ياءُ ساكنة لأن الكسرةَ من الياء، والياء تحدث من إشباع الكسرة، ولأن الياء تُبْدَلَ منها همزة إذا تطرفت بعد ألف زائدة نحو: سقاء أصله ''سقاي'' فجعلت هي في التخفيف للهمزة عوضاً عن الهمزة، وذلك نحو ''بِئْسَ'' و''بِئْر''،[٢]. وقد قرأ بهذه القراءة أبو جعفر وورش، أما أبو عمرو فقيل: أنه كان إذا قرأ في الصلاة أو أدرج القراءة، أو قرأ بالإدغام لم يهمز كل همزة ساكنة، فخص استعمال هذه القراءة. أما إذا قرأ في الصلاة، أو أدرج القراءة أو قرأ بالإدغام الكبير فدل ذلك على إنه كان إذا قرأ في غير الصّلاة سواءٌ استعمل الحذر أو التحقيق همز. وفي رواية العباس وأبي حمدون وغيرهم عن الدّرَوي أن أبا عمرو كان إذا قرأ لم يهمز، فدّل قولهم على أنه كان لا يهمز على أي حال في الصّلاة أو غيرها، وفي حذر أو تحقيق.[٣] وهناك قراءة أخرى وهي ''بَيْسَ'' بفتح الباء وسكون الياء مبدلة من الهمزة على غير قياس حكاها الأخفش والفارسي[٤] وفي ضوء ذلك يكون الإبدال في حال كسر الباء قياسي أما بعد الفتح فغير قياسي.

---

(١) سورة الكهف آية ٥٠.

(٢) الكشف عن وجوه القراءات السبع للقيسي: ١/١٠١.

(٣) النشر في القراءات العشر لابن الجزري: ١/٣٩٢.

(٤) الهمع الهوامع للسيوطي: ٥/٢٩، حاشية الصبان على الأشموني: ٣/٢٨.

الأحكام النحوية لبئس

ذكر النحويون أن ''لبِئْسَ'' أحكاماً تختص بها وبنِعْمَ[1] من بين الأفعال منها:

أولاً : إن تاء التأنيث تلحق بها جوازاً، إذا كان فاعلها مؤنثاً حقيقي التأنيث، ولم يفصل بينهما فاصل[2]، تقول: ''بِئْسَت المرأةُ حمالةُ الحطب'' وإن شئت حذفت التاء فيها، وذكر سيبويه أن الحذف أكثر. وقد علل السيرافي ذلك بقوله: ''والحذف أكثر لنقصان تمكنهما في الأفعال وبطلان استعمال المستقبل منها''[3] يقصد نِعْمَ وبِئْسَ. ثم استطرد السيرافي قائلاً: ''فان قال قائل: لِمَ لم يكن له ''لبِئْسَ'' مستقبلٌ والأفعال لا تمتنع من الاستقبال إذا أريد بها الاستقبال؟ قيل له: المانع أنه وُضِع للذم، ولا يصح الذم إلا بما قد وُجِدَ وثبت في المذموم''[4]. وقد يؤنث بِئْسَ، وفاعله مذكر وذلك لكون المخصوص مؤنثاً نحو: بِئْسَت الإنسانُ الكاذبةُ. قال ذو الرمة[5]:

أو حُرَّةٌ عيطل ثَبْجَاء مُجْفَرَةٌ دعائمُ الزَّورِ نِعْمَت زورقُ البلد

فقد الحق تاء التأنيث ''بنِعْمَ'' مع كونه مسنداً إلى مذكر وهو ''زورق البلد'' لأنه أراد الناقة وهي مؤنث، فأنث على المعنى. ولم يَرد بِئْسَ في القرآن الكريم وقد لحقت بها تاء التأنيث، مع وجود المخصوص بالذم مؤنثاً. ولعل هذا كان من الأساليب التي دفعت سيبويه إلى اعتبار حذف تاء التأنيث منها هو الأكثر في الكلام العربي.

ثانياً : ومن الأحكام التي تختص بها ''بِئْسَ'' قصر فاعلها على أنواع معينة من الأسماء:

النوع الأول : أن يكون فاعلها محلى بأل نحو قولك: ''بِئْسَ الرَّجلُ عمرو'' ومنه قوله تعالى: ''لَبِئْسَ المولى، ولبِئْسَ العشيرُ''. وقد اختلف النحاة في ''أل'' هنا، فذهب قوم إلى أنها للجنس حقيقة، فكأنك ذممت الجنس كُلَّهُ من أجل عمرو، ثم خصصت عمروا بالذم، فتكون ذممته مرتين. وقيل: هي للجنس على سبيل المجاز، لا الحقيقة، فكأنك قد جعلت عمروا الجنس كله وذلك على المبالغة. وقد أنكر ''الرَّضِيُّ''[6] أن تكون ''أل'' في فاعل ''بِئْسَ'' للجنس حيث قال: ''واعلم أنَّ اللام في نحو: ''بِئْسَ الرَّجُلُ زيدٌ'' ليست لاستغراق

---

(١) وقد سبق الحديث عن نِعْمَ لذا سنفرد هذا الباب لبِئْسَ.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-العدد ١١-١٤٠١هـ/١٩٨١م-د.عوض الجهاوي.

(٣) كتاب سيبوية: ١٧٨/٢.

(٤) هذا قول السيرافي بتصرف.

(٥) شرح المفصل لابن يعيش: ١٣٦/٧، شرح الكافية للرضي الاستربادي: ٣١٨/٢، الخزانة لعبد القادر البغدادي: ١١٩/٤، لسان العرب لابن منظور-باب (ب ي س).

(٦) أبو محمد الرضي الاستربادي مؤلف شرح الكافية وشرح الشافية لابن الحاجب.

الجنس كما ذهب إليه أبو علي واتباعه، لأن علامة المعرف بأل الاستغراقية صحة إضافة كل إليه، ولا يصح أن يقال: بِئْسَ كلُّ الرجلِ زيدٌ، وكيف يكون زيد كل الرجال؟ فإن قلت: بل هذا على سبيل المجاز والمبالغة، كما تقول: ''أنت الرجلُ كلُّ الرجلِ'' قلت: امتناع التصريح في مثل هذا بنحو: بِئْسَ كل الرَّجُلِ'' يدل على أنه لم يقصد به ذاك المعنى، وأيضاً فإنه لا يقصد معنى المبالغة المذكورة إلاّ مع التصريح بلفظ كلّ''. وذهب قوم آخرون إلى أن ''أل'' عهدية، ثم اختلفوا[1] ''فقيل المعهود ذهني كما إذا قيل: اشترِ اللحم، ولا نريد الجنس، ولا معهوداً تقدم وأراد بذلك أن يمنع الإبهام، ثم يأتي بالتفسير بعده تفخيما للأمر. وقيل المعهود هو الشخص المذموم فإذا قلت: زيد بِئْسَ الرجلُ فكأنك قلت: زيد بِئْسَ هو. واستدل هؤلاء بتثنيته، وجمعه، ولو كان عبارة عن الجنس لم يسغ فيه ذلك''. ويرى الرضي الأستربادي أن ''أل'' لا تكون إلا للعهد الشخصي فلا يصح أن تكون للإشارة إلى ما في الذهن. أما ابن يعيش فينكر كونها للعهد أصلاً، وقال: ولو كان الألف واللام للعهد لم يجز وقوعه فاعلاً ''لبِئْسَ'' لو قلت: ''بِئْسَ الرجل الذي كان عندنا''[2]. ذلك لأنه لما وضع للذم العام جُعِل فاعله عامّاً ليطابق معناه، إذ لو جُعِلَ خاصّاً لكان نقضاً للغرض، لأن الفعل إذا أُسنِد إلى عام عَمَّ، وإذا أُسنِدَ إلى خاصٍّ خصَّ، وهذا ما يجعلني أرى أنَّ معناها للجنس لأنه يناسب المقام كما فيه معنى العموم بخلاف العهد الذي يناقض معنى العموم لما فيه من معنى الخصوص.

النوع الثاني : أن يكون مضافاً إلى ما فيه أل، نحو قوله تعالى ''فبِئْسَ مثوى المتكبرين''. وذلك لأن المضاف إلى ما فيه ''أل'' حكمه حكم ما فيه ''أل'' تماماً.

النوع الثالث : أن يكون فاعل بِئْسَ مضافاً إلى مضاف إلى ما فيه: أل: مثل ''بِئْسَ ابنُ أختِ القوم'' فإن فاعل بِئْسَ هو ''ابن'' المضاف إلى ''أخت'' المضاف إلى ما فيه ''أل'' وهو ''القوم''.

---

(١) شرح الأشموني للألفية: ٣/٣٠.

(٢) شرح المفصل لابن يعيش: ٧/١٣٠.

النوع الرابع : أن يكون الفاعل مضافاً إلى ضمير يعود على ما فيه أل مثل ''بِئْسَ النذالة، وبِئْسَ هديرها'' فإن فاعل بِئْسَ ''هدير'' وسوغ ذلك إضافتها إلى الضمير الذي يعود على ما فيه ''أل'' وهو ''النذالة''.

النوع الخامس : أن يكون الفاعل ضميراً مُفَسَّراً بنكرة بعده تُنْصَبُ تمييزاً كقوله تعالى: ''بِئْسَ للظالمين بدلاً'' ففي بِئْسَ ضمير مستتر يعرب فاعلاً، و''بدلاً'' في الآية تفسر هذا الضمير المبهم، وهذا الضمير من الضمائر التي يجوز أن تعود على متأخر في اللفظ والرتبة. وقد خص النحاة هذا الضمير ببعض الأحكام، كما خصوا التمييز المفسر له بأحكام أيضاً[1]. أما أحكام الضمير فهي:

أولاً : أنه لا يبرز في تثنيه ولا جمع استغناء بتثنية التمييز وجمعه وقد أجاز ذلك قوم من الكوفيين.

ثانياً : أنه لا يتبع. وأما نحو قولك ''بِئْسَ هم قوماً أنتم'' فشاذ.

ثالثاً : أنه إذا فُسِّر بمؤنث لحقته تاء التأنيث نحو: ''بِئْسَت امرأةٌ هندٌ'' وقال ابن أبي الربيع[2] لا تلحق وإنما يقال ''بِئْسَ امرأةً هندٌ'' استغناء بتأنيث المفسِّر ''هندٌ'' ويؤيد الرأي الأول قول لرسول ﷺ[3]: ''من توضأ يوم الجمعة فبها ونِعْمَت'' فقد قيل في تفسير الحديث فبالرخصة أخذ ونِعْمَت ''رخصةُ الوضوء'' فأنث ''نِعْمَ'' بالتاء لأن الفاعل ضمير مستتر يعود على مؤنث وهي ''الرخصة''.

وأما أحكام التمييز المفسِّر للضمير فقد ذكر النحاةُ له شُروطاً:

الأول : أن يكون مؤخراً عنه فلا يجوز تقديمه على بِئْسَ.

الثاني : أن يتقدم على المخصوص فلا يجوز أن يتأخر عنه إلاّ لضرورة خلافاً للكوفيين في تجويزهم تأخيره عنه أمّا تأخيره عن الفعل فواجب مطلقاً.

---

(١) شرح الأشموني على الألفية: ٣٣/٣، شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٥/٢، السميع: ٣٣/٥.

(٢) عبد الله بن أحمد الأموي: من كتبه ''شرح الإيضاح'' كشف الظنون: ٢١٢.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل: ٢٦٨/١.

الثالث : أن يكون مطابقاً للمخصوص في الإفراد والتثنية والجمع، وفي التذكير والتأنيث.

الرابع : أن يكون قابلاً لأل، فلا يكون مثلاً، وغير، وأي، وأفعل التفضيل المضاف، أو المقرون بمن.

الخامس : وهذا التمييز لا يجوز حذفه مطلقاً كما ذكر سيبويه[1]، إلا أن ابن عصفور قد أجاز حذفه مستدلاً بقوله ''فبها ونِعْمَت''[2]، والصحيح ما نص عليه سيبويه لأن الحذف يصيّر الضمير مبهماً ولا مفسِّر له.

وهذا النوع من الفاعل اختلف النحاةُ فيه: فما ذكرناه هو رأي الجمهور أمّا الكسائي فيرى رأياً آخر، وهو: أن فاعل ''بِئْسَ'' لا يكون ضميراً ففي نحو: ''بِئْسَ فاسقاً زيدٌ'' يرى أن زيداً هو الفاعل وأن النكرة منصوبة على الحال، وعلى هذا الرأي يجوز أن تتأخر النكرة، وحينئذٍ لا يكون هناك مخصوص بالذم. أما الفَرّاء فيرى أن الاسم المرفوع هو الفاعل كقول الكسائي إلا أنه يعرب النكرة تمييزاً منقولاً والأصل عنده في المثال المقدّم: ''بِئْسَ الفاسقُ زيدٌ''، ثم نقل إسناد الفعل إلى الاسم الممدوح فصار: بِئْسَ فاسقاً زيدٌ. ويقبح عنده تأخيره لأنه وقع موقع الاسم المرفوع وأفاد افادته[3]. وأرى أن الصحيح ما ذهب إليه الجمهور لوجهين:

أحدهما : قولهم ''بِئْسَ رجلاً هو'' فلو كان فاعلاً لا تصل بالفعل.

ثانيهما : قولهم ''بِئْسَ رجلاً كان زيداً'' فأعملوا فيه الفعل الناسخ، ومعلوم أن الناسخ لا يدخل على الفاعل، وإنما يدخل على المبتدأ فقط.

---

(١) كتاب سيبويه: ١٧٦/٢.

(٢) شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٥/٢.

(٣) شرح الأشموني على الألفية: ٣٣/٣.

وهذا الفاعل هو الضمير المفسَّر بتمييز لا يجوز الفصل بينه وبين تمييزه المفسّر له لشدة احتياجه إليه إلا بالظرف أو الجار والمجرور كقوله تعالى: ''بِئْس للظالمين بدلاً'' وقد جاء شاذاً بغير هما نحو: ''بِئْسَ زيد رجلاً''[1]. كما أن هذا الضمير ''يكون ممنوع الاتباع''[2] فلا يُعْطَفُ عليه، ولا يُبَدَلُ منه، ولا يؤكَّد بضمير ولا غيره لشبهه بضمير الشأن في قصد إبهامه وتعظيماً لمعناه[3]. أما التمييز فيجوز أن يوصف نحو قولك: ''بِئْسَ رجلاً فاسقاً زيد'' ذكره السيوطي نقلاً عن أبي حيان[4] وقد جاز ذلك لأنه لا مانع من أن يتأخر المخصوص في الذكر، فضلاً عن أنه قد يُحذَفُ. وفي الجمع بين التمييز وبين الفاعل الظاهر اختلف النحاة في ذلك إلى أقوال ثلاثة:

الأول : أنه يمتنع ذلك إذ لا إبهام يرفعه التمييز عندما يكون الفاعل ظاهراً، بل ربما أوهم أن الفعل الواحد له فاعلان وذلك أنك إذا رفعت اسم الجنس على أنه فاعل، ثم نصبت النكرة بعد ذلك أذنت بأن الفعل فيه مضمر فاعل لأن النكرة المنصوبة لا تأتي إلا كذلك[5]. وهذا هو رأى سيبويه فلا يصح أن يقال حينئذ: ''بِئْسَ الرَّجُلُ رَجُلاً زيدٌ''.

الثاني : جواز الجمع بينهما، وهو رأى المبرد، والفارسي، واختاره ابن مالك واستدلوا بقول الشاعر:

والتغلبيّون بِئْسَ الفحلُ فَحْلُهُمُ

فحلاً وأمُّهُمُ زلاّءمنطيقُ[6]

فقد جمع الشاعر بين التمييز وهو ''فحلاً'' وبين فاعل بِئْسَ الظاهر وهو ''الفحلُ''.

---

(١) شرح الكافية للرضي الاستربادي: ٣١٦/٢ بتصرف.

(٢) يقول سيبويه: ''وإنما قبح أن يوصف المضمر لأنه مبدوء به قبل الذي يفسره والمضمر المقدم قبل ما يفسره لا يوصف، لأنه إنما ينبغي لهم أن يبينوا ما هو'' كتاب سيبويه: ١٧٨/٢.

(٣) الهمع الهوامع للسيوطي: ٣٤/٥.

(٤) الهمع الهوامع للسيوطي: ٣٤/٥.

(٥) شرح المفصل لابن يعيش: ١٣٢/٧.

(٦) قائله جرير–العيلي: ٧/٤، شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٦/٢، الهمع الهوامع للسيوطي: ٣٥/٥.

ويرى أصحاب هذا الرأي أن التمييز هنا قد أفاد الغلوّ في البيان والتأكيد أمّا أصحابُ الرأي الثاني فقد تـأولوا هذا البيت وأمثالَهُ: فلم يُعربوا النكـرة تمـيـزاً وإنمـا أعربوا ''فحلاً'' حالاً مؤكِّدَةً.

الثالث : أنه يجوز الجمع إن أفاد التمييز، ما لم يفـده الفـاعل نحو ''بِئْسَ الرجل رجلاً فاسقاً زيدٌ'' وهذا هـو رأي ابن عصفور، مستدلاً بقول الشاعر: فنِعْمَ المرءُ مـن رجلٍ تهاميّ''[1]. فجمع بين الفـاعل الظـاهر وهـو ''المرء'' والتمييز وهو ''رجلٍ'' المجرور بمن، لأن التمييز أفاد معنىً زائداً على الفـاعل، وهـو كونـه تهاميّاً. أمّا إذا لم يُفِدْ التمييز معنىً زائداً فـلا يجـوز الجمع.

النوع السادس : أن يكون الفاعل كلمة ''ما'' أو ''من''. وقد اختلف النحـاة فـي حقيقتهما عندما يتصلان بـ ''بِئْسَ'' فمن قال إنهما يعربان فاعلاً، ذُكِرَ لذلك أحد الوجوه التالية:

الأول : أن يكون ''ما'' اسماً[2] معرفةً، تاماً أي غير مفتقـر إلى صلة والفعل بعدها صفة للمخصوص المحـذوف، وتقدير قوله تعالى: ''بِئْسَما اشتروا به أنفسهم'' بِئْسَ الشيء أي شيء اشتروا به أنفسـهم وهـذا مذهـب سيبويه[3].

الثاني : أن يكون ''ما'' موصولة بمعنى الذي، والفعل بعدهـا يكون صلة لها والمخصوص حينئذٍ قد يحذف ويفـهم من سياق الكلام فيكون تقدير الآية الأولى على هـذا الوجه: ''بِئْسَ الذي اشتروا به أنفسهم كفرهم''[4].

---

(١) قائله بحير بن عبد الله القشيري المعروف بابن سقوب، وصدره: تخيره فلم يعدل سواه-شرح المفصل لابن يعيش: ١٣٣/٧، المقرب لابن عصفور: ٩، شرح شواهد شروح الألفية للعيني: ١٤/٤، شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٦/٢.

(٢) ''من'' مثل ''ما'' في كل ما يذكر من أحكام إلا أنها لا تكون معرفة تامة، ولا مصدرية-حاشية الصبان على الأشموني: ٣٥/٣.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ٣٠٤/١.

(٤) الكشاف للزمخشري: ٥٢٣/١.

الثالث : أن يكون ''ما'' مصدرية، فتكون هي وما بعدها في موضع رفع على الفاعلية، وذكر العكبري[1] إن فاعل ''بِئْسَ'' على هذا الوجه لا يكون المصدر المقدّر، وإنما الفاعل حينئذٍ يكون مضمراً لأن المصدر هنا هو المخصوص بالذم، والتمييز محذوف لفهم المعنى والتقدير في الآية الثانية: ''بِئْسَ اشتراءً اشتراؤُهم''. غير أن أبا حيان اعترض على هذا التوجيه حيث قال: ''ويبطل هنا القول عود الضمير'' في به على ''ما''، وما المصدرية لا يعود عليها ضمير لأنها حرف على مذهب الجمهور[2]. والرأي عندي أن ''ما'' إذا كانت مصدرية، لا يكون المصدر المنسبك منها ومن الفعل بعدها فاعلاً ''لبِئْسَ''، لعدم تحقق شروط فاعل ''بِئْسَ'' في هذا المصدر، أمّا اعتراض أبي حيان فيمكن دفعه بأن الضمير في ''به'' يعود على المصدر المنسبك من ''ما والفعل'' وليس على ''ما'' المصدرية فقط.

الرابع : أن يكون ''ما'' نكرة موصوفة في موضع رفع فاعل والمخصوص بالذم محذوف اكتفاءً بـ''ما وصفتها'' فيكون كقوله تعالى: ''بِئْسَ شيءٌ اشتروا به أنفسهم'' ويحذف المخصوص بالذم حينئذ. وهذا أضعف الآراء في وجوه الرفع، لعدم تقدير المخصوص بالذم معه، ولأن الفاعل فيه جاء على غير القياس.

هذه آراء النحاة الذين جعلوا ''ما'' أو ''من'' المتصلتين بـ''بِئْسَ'' في محل رفع على الفاعلية. أما النحاة اللذين يجعلونها في محل نصب ''تمييز'' نكرة موصوفة والجملة بعدها في محل نصب صفة وفاعل ''بِئْسَ'' يكون ضميراً مستتراً مفسراً بما، فيكون تقدير قوله تعالى: ''بِئْسَما اشتروا به أنفسهم أن يكفروا''

---

(١) إملاء ما منّ به الرحمن للعكبري: ١/٣٠.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ١/٣٠٥.

فحسب هذا الرأي هو ''بِئْسَ هو شيئاً اشتروا به أنفسهم'' و''أن يكفروا'' هو المخصوص بالذم وفي هذا الرأي قال الزمخشري[1]: ''ويحتمل على هذا الوجه أن يكون المخصوص بالذم محذوفاً، و''اشتروا'' صفة له، والتقدير: ''بِئْسَ شيئاً اشتروا به أنفسهم'' ''وأن يكفروا'' بدل من ذلك المحذوف فهو في موضع رفع أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره ''هو كفرهم''. وذهب الكسائي في أحد قوليه إلى ما ذهب إليه هؤلاء من أنَّ ''ما'' موضعها نصب على التمييز، وثَمَّ ''ما'' أخرى محذوفة موصولة هي المخصوصة بالذم، والتقدير: ''بِئْسَ شيئاً الذي اشتروا به أنفسهم'' فالجملة بعد ''مَا'' المحذوفة صلة لها، فلا موضع لها من الإعراب، و''أن يكفروا'' على هذا القول بدل من ''الهاء'' في به.

هذه الأنواع الستة من الأسماء هي التي اتفق النحاة على أن يكون فاعل بِئْسَ واحداً منها. وقد أجاز الفراء أن يكون فاعلها نكرة مضافة مثل ''بِئْسَ صاحبُ قومٍ لا صلاح لهم'' ونقل إجازته عن الكوفيين، وخصّه عامة الناس بالضرورة[2]. وشذ كونُ الفاعل اسم إشارة متبوعاً باسم محلى بأل كقول الشاعر[3]:

بِئْسَ هذا الحي حيّاً ناصراً ليت أحياءهم فمن هلك

وشذّ أيضاً كونه علماً كقول أبي وائل[4]: ''شهدت ضغينَ وبِئْسَتْ الصِّفْوَن''. وكذا شذ كونه مضافاً إلى الله عَلَماً أو غيره وإن كانت فيه أل لأنه من الأعلام كقول الشاعر:

بِئْسَ قومُ الله قومٌ طُرقوا فَقَرَوا جارهم لحماً وحِره[5].

وشذ كونه ضميراً غير مفرد أي: مطابقاً للمخصوص بالذم نحو ''أخوك بِئْسا الرجلين''. كما شذ جره بالباء الزائدة رُوِيَ: ''بِئْسَ بهم قوماً'' أي ''بِئْسَ هم قوماً''[6].

ثالثاً : ومن الأحكام التي تختص بها بِئْسَ، وما جرى مجراها، حاجتها إلى اسم مرفوع يذكر بعد الفاعل أو بعد ضمير غالباً ويكون هو المقصود بالذم ويسمى ''المخصوص بالذم''.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ١/١٦٥.

(٢) شرح الأشموني على الألفية: ٣/٢٨.

(٣) الهمع الهوامع للسيوطي: ٥/٣٩، الدرر اللوامع للشنقيطي: ٢/١١٤.

(٤) لسان العرب لابن منظور: مادة (صفن).

(٥) لم يعرف قائله-شرح شواهد شروح الألفية للعيني: ٤/٢١٩، الهمع الهوامع للسيوطي: ٥/٤٠، شرح الأشموني على الألفية: ٣/٢٩.

(٦) الهمع الهوامع للسيوطي: ٥/٤٠.

المخصوص بالذم

لما كان بِئْسَ للذم العام لكل خصلة مذمومة والمستبعد تحقيقه، سلكوا به في الأمر العام طريقي الإجمال والتفصيل لقصد مزيد التقرير، فجاءوا بعد الفصل بما يدل على ''المخصوص بالذم'' حتى يتجه الذم إلى المخصوص به:

أولاً : على سبيل الإجمال لكونه فرداً من الجنس ثم عقبوه بذكر المخصوص حتى يتوجه الذم إليه.

ثانياً : على سبيل التفصيل فيحصل من تقوى الحكم ومزيد التقرير ما يزيل ذلك الاستبعاد[1].

وللاسم الذي يقع مخصوصاً للذم شروط يجب توافرها فيه أهمها:

أولاً : أن يكون معرفة، أو نكرة مختصة بوصف أو بإضافة، أو غيرهما من وسائل التخصيص، وذلك لأن المخصوص ذكر للتخصيص بعد الإبهام فلا يجوز أن نقول ''بِئْسَ الإنسانُ رجل''، إلا أنّ نصِفَهُ بما يرفع الجهل[2].

ثانياً : أن يكون المخصوص أخصَّ من الفاعل، لا مساوياً له، نحو: ''بِئْسَ الفتى رجلٌ من ربيعه''.

ثالثاً : وأن يكون مطابقاً له في المعنى، فيكون مثله تذكيراً، وتأنيثاً، وإفراداً، وتثنية، وجمعاً وأن يكون متأخراً.

رابعاً : أن يكون المخصوص من جنس فاعله، لأنه إذا لم يكن من جنسه لم يكن به تعلق والمخصوص بالذم إما أن يكون مبتدأ وما قبله الخبر فيلزم أن يكون من جنسه ليدل عليه بعمومه، ويكون دخوله تحته بمنزلة الذكر الراجع إليه، وإما أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف فيكون كالتفسير للفاعل، وإذا لم يكن من جنسه لم يصح أن يكون تفسيراً له مثل: بِئْسَ الرجل زيد، بِئْسَ الرجل: الجملة الفعلية خبر مقدم. زيد: مبتدأ مؤخر أو خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو.

خامساً : أن يصلح المخصوص للإخبار به عن الفاعل موصوفاً بالذم بعد بِئْسَ كقولك: بِئْسَ الرجل العاقُّ أباه[3]. وهنا أخبرنا المخصوص بالذم عن الفاعل ''الرجل''. فإذا لم يصح الإخبار بالمخصوص عن الفاعل أُوِّل حتى يصح ذلك ولذا قال النحاة إن قول الله تعالى: ''ساء مثلاً القومُ اللذين كذبوا بآياتنا'' على التقدير ''ساء مثلاً مثلُ القومِ'' فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وذلك أن ساء هاهنا بمعنى ''بِئْسَ'' وفيها ضمير

---

(١) شرح التصريح على التوضيح للسيوطي: ٩٧/٢.

(٢) شرح الكافية للرضي الاستربادي: ٣١٨/٢٧.

(٣) الهمع الهوامع للسيوطي: ٤٢/٥.

فسَّرَه مثلاً، فيلزم أن يكون المخصوص بالذم من الأمثال، وليس القوم بمَثَلٍ فوجب أن يكون هناك مضاف محذوف حتى يكون المخصوص بالذم من جنس المرفوع[1]. وأما قوله تعالى ''بِئْسَ مثلُ القوم اللذين كذبوا بآيات الله'' فقد ذَكَرَ من يجعل الفاعلَ ''مَثَلُ القومِ'' أنّ تقديره ''بِئْسَ مَثَلُ القوم مَثَلُ اللذين كذبوا'' فحذف المضاف وهو المخصوص بالذم ''مثلُ الثانية''، وأقيم المضاف إليه ''اللذين'' مقامه، ويجوز أن يكون ''اللذين'' صفة القوم، والمخصوص بالذم محذوفاً أيضاً أي: بِئْسَ مَثَلُ اللذين كذبوا بآيات الله هو، والضمير عائد إلى ''مَثَلُ اللذين حُمِّلوا التوراة''[2] والذي دعا النحاة والمفسرين إلى هذا التقدير هو التباين بين ''مثلاً'' والقوم في الآية الأولى، وبين ''مَثَلُ القوم'' و''اللذين'' في الآية الثانية ولولا هذا التقدير لما صح أن يكون المخصوص بالذم خبراً للفاعل.

إعراب المخصوص بالذم

للنحاة في إعراب المخصوص بالذم أربعة أوجه:

الوجه الأول : وهو أشهرها. أن يعرب مبتدأ مؤخراً، والجملة الفعلية السابقة عليه في محل رفع خبر مقدم، والرابط بينهما العموم المفهوم من ''أل'' الجنسية أو إعادة المبتدأ بمعناه. وأرى أن هذا الوجه هو الأولى بالقبول.

الوجه الثاني : اعتباره خبراً لمبتدأ محذوف وجوباً، تقديره ''هو'' أو ''هي'' أو غيرهما بما يناسب المعنى ''وهو مذهب الجمهور: ومنهم الجرمي، المبرد، وابن السراج، والفارسي، وغيرهم[3]. أن يكون مبتدأ خبره محذوف وجوباً، فعلى هذا الوجه يكون زيد في قولك ''بِئْسَ الرجلُ زيدٌ'' مبتدأ خبره محذوف تقديره المذموم. قال ابن مالك: هذا الوجه غير صحيح لأن هذا الحذف لازم، ولم نجد خبراً يلزم حذفُهُ إلا ومحلُّهُ مشغول بشيء يسُدُّ مسَدَّ هُ''[4].

الوجه الثالث : أما أبو حيان: فينكر هذا الوجه والوجه السابق أيضاً في الإعراب، حيث قال عند تفسيره لقوله تعالى ''ولبِئْسَ المهاد. البقرة ٢٠٦'': ''وحذف هذا المخصوص بالذم إذ هو متقدم، والتقدير: ولبِئْسَ المهاد جهنم أو هي، وبهذا الحذف يبطل مذهب من زعم أن المخصوص بالذم إذا تأخر كان خبراً لمبتدأ

---

(١) شرح المفصل لابن يعيش: ١٣٨/٧.

(٢) روح المعاني للألوسي: ٩٥/٢٨.

(٣) شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٧/٢.

(٤) شرح الأشموني على الألفية: ٣٧/٣.

محذوف، أو مبتدأ محذوف الخبر، لأنه يلزم من حذفه حذف الجملة بأسوها، من غير أن ينوب عنها شئ لأنها تبقى جملة مقلقة من الجملة السابقة قبلها، إذ ليس لها موضع من الإعراب''[1] وقد كرر أبو حيان ذلك[2] في أكثر من موضع.

الوجه الرابع : أن يعرب المخصوص بالذم بدلاً من الفاعل. وقال البعض في ''زيد'' ''بِئْسَ الرجلُ زيدٌ''[3] إنه بدل اشتمال لأنه خاص والرجل عام. وقال البعض إنه بدل كل من كل[4]. ويؤخذ على هذا الرأي أن المخصوص بالذم قد لا يصلح أن يكون فاعلاً لبِئْسَ[5]. ويقول الدكتور عوض الجهاوي[6]: ''وأرى أن هذا الوجه هو الأولى بالقبول، وحبذا لو أُخِذَ به لسهولته ووضوحه، ولأن الأوجه الثلاثة المتقدمة نلاحظ أن كُلاًّ منها قائم على الحذف والتقدير، أو التقديم والتأخير، أما الوجه الرابع فلا شئ فيه، وما أُخِذَ عليه فهو مردود لأن التابع قد يغتفر فيه ما لا يغتفر في المتبوع.

هذه الأوجه المتقدمة والخلافات المذكورة في إعراب المخصوص بالذم إذا جاء متأخراً عن الفعل والفاعل ''أمّا'' إذا تقدّم فيتعين كونه مبتدأ والجملة الفعلية بعده خبراً. وجاء في شرح التصريح[7]: وأما من قال باسميه ''بِئْسَ الرجل'' يكون المخصوص بالذم هو الخبر. ويرى ابن مالك أنه ''لا يجوز تقديم المخصوص وأن المتقدم ليس هو المخصوص، بل مُشعِرٌ به''[8]. يقول في ألفتيه:

وإن يُقدَّم مُشعِرٌ به كفى كالعلم نِعْمَ المقتني والمقتفي.

يقول ابن مالك: العلم: خبر لمبتدأ محذوف تقديره هو العلم. أو يكون العلم مفعولاً به لفعل محذوف تقديره ألزمْ العلمَ. فيكون من الحذف لا من التقديم. وجعل المخصوص بالمدح هو ''العلم'' المحذوف منعاً للتكرار الذي لا فائدة منه. ألا ترى معي أن هذا التعقيد لا لزوم له؟ وابن مالك لا يجوّز تقديم المخصوص إلا إذا دخل عليه ناسخ، فإذا كان الناسخ ''إنَّ'' وَجَبَ التقديم كقول الشاعر[9]:

إنَّ ابنَ عبد الله نِعْمَ أخو الندى وابنُ العشيرة

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان: ١١٨/٢.
(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ٣٩٣/٢.
(٣) الهمع الهوامع للسيوطي: ٤١/٥.
(٤) حاشية الصبّان على الأشموني: ٣٧/٣.
(٥) حاشية الصبّان على الأشموني: ٣٧/٣.
(٦) مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-العدد ١١-١٤٠١هـ/١٩٨١م-د.عوض الجهاوي.
(٧) شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٧/٢٧.
(٨) شرح الأشموني على الألفية: ٣٨/٣.
(٩) قائله أبو دهبل الجمحي-شرح الأشموني على الألفية: ٣٧/٣، شرح شواهد شروح الألفية للعيني: ٣٥/٤.

حذف المخصوص بالذم في القرآن

وردت بِئْسَ وكما ذكرنا تسعاً وثلاثين مرة في القرآن الكريم واتفق المفسرون على ذكر المخصوص بالذم معها في موضع واحد هو قوله تعالى:

﴿ بِئْسَ ٱلِٱسْمُ ٱلْفُسُوقُ بَعْدَ ٱلْإِيمَٰنِ ﴾(١)

وذكر الجميع أن ''الفسوق'' هو المخصوص بالذم(٢). كما اتفق المفسرون أيضاً على حذف المخصوص بالذم في ثلاثة وثلاثين موضعاً، حَسُنَ حَذْفُهُ لوقوع فاعل بِئْسَ فاصلة ليتناسب مع نهاية الآية السابقة، وقد أحصيت هذه الفواصل بثماني عشرة فاصلة منها:

١. قوله تعالى: ﴿ فَحَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾ فإن نهاية الآية قبلها ﴿ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ﴾(٣).

٢. وقوله: ﴿ لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ ﴾ فإن نهاية الآية قبلها ﴿ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ ﴾(٤).

٣. وقوله: ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾ وبعدها ﴿ لَبِئْسَ مَا كَانُوا۟ يَصْنَعُونَ ﴾ والآية التي قبلها اختتمت بقوله ﴿ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا۟ يَكْتُمُونَ ﴾(٥).

٤. وقوله تعالى: ﴿ وَأَحَلُّوا۟ قَوْمَهُمْ دَارَ ٱلْبَوَارِ ﴾ فإن الآية التي قبلها مختومة بقوله ﴿ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا ۖ وَبِئْسَ ٱلْقَرَارُ ﴾(٦).

ولا شك أن إيقاع المناسبة في الفواصل مؤثر في اعتدال نسق الكلام، وحسن موقعه من النفس تأثيراً عظيماً، ولذلك خرج القرآن عن نظم الكلام لأجلها في مواضع. أما المواضع الخمسة التي اختلف المفسرون في بيان المخصوص بالذم فيها فهي(٧):

الموضع الأول : قوله تعالى: ''لبِئْسَ ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم'' ذكر الزمخشري(٨) ''أن سخط الله عليهم'' هو المخصوص بالذم ومحله الرفع كأنه قيل: لبِئْسَ زادهم إلى الآخرة سخط الله عليهم والمعنى موجب سخط الله عليهم. وقال ابن حيان(٩): ''ولا يصح هذا الإعراب إلاّ على مذهب الفرّاء والفارسي في أن ''ما'' موصولة، أو على مذهب من جعل في بِئْسَ ضميراً

---

(١) سورة الحجرات آية ١١.

(٢) مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية-العدد ١١-١٤٠١هـ/١٩٨١م-د. عوض الجهاوي.

(٣) سورة البقرة آية ٢٠٥.

(٤) سورة آل عمران آية ١٩٦.

(٥) سورة المائدة آية ٦١.

(٦) سورة إبراهيم آية ٢٨.

(٧) مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الاسلامية-العدد ١١-١٤٠١هـ/١٩٨١م-د. عوض الجهاوي.

(٨) الكشاف للزمخشري: ٦٦٧/١.

(٩) البحر المحيط لأبي حيان: ٥٤١/٣.

أخرى محذوفة موصولة هي المخصوص بالذم، والتقدير: ''بِئْسَ شيئاً الذي اشتروا به أنفسهم''[1] ''وأن يكفروا'' على هذا القول بدل من الاسم الموصول المقدر ويجوز أيضاً أن يكون خبراً لمبتدأ محذوف أي: هو كفرهم. ويرى أبو حيان أن المخصوص بالذم هنا محذوف، ''واشتروا'' صفة له، والتقدير: بِئْسَ شيئاً شئ اشتروا به أنفسهم، وأن يكفروا بدل من ذلك المحذوف فهو في محل رفع.

هذه هي المواضع التي وردت في القرآن الكريم، واختلف المفسرون في بيان المخصوص بالذم فيها، ومن قبل أوضحنا أنهم اتفقوا على ذكر المخصوص بالذم في موضع واحد، كما اتفقوا على حذف المخصوص بالذم في ثلاثةٍ وثلاثين موضعاً.

الأفعال التي تجري مجرى بئس

قلنا أن لكل فعلٍ معنىً خاصاً يؤديه، من غير أن يدل على معنىً آخر كالذم أو التعجب، زيادة على معناه الخاص. ولكن النحاة ذكروا أنه من الممكن أن يدل الفعل على معناه الخاص مع الزيادة في الدلالة على معنى عام هو الذم وذلك من كل فعل ثلاثي متصرف، تام، مثبت قابل للتفاوت والتفاضل، ليس الوصف من على وزن أفعل فعلاء، صالح للتعجب منه، فإنه يجوز استعماله على فَعُل بضم العين إما بالأصالة ''كظَرُفَ، وَ شَرُفَ'' أو بالتحويل بأن يكون في الأصل مفتوح العين كضَرَبَ، أو مكسورها كَفَهِمَ، بضم عينه فيهما، وإنمّا حُوِّلَتْ هذه الأفعال لتلحق بالغرائز، ولتصير قاصرة كبِئْسَ. والأفعال التي تستعمل هذا الاستعمال تعامل معاملة بِئْسَ، في جميع ما تقدم لها من الأحكام النحوية، فتحتاج إلى فاعل من نوع فاعلها، وإلى مخصوص بالذم، ويسري على فاعلها وتمييزها وكذلك مخصوصها كل الأحكام التي تسري حين يكون الفاعل لبِئْسَ، فإذا قلت في الذم: لَؤُمَ غلامُ الرجلِ زيدٌ فكأنك قلت: بِئْسَ غلامُ الرجلِ زيدٌ. ومن الأفعال التي تم تحويلها ''ساء'' فإنه في الأصل سَوَأَ بالفتح وهي من السّوء ضد السرور، ومن ساءهُ الأمرُ يسوؤه إذا أحزنه فهو متعدٍّ متصرف، فحُوِّل إلى فَعُلَ بالضم، فصار قاصراً ''أي: لازماً'' ثم ضُمِّنَ معنى بِئْسَ فصار جامداً[2]. ويذكر الأشموني[3] في شرحه أن ابن مالك قد نَصّ على ساء بقوله: ''واُجعل كبِئْسَ ساء، واجعل فعلاً من ذي ثلاثة، كنِعْمَ مسجلاً'' لخفاء التحويل فيه، ولذا غاب عن بعض النحاة أن ساء فعلاً محوّلاً عن فَعُلَ. وهو من أكثر الأفعال وروداً في القرآن الكريم-من بين الأفعال التي تجري مجرى بِئْسَ في الذم-فقد وردت في مواضع كثيرة من القرآن وإليك بيانها قال تعالى:

---

(١) البحر المحيط لأبي حيان: ٣٠٤/١.

(٢) شرح التصريح على التوضيح للأزهري: ٩٨/٢.

(٣) شرح الأشموني على الألفية: ٣٩/٣.

١. ﴿ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(١).

٢. ﴿ وَمَن يَكُنِ ٱلشَّيْطَٰنُ لَهُۥ قَرِينًا فَسَآءَ قَرِينًا ﴾(٢).

٣. ﴿ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَآءَ مَا يَعْمَلُونَ ﴾(٣).

٤. ﴿ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ ۚ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ ﴾(٤).

٥. ﴿ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَآئِهِمْ ۖ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(٥).

٦. ﴿ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا ﴾(٦).

٧. ﴿ ٱشْتَرَوْا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾(٧).

٨. ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ﴾(٨).

٩. ﴿ أَلَا سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(٩).

١٠. ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴾(١٠).

١١. ﴿ خَٰلِدِينَ فِيهِ ۖ وَسَآءَ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ حِمْلًا ﴾(١١).

١٢. ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾(١٢).

١٣. ﴿ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾(١٣).

١٤. ﴿ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١٤).

١٥. ﴿ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَآءَ صَبَاحُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴾(١٥).

١٦. ﴿ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾(١٦).

---

(١) سورة النساء آية ٢٢.
(٢) سورة النساء آية ٣٨.
(٣) سورة المائدة آية ٦٦.
(٤) سورة الأنعام آية ٣١.
(٥) سورة الأنعام آية ١٣٦.
(٦) سورة الأعراف آية ١٧٧.
(٧) سورة التوبة آية ٩.
(٨) سورة النحل آية ٢٥.
(٩) سورة النحل آية ٥٩.
(١٠) سورة الإسراء آية ٣٢.
(١١) سورة طه آية ١٠١.
(١٢) سورة الشعراء آية ١٧٣.
(١٣) سورة النمل آية ٥٨.
(١٤) سورة العنكبوت آية ٤.
(١٥) سورة الصافات آية ١٧٧.
(١٦) سورة الجاثية آية ٢١.

١٧. ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(١).

١٨. ﴿ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾(٢).

١٩. ﴿ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(٣).

٢٠. ﴿ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(٤).

٢١. ﴿ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(٥).

٢٢. ﴿ إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴾(٦).

٢٣. ﴿ وَأَعْتَدْنَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴾(٧).

بعد حصر هذه الآيات يتضح أن ''ساء'' وردت في القرآن ثلاثاً وعشرين مرة منها إحدى عشرة آيةً مدنية، واثنتا عشرة مكّيّةً، وأن خمساً منها جاء الفعل فيها مؤنثاً وإن كان المميز للضمير فيها مذكراً وذلك لتأنيث المخصوص وهذه الخمسة هي: ''ساءت مصيراً'' ثلاث مرات، ''وساءت مرتفقاً'' و''ساءت مستقراً ومقاماً'': فالفاعل في كل منها ضمير مستتر مفسَّر بالتمييز المنصوب بعد الفعل أما المخصوص بالذم فهو في كل منها وذلك للعلم به وهو: النار أو جهنم حسب التقدير فيها. وأما الباقي وهو ثماني عشرة آية فإن فاعلَ ساء فيها واحدٌ من ثلاثة:

النوع الأول : اسمٌ مضاف إلى ما فيه أل وهو ثلاث آيات: آيتا الشعراء والنَّملْ ''فساء مطر المنذرين'' وآية الصافات ''فساء صباح المنذرين'' والآية الأخيرة قد قرأها أبي مسعود: ''فبئسَ صباح المنذَرين''(٨).

النوع الثاني : ضميرٌ مستترٌ مُفَسَّرٌ بتمييز وهو خمس آيات: ''وساء سبيلاً'' في موضعين، ثم ''فساء قريناً''، ''وساء مثلاً القوم''، ''وساء لهم يوم القيامة حملاً''.

النوع الثالث : ''ما'' على الخلاف المذكور بين المفسرين فيها، والذي فَصَّلْنَا القولَ فيه من قبل. وقد وردت ''ما'' في عشر آيات: ''ساء ما كانوا يعملون'' في ثلاثة مواضع، ''ساء ما يعملون'' في موضع واحد، ''ساء ما يحكمون'' في أربعة مواضع، وقد سبقت بأداة العرض ''ألاَ'' في آية واحدة من هذه المواضع وهي آية النحل ٥٩، ثم ''ألاَ ساء ما يزرون'' في موضعين.

---

(١) سورة المنافقون آية ٢.
(٢) سورة المنافقون آية ٢.
(٣) سورة النساء آية ٩٧.
(٤) سورة النساء آية ١١٥.
(٥) سورة الكهف آية ٢٩.
(٦) سورة الفرقان آية ٦٦.
(٧) سورة الفتح آية ٦.
(٨) الكشاف للزمخشري: ١٨/٤، البحر المحيط لأبي حيان: ٢٨٠/٧.

أما المخصوص بالذم فهو محذوف فيها كلها باتفاق بين المفسرين إلا في آية الأعراف: ''ساء مثلا القوم'' فقد ذكر بعض المفسرين[1] أن المخصوص بالذم هو ''القوم'' بعد أن حذف المضاف وهو ''مثل'' وأقيم القوم مقامه، وذكر أبو حيان[2] جواز أن يكون المخصوص بالذم هو: ''اللذين كذبوا'' على حذف مضاف أيضا ويكون التقدير ''مثل اللذين كذبوا''، ولكن اللذين في محل رفع حيث أقيمت مقام المضاف المحذوف. ''وقد قرأ الحسن، وعيسى بن عمرو، والأعمش هذه الآية ''برفع مثل'' وجر ''القوم'' فتكون: ساء مثل القوم، واختلف على الجحدري، فقيل: كقراءة الأعمش، وقيل ''مثل'' بكسر الميم، وسكون التاء، وضم اللام مضافا إلى القوم[3]''. والأحسن في قراءة ''مثل'' بالرفع أن يكتفى به، ويجعل من باب التعجب أي: ما أسوأ مثل القوم. وقد اتفق المفسرون أن ساء في كل ما تقدم بمعنى بئس إلا في قوله: ''ساء ما يعملون''، وقوله ''ساء ما كانوا يعملون'' فقد ذكر الزمخشري[4] أن ساء في هذه المواضع بمعنى التعجب كأنه قيل: ما أسوأ عملهم، ولم يذكر فيها غير هذا الوجه لكن بقية المفسرين يرون أنها هنا أيضا بمعنى بئس. ومن الأفعال التي تجري مجرى بئس ''كبر'' فقد ورد في القرآن الكريم في ستة مواضع هي:

١. ﴿وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ﴾[5].

٢. ﴿إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِي وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾[6].

٣. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا﴾[7].

٤. ﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾[8].

٥. ﴿كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾[9].

٦. ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا﴾[10].

أما الآيتان الأولى والثانية فلم يذكر أحد من المفسرين أنهما ضرب من الذم أو التعجب واكتفوا بتفسير المعنى وبيانه أنه عظم على النبي ﷺ إعراض قومه عن رسالته ودينه، وشق على قومه أن يدعوهم أحد من أنباء قومهم ولم يتطرق هؤلاء المفسرين إلى الذم والتعجب.

---

(١) إملاء ما من به الرحمن للعكبري: ١٦٧/١. (٢) البحر المحيط لأبي حيان: ٤٢٦/٤.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ٤٢٦/٤-وقد ذكر أبو جعفر النحاس أن الجحدري لم يقرأ إلا بقراءة الأعمش في هذه الآية، انظر إعراب القرآن لعباس حسن: ٦٥٢/١.

(٤) الكشاف للزمخشري: ٦٥١/١، ٥٣٩/٤. (٥) سورة الأنعام آية ٣٥.

(٦) سورة يونس آية ٧١. (٧) سورة غافر آية ٣٥.

(٨) سورة الشورى آية ١٣. (٩) سورة الصف آية ٣.

(١٠) سورة الكهف آية ٥.

أما الآيات الأربع الباقية فقد ذكر الزمخشري[1] أن كبر فيها جميعا بمعنى التعجب، ولا تفيد ذما ''وإن كنت أرى أن الذم واضح جلي لأن ما يبغض الله ويبغض المؤمنون هو عمل مذموم مكروه لأنه وبالتأكيد عمل غير صالح''. وكذلك يتبين الذم في الآية الرابعة أيضا لأن الدعوة إلى الله التي استعظمها المشركون إنما هي إعراض عن الحق والخير والصلاح وهي صفات مذموم أصحابها ملعونون أينما ثقفوا. وكذلك الآية الخامسة والسادسة حيث يطل الذم برأسه إلى جانب التعجب والاستهجان وهذا هو إعجاز القرآن العظيم. وقال أبو حيان في آية غافر[2]، فذكر أنها ضرب من التعجب والاستعظام لجدالهم، إلا أنه أخذ على الزمخشري توجيهه الإعرابي لهذه الآية: ''يحتمل أن يكون ''اللذين يجادلون'' مبتدأ، و''بغير سلطان أتاهم'' خبرا، وفاعل كبر قوله: ''كذلك'' أي: كبر مقتا مثل ذلك الجدال ''ويطبع الله'' كلام مستأنف، ومن قال: كبر مقتا عند الله جدالهم، فقد حذف الفاعل، والفاعل لا يصح حذفه[3] وقد رد عليه أبو حيان هذا التوجيه بقوله: ''وهذا الذي أجازه-يعني الزمخشري-لا يجوز أن يكون مثله في كلام فصيح، فكيف في كلام الله؟ لأن فيه تفكيك الكلام بعضه من بعض، وهو خلاف المذهب الصحيح حيث جعل الكاف-في قوله: ''كذلك-اسما فاعلا لكبر، وذلك لا يجوز على مذهب البصريين إلا الأخفش، ولم يثبت في كلام العرب، أعني نثرها: جاء كزيد تريد مثل زيد''[4]. والأولى في إعراب هذه الآية كما أرى ويراه قبلي الأستاذ أحمد بن منير الإسكندري وكما جاء في الانتصاف ''قال محمود، يعني الزمخشري: ''اللذين يجادلون بدل من من هو مسرف، لأن المراد كل مسرف، وجاز إبداله على معنى من، لا على لفظها. قال: فإن قلت ما فاعل كبر؟ وأجاب بأنه ضمير من هو مسرف، فحمل البدل على المعنى، والضمير على اللفظ، وليس بدع''. يقول أحمد الإسكندري[5]: فيما ذكره معاملة لفظ من بعد معاملة معناها، وهذا مما قدمت أن أهل العربية يستغربونه، والأولى أن يجتنب في إعراب القرآن، لأن فيه إبهام بعد إيضاح. والمعهود في قراءة البلاغة عكس ذلك، والصواب أن يجعل في قوله ''كبر'' راجعا إلى مصدر الفعل المتقدم، وهو قوله ''يجادلون'' تقديره: كبر جدالهم مقتا، ويجعل ''اللذين'' مبتدأ، على تأويل حذف المضاف، تقديره: جدال اللذين يجادلون في آيات الله، والضمير في قوله ''كبر مقتا'' عائد إلى الجدال المحذوف، والجملة مبتدأ وخبر.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٧٠٢/٢، ١٦٧/٣، ٢١٥/٣، ٥٢٣/٤.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ٤٦٤/٧.

(٣) الكشاف للزمخشري: ١٦٧/٣.

(٤) البحر المحيط لأبي حيان: ٤٦٤/٧.

(٥) حاشية الشيخ ''أحمد بن منير الإسكندري المسماة بالانتصاف'' على الكشاف.

وعلى هذا يكون إعراب الجملة كالآتي:

اللذين : اسم موصول مبني في محل رفع مبتدأ.

يجادلون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة. **الواو**: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل والجملة الفعلية ''يجادلون'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

في آيات الله : جار ومجرور ومضاف إليه متعلق بالفعل ''يجادلون''.

بغير : جار ومجرور متعلق بمحذوف حال لـ''الواو من يجادلون''.

سلطان : مضاف إليه.

أتاهم : فعل وفاعل ومفعول به في محل جر صفة لسلطان.

كبر : فعل ماض. الفاعل[1]: ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى ''جدالهم'' أي مصدر ''يجادلون'' المفهوم من السياق.

مقتا : تمييز منصوب وجملة كبر مقتا في محل رفع خبر لـ''اللذين''.

كذلك : جار ومجرور متعلق بمحذوف مفعول مطلق لـ''يطبع''.

يطبع : فعل وفاعل.

أما الآيات الثلاثة الباقية فقد ذكر ابن حيان[2] أن ''كبر'' فيها تفيد الذم وأن فاعلها ضمير مفسر بالتمييز في آيتي الكهف، والصف وهو ''كلمة'' في الأولى، و''مقتا'' في الثانية، ومفسر بـ''ما'' في آية الشورى. وأما المخصوص بالذم في آية الكهف فهو محذوف وأختلف في تقديره فقيل: إن جملة ''تخرج'' في محل نصب صفة للتمييز والتقدير حينئذ: كبرت كلمة[3] خارجة من أفواههم تلك المقالة التي فاهوا بها-وهي مقالتهم اتخذ الله ولدا-وقيل: إن جملة ''تخرج'' في محل رفع صفة للمخصوص بالذم المحذوف والتقدير: كبرت كلمة تخرج من أفواههم. وأما المخصوص بالذم في آية الصف فهو المصدر من قوله ''أن تقولوا'' والتقدير: ''بئس مقتا قولهم كذا''. وقد سكت أبو حيان عن بيان المخصوص بالذم في آية الشورى[4] والرأي عندي أن المخصوص بالذم محذوف وتقديره: ''إقامة الدين والتوحيد[5]'' وهو مفهوم من المصدر المؤول في قوله: ''أن أقيموا الدين'' أي إقامة الدين.

---

(١) ويجوز أن يكون الفاعل محذوفا دل عليه السياق أي كبر قولهم مقتا-إعراب القرآن لعباس حسن: ٢٤٥/١٢.

(٢) البحر المحيط لأبي حيان: ٩٧/٦، ٢٦١/٨.

(٣) والمراد بالكلمة المقالة من باب إطلاق الجزء مراد به الكل ، وكما يقال فلان ألقى علينا كلمة يراد بها الخطبة.

(٤) مجلة كلية اللغة العربية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية-العدد ١١-١٤٠١هـ/١٩٨١م-د.عوض الجهاوي.

(٥) الكشاف للزمخشري: ٢١٥/٤.

الدعاء الذي يراد به الذم

سبق أن شرحت معنى الدعاء كما ورد في معاجم اللغة. والدعاء ينصرف للخير والمدح كما ينصرف للشر والذم، وقد يدرك ''كما ذكرنا من قبل'' باستعمال الأداتين: ''اللام'' في الخبر مثل ''لله''، و''على'' في الشر والذم مثل ''عليه اللعنة''. وقد تبدأ جمل الدعاء بالفعل مثل ''عدمت خيرا'' ولقيت شرا، وقاتلك الله، ولعنك الله يا إبليس وغير ذلك. وقد تبدأ بالاسم مثل ''لعنة الله على إبليس''. وقد تبدأ جملة الدعاء باللام مثل: لك الويل قال الفرزدق:

لك الويل لا تقتل عطية إنه أبوك ولكن غير متبدل

وقد ترد عبارة الدعاء بالشر مصدرة بـ''لا'' النافية بعدها فعل ماض مثل ''لا عدمت الفقر''. وقد ترد العبارة بالفعل المضارع بعد لا مثل ''لا ينزع الله عنك الشدة''. وقد ترد جملة الدعاء مصدرة بفعل ماض مثل قال تعالى: ''تبت يدا أبي لهب وتب''''قاتل الله الشر'' أو فعل مضارع مثل ''يلعن الله''. وقد ترد جملة الدعاء مصدرة بالمصدر مثل ''دمارا ومهلكة'' إذا دعا على قوم بسيول تجرفهم وتهلك الزرع والضرع. و قال تعالى ''فتعسا لهم'' وقال تعالى: ألا بعدا لعاد قوم هود''. قال سبحانه: ''فسحقا لأصحاب السعير''''واللذين كفروا فتعسا لهم وأضل أعمالهم''. وقد ترد جملة الدعاء مصدرة بفعل أمر مثل قوله تعالى: ''ربنا أطمس على أموالهم''. وما يهمنا هو دلالة الدعاء إلى معنى إضافي هو الذم فالآية الكريمة ''قاتلهم الله أنى يؤفكون'' لها دلالة الذم إلى جانب المعنى الأصلي وهو الدعاء على الكافرين بالقتل والفناء وقد ورد أسلوب الذم هذا إلى جانب الدعاء باستعمال ألفاظ محددة مثل: ''قتل، قاتل، خاب، لعن، وألعن، ولعن، وغل، ولعنة، وغضب، وبعدا، وويل''. وقد ورد لفظ قتل في ثلاثة مواضع في القرآن الحكيم له دلالة الذم إلى جانب الدعاء.

قال تعالى:

١. ﴿ قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ ﴾(١).

٢. ﴿ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾(٢).

٣. ﴿ فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ﴾(٣).

---

(١) سورة الذاريات آية ١٠. (٣) سورة المدثر آية ١٩.

(٣) سورة المدثر آية ٢٠.

كما ورد لفظ ''قاتلهم'' في موضعين له دلالة الذم إلى جانب الدعاء أيضا.

قال تعالى:

١. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(١).

٢. ﴿قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾(٢).

كما ورد لفظ ''اقتلوهم'' في أربعة مواضع له دلالة الذم والدعوة إلى قتل المشركين دليل غضب الله عليهم، وأمر للمؤمنين أن يعاملوهم بالمثل وهو إلى جانب ذلك بيان لفظاعة أعمالهم المنكرة وما اقترفت أيديهم من آثام بحق الرسول وصحبه والدعوة الجديدة، وهو تشجيع وتهييج وأمر لقتالهم ومحاربتهم في كل مكان إلا المسجد الحرام.

قال تعالى :

١. ﴿وَٱقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾(٣).

٢. ﴿فَإِن قَٰتَلُوكُمْ فَٱقْتُلُوهُمْ كَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٤).

٣. ﴿فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾(٥).

٤. ﴿فَخُذُوهُمْ وَٱقْتُلُوهُمْ﴾(٦).

٥. ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾(٧).

كما ورد الذم بلفظة ''فقاتلوا'' قال تعالى:

١. ﴿فَقَٰتِلُوٓا۟ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ ۙ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ﴾(٨).

٢. ﴿قَٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ ٱللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ﴾(٩).

٣. ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ﴾(١٠).

---

(١) سورة التوبة آية ٣٠.
(٢) سورة البقرة آية ١٩١.
(٣) سورة المنافقون آية ٤.
(٤) سورة البقرة آية ١٩١.
(٥) سورة النساء آية ٨٩.
(٦) سورة النساء آية ٩١.
(٧) سورة التوبة آية ٥.
(٨) سورة التوبة آية ١٢.
(٩) سورة التوبة آية ١٤.
(١٠) سورة التوبة آية ٢٩.

خاب

وقد ورد لفظ ''خاب'' له دلالة الذم إلى جانب الدعاء في آية واحدة فقط كما أرى وهي قوله تعالى:

١. ﴿وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾(١).

أما الآيات الثلاثة الباقية فقد دلت على الذم فقط وأكدت الذم بحرف ''قد'' التي سبقت الفعل الماضي فجاءت للتأكيد والتحقيق الذي لا مفر منه ولا مناص. قال تعالى:

٢. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ﴾(٢).

٣. ﴿وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا﴾(٣).

٤. ﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٤).

الدعاء واللعن

جاء في لسان العرب اللعن: الإبعاد والطرد من الخير، وقيل: الطرد والإبعاد من الله، ومن الخلق السب والدعاء، واللعنة الاسم، والجمع لعان ولعنات. ولعنه يلعنه لعنا، طرده وأبعده. والرجل اللعين: لا يزال منتبذا عن الناس. وكل من لعنه الله: فقد أبعده من رحمته واستحق العذاب فصار هالكا. واللعن: التعذيب، ومن أبعده الله لم تلحقه رحمته وخلد في العذاب. واللعين: الشيطان، صفة غالبة عليه لأنه طرد من السماء وقيل: لأنه أبعد من رحمة الله. واللعنة: الدعاء عليه. وحكى اللحياني: أصابته لعنة من السماء ولعنة. وتعبيرا عن غضب الله على الكافرين والمكذبين وإبليس، فقد دعا عليهم باللعنة والطرد من رحمته، وتوعدهم بالعذاب الشديد قال تعالى:

١. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ﴾(٥).

٢. ﴿كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا﴾(٦).

٣. ﴿أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَمَا لَعَنَّا أَصْحَابَ السَّبْتِ﴾(٧).

٤. ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾(٨).

---

(١) سورة ابراهيم آية ١٥.
(٢) سورة طه آية ١١١.
(٣) سورة طه آية ٦١.
(٤) سورة الشمس آية ١٠.
(٥) سورة الأحزاب آية ٦٤.
(٦) سورة الأعراف آية ٣٨.
(٧) سورة النساء آية ٤٧.
(٨) سورة المائدة آية ١٣.

٥. ﴿ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾(١).

٦. ﴿لَّعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا﴾(٢).

٧. ﴿لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ ﴾(٣).

٨. ﴿ وَلَٰكِن لَّعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٤).

٩. ﴿وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴾(٥).

١٠. ﴿ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ ﴾(٦).

كما ورد فعل الأمر ''ألعن'' للدلالة على الدعاء والذم في آية واحدة قال تعالى:

١. ﴿وَالْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾(٧).

كما ورد لفظ ''لعن'' الفعل الماضي المبني للمجهول للدلالة على الدعاء والذم في آيتين. قال تعالى:

١. ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴾(٨).

٢. ﴿غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا ﴾(٩).

كما ورد الدعاء والذم بلفظ المصدر ''لعنة'' في مواضع عدة. قال تعالى:

١. ﴿فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴾(١٠).

٢. ﴿ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾(١١).

٣. ﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾(١٢).

---

(١) سورة النساء آية ٩٣.
(٢) سورة البقرةآية ٨٨.
(٣) سورة النساء آية ١١٨.
(٤) سورة النساء آية ٤٦.
(٥) سورة التوبة آية ٦٨.
(٦) سورة الأحزاب آية ٥٧.
(٧) سورة الأحزاب ٦٨.
(٨) سورة المائدة آية ٧٨.
(٩) سورة المائدة آية ٦٤.
(١٠) سورة البقرةآية ٨٩.
(١١) سورة ال عمران آية ٦١.
(١٢) سورة هود آية ١٨.

٤. ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(١).

٥. ﴿ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾(٢).

٦. ﴿ وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾(٣).

كما ورد الدعاء والذم بتصدر حرف الجر ''ل'' أو ''على'' في آيات معدودة. قال تعالى:

١. ﴿ أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ ﴾(٤).

٢. ﴿ أُولَٰئِكَ جَزَاؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللَّهِ ﴾(٥).

٣. ﴿ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾(٦).

وفي هذه الآية دعاء وذم للمفسدين في الأرض بأن يسوئ الله آخرتهم بقوله سبحانه ''ولهم سوء الدار''.

٤. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(٧).

٥. ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ﴾(٨).

٦. ﴿ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ﴾(٩).

٧. ﴿ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ ﴾(١٠).

كما ورد لفظ ''يلعن'' المضارع للدلالة على الذم إلى جانب الدعاء قال تعالى:

١. ﴿ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾(١١).

كما ورد اللعن بلفظ المفعول قال تعالى:

٢. ﴿ مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَقْتِيلًا ﴾(١٢).

---

(١) سورة هود آية ٦٠.
(٢) سورة النورآية ٧.
(٣) سورة هود آية ٩٩.
(٤) سورة البقرة آية ٦١.
(٥) سورة ال عمران آية ٨٧.
(٦) سورة الرعد آية ٢٥.
(٧) سورة ص ٧٨.
(٨) سورة الحجر آية ٣٥.
(٩) سورة غافر آية ٥٢.
(١٠) سورة التوبة آية ٩٨.
(١١) سورة البقرة آية ١٥٩.
(١٢) سورة الأحزاب آية ٦١.

كما ورد الدعاء والذم باستعمال لفظ ''غضب'' ويكون مقترنا باللعنة قال تعالى:

١. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ﴾(١).

٢. ﴿وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا﴾(٢).

وقد ورد الدعاء مع دلالة الذم بتصدر حرف الجر ''على'' مع لفظة ''غضب'' المصدر قال تعالى:

١. ﴿فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾(٣).

٢. ﴿وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾(٤).

٣. ﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾(٥).

الدعاء والذم بـ''بعدا''

جاء الدعاء باستعمال المصدر ''بعدا'' وله دلالة الذم إلى جانب الدعاء، ونلاحظ أن المصدر قد سبق بأداة العرض ''ألا'' في ثلاثة مواضع. قال تعالى:

١. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ﴾(٦).

٢. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ﴾(٧).

٣. ﴿أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ﴾(٨).

كما ورد لفظ ''فبعدا'' مرتين و''بعدا'' مرة واحدة. قال تعالى:

١. ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(٩).

٢. ﴿فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١٠).

٣. ﴿بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾(١١).

---

(١) سورة الفتح آية ٦.
(٢) سورة النساءآية ٩٣.
(٣) سورة النحل آية ١٠٦.
(٤) سورة الشورى آية ١٦.
(٥) سورة النور آية ٩.
(٦) سورة هود آية ٩٥.
(٧) سورة هود آية ٦٠.
(٨) سورة هود آية ٦٨.
(٩) سورة المؤمنون آية ٤١.
(١٠) سورة المؤمنون آية ٤٤.
(١١) سورة هود آية ٤٤.

الدعاء والذم بـ(ويل)

لقد اشبع كتاب المعاجم هذه الكلمة بحثا وتمحيصا[1] وتوضيحا واحتلت من لسان العرب صفحة أو تزيد نقتطف منها ما يؤدي غرض البحث وإليك بعض ما ورد بشأنها:

الويل: معناه الحزن والهلاك والمشقة من العذاب، وكل من وقع في هلكة دعا بالويل ومعنى النداء فيه: يا حزني ويا هلاكي، ويا عذابي احضر فهذا وقتك وأوانك، فكأنه نادى الويل أن يحضره لما عرض له من الأمر الفظيع وهو الندم على ترك السجود لآدم عليه السلام، وقد يرد الويل بمعنى تعجب، ابن سيده: وويل كلمة عذاب. والويل: كلمة تقال لكل من وقع في عذاب أو هلكة. وقال: وأصل الويل في اللعنة العذاب والهلاك. والويل: الهلاك يدعى به لمن وقع في هلكة يستحقها. فإن وقع في هلكة لا يستحقها نقول: ويح ''ويكون فيه معنى الترحم. يقول ﷺ: ''ويح ابن سمية تقتله الفئة الباغية''. وويل: واد في جهنم وقيل باب من أبوابها، وفي الحديث عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: الويل واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا لو أرسلت فيه الجبال لماعت من حره قبل أن تبلغ قعره. وروى المنذري عن أبي طالب النحوي أنه قال: قولهم ويله كان أصلها وي وصلت بـ''له''، ومعنى وي حزن، ومنه قولهم وايه، معناه حزن أخرج مخرج الندبة، قال: والعول البكاء في قوله ويله وعوله، ونصبا على الذم والدعاء، وقال ابن الأنباري: ويل الشيطان وعوله، وفي الويل ثلاثة أقوال:

١. قال ابن مسعود : الويل واد في جهنم.
٢. وقال الكلبي : الويل شدة من العذاب.
٣. وقال الفراء : الأصل وي للشيطان أي حزن للشيطان من قولهم وي لم فعلت كذا وكذا؟

يفهم من هذا كله أن ''ويل'' كلمة تأتي للدعاء بالويل والثبور على كل من يغضب الله عليه أكان إبليس أو الكافرين المكذبين والمنافقين أو من قست قلوبهم، وتفيد إلى جانب الدعاء معنى إضافيا هو الذم. قال تعالى:

١. ﴿ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ﴾[2].

٢. ﴿ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ ﴾[3].

---

(١) لسان العرب: باب ويل.

(٢) سورة البقرة آية ٧٩.

(٣) سورة البقرة آية ٧٩.

٣. ﴿وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ﴾(١).

٤. ﴿وَوَيْلٌ لِّلْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(٢).

٥. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن مَّشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾(٣).

٦. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ﴾(٤).

٧. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ اللَّهِ﴾(٥).

٨. ﴿فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ وَاسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ﴾(٦).

٩. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾(٧).

١٠. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ﴾(٨).

١١. ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مِن يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾(٩).

١٢. ﴿فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(١٠).

١٣. ﴿وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ﴾(١١).

١٤. ﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١ الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ﴾(١٢).

١٥. ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾(١٣).

١٦. ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝٤﴾(١٤).

هذا وتأتي كلمة ''يا ويلنا، يا ويلتنا، ويا ويلتي'' للتعجب والدهشة مثل قوله سبحانه عن سارة

١. ﴿قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ أَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ﴾(١٥).

---

(١) سورة البقرة آية ٧٩.
(٢) سورة مريم آية ٣٧.
(٣) سورة الزمر آية ٢٢.
(٤) سورة ص آية ٢٧.
(٥) سورة الزمر آية ٢٢.
(٦) سورة فصلت آية ٦.
(٧) سورة الزخرف آية ٦٥.
(٨) سورة الجاثية آية ٦٨.
(٩) سورة الذاريات آية ٦٠.
(١٠) سورة الطور آية ١١.
(١١) سورة المطففين.
(١٢) سورة المطففين آية ١.
(١٣) سورة الهمزة آية ١.
(١٤) سورة الماعون آية ٤.
(١٥) سورة هود آية ٧٢.

وقد تأتي للحسر والندم والضعف وهي أمور تحمل في ثناياها الذم أيضا. قال تعالى:

١. ﴿ قَالَ يَٰوَيۡلَتَىٰٓ أَعَجَزۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِثۡلَ هَٰذَا ٱلۡغُرَابِ ﴾(١).

٢. ﴿ يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا ﴾(٢).

٣. ﴿وَيَقُولُونَ يَٰوَيۡلَتَنَا مَالِ هَٰذَا ٱلۡكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحۡصَىٰهَا﴾(٣).

٤. ﴿قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ﴾(٤).

٥. ﴿ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴾(٥).

٦. ﴿ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا ﴾(٦).

٧. ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرۡقَدِنَا ﴾(٧).

٨. ﴿ وَقَالُواْ يَٰوَيۡلَنَا هَٰذَا يَوۡمُ ٱلدِّينِ ﴾(٨).

٩. ﴿ قَالُواْ يَٰوَيۡلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ ﴾(٩).

وقد يأتي الذم بكلمة ''ويلك'' وتدل إلى جانب ذلك على التأنيب والتوبيخ وتشجيع على التراجع عن الباطل والعودة إلى الحق قال تعالى:

١. ﴿لَا تَفۡتَرُواْ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبٗا فَيُسۡحِتَكُم بِعَذَابٖۖ ﴾(١٠).

٢. ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ وَيۡلَكُمۡ ثَوَابُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لِّمَنۡ ءَامَنَ﴾(١١).

٣. ﴿وَهُمَا يَسۡتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيۡلَكَ ءَامِنۡ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ﴾(١٢).

---

(١) سورة المائدة آية ٣١.
(٢) سورة الكهف آية ٤٩.
(٣) سورة الفرقان آية ٢٨.
(٤) سورة الأنبياء آية ١٤.
(٥) سورة الأنبياء آية ٤٦.
(٦) سورة الأنبياء آية ٩٧.
(٧) سورة يس آية ٥٢.
(٨) سورة الصافات آية ٢٠.
(٩) سورة القلم آية ٣١.
(١٠) سورة اطه آية ٦١.
(١١) سورة القصص ٨٠.
(١٢) سورة الأحقاف آية ١٧.

الذم بـ"حبط"

حبط عمله[1]: لغة معناها ذهب سدىً، وفَسَدَ. وحبط ماء البئر: ذهب ذهاباً لا يعود كما كان. وحبط دم القتيل: هُدِر. أحبط عمله: أبطله. وقد ورد الذم في القرآن الكريم لمن كذب بالقرآن، وللمشركين ومن كره الدعوة وقاومها بذكر لفظ "حبط" أو "تحبط" أو "ليحبطن" أو "فأحبط" تعبيراً عن ذهاب أعمال هؤلاء سدى ولن تقبل منهم ولن تجلب لهم السعادة أو الرضى في الدنيا والآخرة فكانوا مذمومين.

وقد ورد الذم في آيات عديدة من التنزيل الحكيم قال تعالى:

١. ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ﴾[2].

٢. ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[3].

٣. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾[4].

٤. ﴿فَأُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[5].

٥. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ﴾[6].

٦. ﴿حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ﴾[7].

٧. ﴿وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[8].

٨. ﴿أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ﴾[9].

٩. ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ﴾[10].

١٠. ﴿وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾[11].

---

(١) المنجد في اللغة والأعلام-باب حَبِطَ-ص١١٤، المعجم الوسيط-باب حَبِطَ-ص١٥٢.

(٢) سورة المائدة آية ٥.
(٣) سورة الأنعام آية ٨٨.
(٤) سورة هود آية ١٦.
(٥) سورة البقرة آية ٢١٧.
(٦) سورة آل عمران آية ٢٢.
(٧) سورة المائدة آية ٥٣.
(٨) سورة الأعراف آية ١٤٧.
(٩) سورة التوبة آية ١٧.
(١٠) سورة الكهف آية ١٠٥.
(١١) سورة الحجرات آية ٢.

١. ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾(١).

٢. ﴿أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾(٢).

٣. ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(٣).

٤. ﴿وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ﴾(٤).

٥. ﴿لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ﴾(٥).

كما ورد الدعاء والذم بلفظة ''صرف'' في آية واحدة. **قال تعالى:**

٦. ﴿صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ﴾(٦).

الذم بلفظ ''خسأ''

خسأ البصر-خسئا وخسوءا: كل وأعيا. خسأ الكلب وغيره: بعد وذل. ويقال: اخسأ عني وخسأ الكلب وغيره: طرده وأبعده(٧). انخسأ الكلب: بعد وانزجر. الخاسيء من الخنازير والكلاب: المبتعد المطرود لا يترك أن يدنو من الناس(٨). نفهم من هذا أن خسأ بمعنى أبعد وطرد وزجر والخاسيء هو المطرود من الله سبحانه المنبوذ من المؤمنين وقد ورد في التنزيل بلفظ ''اخسأ، وخاسئين'' تحقيرا وإهانة لمن يعصي الله ويغضبه والإهانة في حقيقتها أعلى مراتب الذم قال تعالى:

٧. ﴿قَالَ اخْسَئُوا فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾(٩).

والله سبحانه يزجرهم ويهينهم ويمنعهم من مخاطبته تحقيرا لهم وإبعادا.

٨. ﴿فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾(١٠).

مذمومين مبعدين يستقبح المؤمنون وجوههم ويجتنبونهم ويستكبرون عن مخاطبتهم أو الاختلاط بهم إدغانا بهم إدغانا لأمر الله وتنفيذا لأوامره.

---

(١) سورة الزمر آية ٦٥.
(٢) سورة الأحزاب آية ١٩.
(٣) سورة محمد آية ٩.
(٤) سورة محمد آية ٩.
(٥) سورة محمد آية ٣٢.
(٦) سورة التوبة آية ١٢٧.
(٧) المعجم الوسيط-باب خسأ-ص٢٣٣.
(٨) المنجد في اللغة والأعلام-باب خسأ-ص١٧٨.
(٩) سورة المؤمنون آية ١٠٨.
(١٠) سورة البقرة ١٠١ آية ٦٥.

١. ﴿فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ﴾[١].

إمعاناً في تحقيرهم وتقبيحهم وإهانتهم جزاء ما اقترفت أيديهم، وعُتُوّهم في الأرض، وصلفهم وغرورهم واستكبارهم.

الذم بـ"طغى"

طغى وطَغِيَ-طَغْياً وطُغْياناً وطِغْياناً: بمعنى فعل طغا الوادي[٢]. وطغى الكافر: غلا في الكفر. طغى الرجل: أسرف في الظلم والمعاصي. وطغى الماء: ارتفع. طغى وأطغى فلاناً: حمله على الطغيان. الطاغي جمعها طغاة وطاغون: الظالم. الطّاغية: الجبار والمتكبر العاتي/الأحمق. وقد ذم الله الكافرين اللذين استبدوا بآرائهم وحاربوا الدعوة، أو الملوك اللذين ظلموا في الأرض وتجبروا كفرعون وهذه اللفظة تحمل معنى الظلم والتكبر والتجبر والاستعلاء، وتحمل في ثناياها الذم بالإضافة إلى الصفة التي تعبر عنها، وقد وردت في محكم التنزيل في مواضع عدة قال تعالى:

٢. ﴿اذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[٣].

٣. ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ﴾[٤].

٤. ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ۝٣٧ وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ۝٣٨ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾[٥].

٥. ﴿وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ الَّذِينَ طَغَوْا فِي الْبِلَادِ﴾[٦].

٦. ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا﴾[٧].

٧. ﴿وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِي﴾[٨].

٨. ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَىٰ ۝٦ أَن رَّآهُ اسْتَغْنَىٰ﴾[٩].

٩. ﴿قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ وَلَٰكِن كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾[١٠].

١٠. ﴿أَتَوَاصَوْا بِهِ ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾[١١].

---

(١) سورة الأعراف آية ١٦٦.
(٢) المنجد في اللغة والأعلام-باب طغى-ص٤٦٩.
(٣) سورة طه آية ٢٤. النازعات آية ١٧.
(٤) سورة طه آية ٤٣.
(٥) سورة النازعات آية ٣٧.
(٦) سورة الفجر آية ١١.
(٧) سورة هود آية ١١٢.
(٨) سورة طه آية ٨١.
(٩) سورة العلق آية ٦.
(١٠) سورة ق آية ١١.
(١١) سورة الداريات آية ٥٣.

١. ﴿هَٰذَا وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ﴾(١).

٢. ﴿قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَآ إِنَّا كُنَّا طَٰغِينَ﴾(٢).

٣. ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾(٣).

٤. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ۝١١ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾(٤).

٥. ﴿وَنُخَوِّفُهُمْ فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَٰنًا كَبِيرًا﴾(٥).

٦. ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾(٦).

٧. ﴿ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٧).

٨. ﴿وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٨).

٩. ﴿مَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِىَ لَهُۥ وَيَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(٩).

١٠. ﴿فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١٠).

١١. ﴿۞ وَلَوْ رَحِمْنَٰهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِم مِّن ضُرٍّ لَّلَجُّوا۟ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾(١١).

الدم بـ"بَطَلَ"

بَطَلَ الشيء يبْطُلُ بُطْلاً، وبُطُولاً، وبُطلاناً: بمعنى ذهب ضياعاً. وبَطَل: فسد وسقط حكمه. أبْطَلَ: جاء بالباطل. وأبْطَلَ الشيءَ: جعله باطلاً. الباطل: الأبطولة و"في اصطلاح الفقهاء" ما وقع غير صحيح من أصله، بخلاف الفاسد الذي يقع صحيحاً في جملته، ويعوزه بعض الشرط. فالعمل الباطل هو العمل غير الصحيح من أصله والذي يذهب ضياعاً دون فائدة. وقد جاء في القرآن الكريم ذماً للعمل غير الصالح الذي يغضب الله، ويسئ إلى الإسلام وأهله، وإلى الرسالة وصاحبها، وقد ورد

---

(١) سورة ص آية ٥٥.
(٢) سورة القلم آية ٣١.
(٣) سورة النبأ آية ٢٢.
(٤) سورة الشمس آية ١١.
(٥) سورة الإسراء آية ٦٠.
(٦) سورة الكهف آية ٨٠.
(٧) سورة البقرة آية ١٥.
(٨) سورة الأنعام آية ١١٠.
(٩) سورة الأعراف آية ١٨٦.
(١٠) سورة يونس آية ١١.
(١١) سورة المؤمنون آية ٧٥.

هذا الذم في مواضع عدة بلفظ ''بطل''''ويبطل''''وتبطل''''وباطل'' و''الباطل'' و''المبطلون'' قال تعالى:

١. ﴿فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(١).

٢. ﴿لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾(٢).

٣. ﴿وَلَا تَلْبِسُوا۟ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ وَتَكْتُمُوا۟ ٱلْحَقَّ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(٣).

٤. ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾(٤).

٥. ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٥).

٦. ﴿وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا۟ فِيهَا وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾(٦).

٧. ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾(٧).

٨. ﴿وَيُجَٰدِلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا۟ بِهِ ٱلْحَقَّ ۖ﴾(٨).

٩. ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ﴾(٩).

١٠. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ هُوَ ٱلْبَٰطِلُ﴾(١٠).

١١. ﴿وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ﴾(١١).

١٢. ﴿ٱتَّبَعُوا۟ ٱلْبَٰطِلَ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾(١٢).

١٣. ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَٰطِلًا سُبْحَٰنَكَ﴾(١٣).

١٤. ﴿وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنۢ بَعْدِهِمْ ۖ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾(١٤).

---

(١) سورة لأعراف آية ١٨٨.
(٢) سورة الأنفال آية ٨.
(٣) سورة البقرة آية ٤٢.
(٤) سورة البقرة آية ١٨٨.
(٥) سورة الأعراف آية ١٣٩.
(٦) سورة هود آية ١٦.
(٧) سورة الإسراء آية ٨١.
(٨) سورة الكهف آية ٥٦.
(٩) سورة الأنبياءاية ١٨.
(١٠) سورة الحج آية ٦٢.
(١١) سورة الشورى آية ٢٤.
(١٢) سورة محمد آية ٣.
(١٣) سورة آل عمران آية ١٩١.
(١٤) سورة الأعراف آية ١٧٣.

١. ﴿وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾(١).

٢. ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ﴾(٢).

٣. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾(٣).

الذم بـ"ختم"

نورد هنا بعضا من تفسير هذه الكلمة ونكتفي بما أورده ابن كثير في تفسيره للقرآن العظيم قال قال السدي ختم الله أي طبع الله وقال قتادة في هذه، استحوذ عليهم الشيطان إذا أطاعوه فختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة فهم لا يبصرون هدى ولا يسمعون ولا يعقلون ولا يفقهون، وقال ابن جريج قال مجاهد ختم الله على قلوبهم قال الطبع ثبتت الذنوب على القلب فخفت به من كل نواحيه. حتى تلتقي عليه فالتقاؤها عليه الطبع والطبع الختم. قال ابن جريج: الختم على القلب والسمع، وقال حدثني عبد الله بن كثير أنه سمع مجاهدا يقول، الران أيسر من الطبع، والطبع أيسر من الأقفال، والأقفال أشد من ذلك كله. وبعضهم قال "ختم الله على قلوبهم" إخبار من الله عن تكبرهم وإعراضهم عن الاستماع لما دعوا إليه من الحق. من هذا نفهم أن الذم قد ورد بلفظ "ختم" في مواضع عدة من التنزيل الحكيم قال تعالى:

٤. ﴿خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ﴾(٤).

٥. ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَارَكُمْ وَخَتَمَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُمْ﴾(٥).

٦. ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ﴾(٦).

٧. ﴿الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰ أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ﴾(٧).

الذم بـ"طبع"

وقد ورد هذا الذم في مواضع عدة من الذكر الحكيم بذكر لفظة "طبع" و"نطبع" و"يطبع" و"طبع" قال تعالى:

٨. ﴿بَل طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾(٨).

---

(١) سورة العنكبوت آية ٤٨.
(٢) سورة غافر آية ٧٨.
(٣) سورة الجاثية آية ٢٧.
(٤) سورة البقرة آية ٧.
(٥) سورة الأنعام آية ٤٦.
(٦) سورة الجاثية آية ٢٣.
(٧) سورة يس آية ٦٥.
(٨) سورة النساء آية ١٥٥.

١. ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾(١).

٢. ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ﴾(٢).

٣. ﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ﴾(٣).

٤. ﴿وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾(٤).

٥. ﴿كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾(٥).

٦. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾(٦).

٧. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٧).

٨. ﴿كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ﴾(٨).

٩. ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(٩).

١٠. ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾(١٠).

الذم بـ"خسر"

لقد ورد الذم بهذه اللفظة للدلالة على العمل السيِّئ والضلال المبين، من قبل الكافرين اللذين أضاعوا أنفسهم بكفرهم وأعمالهم السيئة في الدنيا بعدم الإيمان والبعد عن التقوى والتكبر والاستعلاء على الحق، ولهذا لا يقام لهم وزن يوم القيامة(١١). وقد جاء هذا الذم في مواضع كثيرة جداً من القرآن سنقتطف منها ما يؤدي غرض بحثنا وجاء بألفاظ مثل "خسروا، الخسران، يخسر، خاسرون، الأخسرون" قال تعالى:

١١. ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾(١٢).

---

(١) سورة التوبة آية ٩٣.
(٢) سورة النحل آية ١٠٨.
(٣) سورة محمد آية ١٦.
(٤) سورة الأعراف آية ١٠٠.
(٥) سورة يونس آية ٧٤.
(٦) سورة الأعراف آية ١٠١.
(٧) سورة الروم آية ٩٥.
(٨) سورة غافر آية ٣٥.
(٩) سورة التوبة آية ٨٧.
(١٠) سورة المنافقون آية ٣.
(١١) صفوة التفاسير للصابوني: ٣٨١/١.
(١٢) سورة الأنعام آية ١٢.

١. ﴿وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم﴾(١).

٢. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ﴾(٢).

٣. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ﴾(٣).

٤. ﴿وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٤).

٥. ﴿أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٥).

٦. ﴿أُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾(٦).

٧. ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾(٧).

٨. ﴿خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾(٨).

٩. ﴿وَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ﴾(٩).

الذم بـ"أف"

أف اسم فعل بمعنى أتضجر: تأفف، أفّ: تضجّر قال تعالى "ولا تقل لهما أفٍّ ولا تنهرهما وقل لهما قولاً كريماً". فالتضجر في وجه الوالدين مكروه، وأمر من الله بألا نتأفف في وجههما لما تترك في نفسيهما من الضيق والألم. لقد ورد التضجر وإلى جانبه الذم بلفظة "أفٍّ" بمعنى قبحاً ونتناً لكم وللأصنام التي تعبدونها من دون الله(١٠).

قال تعالى:

١٠. ﴿أُفٍّ لَّكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾(١١).

---

(١) سورة الأعراف آية ٩.
(٢) سورة هود آية ٢١.
(٣) سورة الجاثية آية ٢٧.
(٤) سورة البقرة آية ٢٧.
(٥) سورة الأعراف آية ٩٩.
(٦) سورة التوبة آية ٦٩.
(٧) سورة النمل آية ٥.
(٨) سورة الحج آية ١١.
(٩) سورة الأنبياء آية ٧٠.
(١٠) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/ ٢٦٨.
(١١) سورة الأنبياء آية ٦٧.

الذم بـ"ذق وذوقوا"

وقد ورد الذم المباشر باستعمال لفظ "ذق" أو "ذوقوا" أو "فأذاق" أو "نذقه" وسنورد بعضا من هذه الآيات قال تعالى:

١. ﴿هَٰذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ﴾(١).

٢. ﴿أَكَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٢).

٣. ﴿وَنَقُولُ ذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ﴾(٣).

٤. ﴿قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٤).

٥. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾(٥).

٦. ﴿فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾(٦).

٧. ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ﴾(٧).

٨. ﴿وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٨).

٩. ﴿فَذُوقُوا فَلَن نَّزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا﴾(٩).

١٠. ﴿فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ﴾(١٠).

١١. ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾(١١).

١٢. ﴿فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا﴾(١٢).

١٣. ﴿وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾(١٣).

---

(١) سورة ص آية ٥٧.
(٢) سورة آل عمران آية ١٠٦.
(٣) سورة آل عمران آية ١٨١.
(٤) سورة الأنعام آية ٣٠.
(٥) سورة الأنفال آية ٣٥.
(٦) سورة الأعراف آية ٣٩.
(٧) سورة يونس آية ٥٢.
(٨) سورة العنكبوت آية ٥٥.
(٩) سورة النبأ آية ٣٠.
(١٠) سورة النحل آية ١١٢.
(١١) سورة الحج آية ٢٥.
(١٢) سورة فصلت آية ٢٧.
(١٣) سورة الفرقان آية ١٩.

أفعل التفضيل

أفعل التفضيل أسلوب يقصد به اشتراك شيئين في معنى خاص وزيادة أحدهما على الآخر فيه. وقد سبق أن نوهنا في الفصل الأول ''أسلوب التفصيل'' إنه تسميه اصطلاحية للصيغة التي على وزن ''أفعل'' لتدل على المفاضلة وهي الزيادة في أمر حسن أو قبيح. وقلنا أنه يصاغ من الفعل الثلاثي، التام، المثبت، القابل للتفاوت، المبني للمعلوم، المتصرف والوصف منه ليس على وزن أفعل فعلاء. وهو ضرب من الصفة وهو صفة في إعرابها في كثير من وجوه القول كما يكون شيئا آخر نظير الصفة سواء بسواء. وكما سبق أن قلنا أن ''أفعل التفضيل'' قد ورد في القرآن الكريم ليبين معنى الذم بالإضافة إلى دلالته الأصلية وهو التفضيل أو المفاضلة. ويقسم إلى أقسام ثلاثة:

أولا :

مجرد من أل والإضافة وهو على نوعين:

(أ) يأتي متلوا بالمفضل عليه مجرورا بمن ويلزم الإفراد والتذكير. وقد ورد في مواضع عدة من الذكر الحكيم. قال تعالى:

١. ﴿ وَأَخْرِجُوهُم مِّنْ حَيْثُ أَخْرَجُوكُمْ وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ ﴾(١).

٢. ﴿ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ﴾(٢).

٣. ﴿ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا ﴾(٣).

٤. ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ﴾(٤).

٥. ﴿ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴾(٥).

٦. ﴿ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُو مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴾(٦).

٧. ﴿ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ ﴾(٧).

٨. ﴿ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ﴾(٨).

٩. ﴿ هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ ﴾(٩).

---

(١) سورة البقرة آية ١٩١.
(٢) سورة الزخرف آية ٨.
(٣) سورة ق آية ٣٦.
(٤) سورة الحشر آية ١٣.
(٥) سورة فصلت آية ٥٢.
(٦) سورة الأحقاف آية ٥.
(٧) سورة غافر آية ٢١.
(٨) سورة فصلت آية ١٥.
(٩) سورة آل عمران آية ١٦٧.

(ب) مجرد من أل والإضافة ويجوز حذف حرف الجر ''من'' ''والمفضل عليه'' لقرينة. وقد جاء هذا النوع من اسم التفضيل في آيات عدة قال تعالى:

١. ﴿ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا﴾(١).

٢. ﴿وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾(٢).

٣. ﴿فَاسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَا﴾(٣).

٤. ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِيَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً﴾(٤).

٥. ﴿أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(٥).

٦. ﴿وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٦).

٧. ﴿أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٧).

٨. ﴿وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْنَ ٱلْعَذَابَ مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٨).

٩. ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا﴾(٩).

١٠. ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ﴾(١٠).

١١. ﴿قَدْ بَدَتِ ٱلْبَغْضَآءُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ﴾(١١).

ثانيا :

وقد يأتي أفعل التفضيل محلى بأل وفي هذه الحالة يكتفى به فلا يذكر المفضل عليه ثم إنه يطابق المفضل إفرادا وتثنية وجمعا وتذكيرا وتأنيثا وقد ورد في القرآن الكريم في مواضع عدة وهو يدل على الذم إلى جانب دلالته الأصلية وهو التفضيل:

---

(١) سورة التوبة آية ٩٧.
(٢) سورة القصص آية ٧٨.
(٣) سورة الصافات آية ١١.
(٤) سورة البقرة آية ٧٤.
(٥) سورة الأعراف آية ١٧٩.
(٦) سورة الإسراء آية ٧٢.
(٧) سورة الفرقان آية ٣٤.
(٨) سورة الفرقان آية ٤٢.
(٩) سورة الفرقان آية ٤٤.
(١٠) سورة فصلت آية ١٦.
(١١) سورة آل عمران آية ١١٨.

قال تعالى:

١. ﴿وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ﴾(١).

٢. ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ لَا يَصْلَىٰهَآ إِلَّا ٱلْأَشْقَى﴾(٢).

٣. ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا﴾(٣).

٤. ﴿وَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَخْسَرِينَ﴾(٤).

٥. ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾(٥).

٦. ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمْ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ وَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ﴾(٦).

٧. ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ﴾(٧).

٨. ﴿وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ﴾(٨).

٩. ﴿إِلَّا مَن تَوَلَّىٰ وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فَيُعَذِّبُهُ ٱللَّهُ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَكْبَرَ﴾(٩).

١٠. ﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ﴾(١٠).

١١. ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ ٱلْفَزَعُ ٱلْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾(١١).

ثالثا : وقد يأتي أفعل التفضيل مضافا

(أ) مضافا إلى نكرة فيلزم الإفراد والتذكير.

قال تعالى:

١٢. ﴿وَلَا تَكُونُوٓا۟ أَوَّلَ كَافِرٍۭ بِهِۦ﴾(١٢).

١٣. ﴿ٱنظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ﴾(١٣).

---

(١) سورة الأعلى آية ١١.
(٢) سورة الليل آية ١٥.
(٣) سورة الكهف آية ١٠٢.
(٤) سورة الأنبياء آية ٧٠.
(٥) سورة هود آية ٢٢.
(٦) سورة النمل آية ٥.
(٧) سورة الحديد آية ٢٠.
(٨) سورة التوبة آية ٤٠.
(٩) سورة الغاشية آية ٢٤.
(١٠) سورة الصافات آية ٩٨.
(١١) سورة الأنبياء آية ١٠٣.
(١٢) سورة البقرة آية ٤١.
(١٣) سورة الإسراء آية ٢١.

١. ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾(١).

(ب) وقد يكون أفعل التفضيل مضافاً إلى معرفة والمطابقة في هذه الحالة حاصلة. قال تعالى:

٢. ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ﴾(٢).

٣. ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾(٣).

٤. ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ﴾(٤).

٥. ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿١١﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾(٥).

٦. ﴿وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا﴾(٦).

٧. ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَابِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا﴾(٧).

٨. ﴿إِنَّ أَنكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ الْحَمِيرِ﴾(٨).

أفعل التفضيل "شر"

لقد وردت كلمة "أشرّ" على "أفعل" للتفضيل(١٠) وقد غلب عليها كلمة "شرّ" وقد جاء في القراءات قراءة قُلابة "الأشرّ" على "أفعل" بمعنى الشر.

٩. ﴿سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ الْكَذَّابُ الْأَشِرُ﴾(١١).

والقراءات في هذه الآية وما هو مثبت في مصاحفنا "الأشِر" على فَعِلْ من "الأشَر" المصدر مثل "الفَرِحُ" من "الفَرَح". ومن المفيد أن نشير أن كلمة "أشرّ" للتفضيل جارية على الألسن الدارجة على الأصل. ولا بد أن نشير أيضاً أن هذه الكلمة تحولت من بناء للتفضيل إلى الاسم الذي لا يعني التفضيل، بل قل إلى شيء كاسم المصدر -نحو نبات وسلام- من ذلك قوله تعالى:

١٠. ﴿إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا﴾(١٢).

---

(١) سورة آل عمران آية ١١٠.
(٢) سورة المائدة آية ٨٢.
(٣) سورة غافر آية ٤٦.
(٤) سورة البقرة آية ٨٥.
(٥) سورة الشمس آية ١٢.
(٦) سورة هود آية ٢٧ (٩).
(٧) سورة الأنعام آية ١٢٣.
(٨) سورة لقمان آية ١٩.
(٩) من أساليب القرآن للدكتور إبراهيم السامرائي.
(١٠) من أساليب القرآن للدكتور إبراهيم السامرائي.
(١١) سورة القمر آية ٢٦.
(١٢) سورة المعارج آية ٢٠.

ومن غير شك أن ''الشر'' في الآية ينصرف إلى الاسمين ''فالشرُّ'' هو السوء والضلال. وكلمة ''شر'' أصلها ''أشرّ'' حذفت همزتها لكثرة الاستعمال حذفاً شاذاً[1]، ومن الجائز إرجاعها عند استعمالها، فقد ورد الكلام الفصيح مشتملاً عليها. ما يندرج على ''أفعل'' التفضيل يندرج على ''شر''.

(١) فيكون مفرداً مذكراً مجرداً من أل والإضافة متلواً بالمفضل عليه مجروراً بمن وقد ورد في القرآن الكريم في عدد من المواضع.

قال تعالى:

١. ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ اللَّهِ﴾[2].

٢. ﴿قُلْ أَفَأُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكُمُ النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾[3].

(٢) ويجوز حذف حرف الجر ''من'' والمفضل عليه لقرينة.

قال تعالى:

١. ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ﴾[4].

ويفهم من السّياق أن ''شر'' هنا أفعل تفضيل لأن المعطوف عليها جاء على وزن ''أفعل'' وهو كلمة ''أضل''. والتقدير هنا ''شرٌّ'' من غيرهم.

٢. ﴿قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾[5].

والتقدير شر منهم.

٣. ﴿فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْعَفُ جُندًا﴾[6].

والتقدير شر من غيرهم وفهم أنه صيغ على ''أفعل'' للقرينة التي جاءت بعده حيث كان المعطوف عليه كلمة ''أضعف'' وهي على وزن ''أفعل''.

٤. ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾[7].

---

(١) (الدعاء لا دليل عليه، ولا يتناسب مع لفظ "شر" لأنه يفيد التفضيل أو الزيادة بمادته، وإن استعمال هذه الكلمة في معنى "أفعل" إنما كان على معنى الاستغناء به عن بناء وزن "أفعل" من مادته. لأن القصد المفاضلة الذي يصاغ له "أفعل" قد حصل من أصل المادة بحيث لو بني منها وزن "أفعل" لكان تحصيل حاصل. أو تفصيلاً على تفصيل. وهذا هو ظاهر كلام ابن مالك في الكافية).

(٢) سورة المائدة آية ٦٠.
(٣) سورة الحج آية ٧٢.
(٤) سورة المائدة آية ٦٠.
(٥) سورة يوسف آية ٧٧.
(٦) سورة مريم آية ٧٥.
(٧) سورة الفرقان آية ٣٤.

(٣) وقد يأتي ''شرٌ'' مضافاً إلى نكرة فيلزم حالة الإفراد والتذكير.

قال تعالى:

١. ﴿ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ﴾(١).

٢. ﴿ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ﴾(٢).

٣. ﴿ هَٰذَا ۚ وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ ﴾(٣).

(٤) وقد يأتي ''شرّ'' مضافاً إلى معرفة:

قال تعالى:

١. ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴾(٤).

٢. ﴿ إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴾(٥).

٣. ﴿ أُولَٰئِكَ هُمْ شَرُّ الْبَرِيَّةِ ﴾(٦).

٤. ﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴾(٧).

٥. ﴿ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ ﴾(٨).

٦. ﴿ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴾(٩).

---

(١) سورة الفلق آية ٢.
(٢) سورة الفلق آية ٥.
(٣) سورة ص آية ٥٥.
(٤) سورة الأنفال آية ٢٢.
(٥) سورة الأنفال آية ٥٥.
(٦) سورة البينة آية ٦.
(٧) سورة الفلق آية ٢.
(٨) سورة الفلق آية ٤.
(٩) سورة الناس آية ٤.

الذم غير المباشر

تمهيد

يُفهم هذا النوع من السياق ولا يَوجَّه الذم فيه للمذموم بإلقاء صفة قبيحة ''كالكفر أو الفسوق أو العناد'' وإنما يبرز من خلال تهديد أو وعيد أو استنكار لعمل أو تحذير من عمل قام أو سيقوم به المذموم وهذا النوع من الذم يتضح بصورة غير مباشرة. وقد أوردنا بعض الآيات التي تبين هذا النوع من الذم كما في سورة الفرقان آية ٣٠ إذ ذم الله الكافرين من قريش الذين هجروا القرآن الكريم ولم يتمعنوا في آياته ولم يجهدوا أنفسهم في استخراج أحكامه أو الحكم والعبر منه، كما ذم الإنسان المتكبر ذماً غير مباشر بتذكيره بأصله الحقير كنطفة تخرج من مكان تأنف النفس عن ذكره وماء مهين يرافق البول من مخرجه ناسياً هذا كله ويتبجح بالنكران والجحود وذلك في سورة الطارق آية ٥، ٦ مكية كما نسي أنه من طين حقير لزج تدوسه أقدام البشر كما في سورة الصافات آية ١١، وذم الكافرين بهذا النوع من الذم عندما بيّن أنهم يخافون المسلمين ويهابونهم أكثر من خشيتهم لله سبحانه وهذه إن دلت على شيء إنما تدل على جهلهم وضلالتهم كما في سورة الحشر آية ١٣ مدنية وطلب الله من رسوله أن يعرض عن من أعرض عن ذكر الله ولا يهادنه كما في سورة النجم آية ٢٩، حتى المنافقين الذين حرمهم رسول الله من شرف مرافقته في الخروج لقتال العدو لم يسلموا من هذا النوع من الذم لغدرهم وجحودهم وهم الذين يعيشون وسط المسلمين كما حرمهم سبحانه من صلاة النبي عليهم أو قيامه على قبورهم في سورة التوبة آية ٨٣، ٨٤ مدنية، أما الكافرون الذين اشتد أذاهم للرسول وأصحابه فقد ذمهم الله ذماً يتقدمه التهديد باستبدالهم بأقوام يحبهم ويحبونه وهو القادر على ذلك وهم الأقل شأناً ومكانةً عنده وإزالتهم عن وجه هذه الأرض ليست من الصعوبة بمكان كما في سورة محمد آية ٣٨ مدنية، وقد ظهر هذا النوع من الذم في أقول قوم شعيب بأنه بشر مثلهم لا يتميز عنهم بشيء وليس من الملائكة تقليلاً لشأنه كما في سورة الشعراء آية ٧٦ مكية، أما أبناء يعقوب فقد أصابهم هذا النوع من الذم على لسان أبيهم وهم الذين فقدوا ثقته وكذبوا عليه وخانوا أمانتهم ولا يملك عليه السلام إلا الصبر الجميل وسؤاله فيه ذم غير مباشر لهؤلاء الأبناء كما في سورة يوسف آية ٦٤، ٨٣ مكية، وقد أصاب عم النبي أبا طالب هذا الذم عندما خاطب الله رسوله أن عمه لن يهتدي حتى لو حرص على هدايته حباً فيه وأن رفضه لهذه الهداية حتمي لأن الله قد كتب عليه الكفر والضلال كما في آية ٥٦ من سورة القصص، وقد ذمت الأصنام كمخلوقات ضعيفة لا تضر ولا تنفع ذماً غير مباشر ببيان عجزها وضعفها كما في سورة الأنعام آية ٧١ مدنية، وأخيراً فقد وجه الله هذا النوع من الذم لقوم نوح عندما دعا نبيه أن لا يبتئس من عمل هؤلاء الفجار كما في سورة هود آية ٣٦ مكية.

وقد ورد في القرآن الكريم في آيات عديدة ومواضع مختلفة.

قال تعالى:

البلاغة :

وقد حذفت ألف ما الاستفهامية مع حرف الجر للفرق بين الاستفهامية والخبرية[1].

٣- ﴿إِنَّا خَلَقْنَاهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾[2].

كثيراً ما يذكر الله هذا الإنسان بأصله وهو المنكر لنعم الله عليه الجبار في الأرض، المتكبر على دينه وخلقه. إنه خُلق من مادة حقيرة ضعيفة ليس لها قوة ولا شدة، ويستطيع الله سبحانه بعثها وإعادتها إلى الحياة ثانية في الآخرة، كما خلقها من العدم. يقول الله لهؤلاء المنكرين للبعث أيما أشد خلقاً هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والشياطين والمخلوقات العظيمة. وقرأ ابن مسعود أم من عددنا فإنهم يقرون أن هذه المخلوقات أشد خلقاً منهم وإذا كان الأمر كذلك فلم ينكرون البعث وهم يشاهدون ما هو أعظم مما أنكروا. ثم بين سبحانه أنهم خلقوا من شيء ضعيف ''إنا خلقناهم من طين لازب'' قال مجاهد وسعيد بن جبير والضحاك: هو الجيد الذي يلتزق بعضه ببعض، وقال عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعكرمة هو اللزج الجيد، وقال قتادة هو الذي يلزق باليد[3]. وقال الصابوني في صفوة التفاسير ''إنا خلقناهم من طين لازب'' أي من طين رخو لزج لا قوة فيه. قال الطبري: وإنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء. وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء، ونار وهواء، والتراب إذا خلط بالماء صار طيناً لازباً. والغرض من الآية إقامة البرهان على إعادة الإنسان الذي خلقه الله من العدم وهو القادر على إعادة الأجسام بعد الفناء. أما الشوكاني فقد قال في فتح القدير: ''إنا خلقناهم من طين لازب'' أي إنا خلقناهم في ضمن خلق أبيهم آدم من طين لازب: أي لاصق، يقال لزب يلزب لزوباً: إذا لصق. وقال قتادة وابن زيد: اللازب اللازق. وقال عكرمة: اللازب اللزج. وقال سعيد بن جبير: اللازب الجيد الذي يلصق باليد. وقال مجاهد: وهو اللازم، والعرب تقول: طين لازب ولازم تبدل الباء من الميم، واللازم الثابت كما يقال صار الشيء ضربةً لازب. وحكى الفرّاء عن العرب: طين لازب بمعنى لازم واللاتب: الثابت. قال الأصمعي: واللاتب اللاصق مثل اللازب. والمعنى في الآية: أن هؤلاء كيف يستبعدون المعاد وهم مخلوقون من هذا الخلق الضعيف ولم ينكره من هو مخلوق خلقاً أقوى منهم وأعظم وأكمل وأتم. وقيل اللازب هو المنتن قاله مجاهد والضحاك[4]. من هنا نرى أن الله يذم الإنسان المنكر للبعث المتكبر المعاند، وهو مخلوق من مادة حقيرة نتنه ينسى أصله الضعيف، ويتمرد على خالقه العظيم وينكر نعمه وفضله. ونرى هنا الذم غير المباشر لهذا الإنسان يطل برأسه من بين الكلمات واضحاً جلياً يراه ويعيه كل ذي بصيرة.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢٨٣/٣.

(٢) سورة الصافات آية ١١.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥/٤.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ٤١٨/٤.

٤- قال تعالى: ﴿ لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ اللَّهِ ﴾ (١).

وفي هذه الآية ذم غير مباشر للكفار والمنافقين الذين يخشون المسلمين أكثر من خشيتهم لله لجهلهم بعظمة الله تعالى حتى يخشوه حق خشيته قال القرطبي: أي لا يفقهون قدر عظمة الله وقدرته.(٢) ثم أخبر تعالى عن اليهود والمنافقين بأنهم جبناء من شدة الهلع وأنهم لا يقدرون على قتال المسلمين.

اللام الداخلة على المبتدأ "أنتم" "لأنتم"(٣).

ذهب الكوفيون إلى أن اللام هنا جواب قسم مقدر "والله لأنتم أشد رهبة" واحتجوا بأن قالوا على أن هذه اللام جواب القسم وليس لام الابتداء إنه يجوز أن يليها المفعول الذي يجب له النصب نحو قولهم "لطعامك زيد آكل" فلو كانت هذه لام الابتداء لكان يجب أن يكون بعدها مرفوعا ولما جاز أن يليها المفعول الذي يجب أن يكون منصوبا. أما البصريون فقالوا: إنها لام الابتداء واحتجوا بأن قالوا: الدليل على أنها لام الابتداء أنها إذا دخلت على المنصوب "لظننت" أوجبت له الرفع وأزالت عنه عمل ظننت، نقول: ظننت زيدا قائما، فإذا دخلت عليه اللام قلت: "ظننت لزيد قائم" فأوجبت له الرفع بالابتداء بعد أن كان منصوبا، فدل على أنها لام الابتداء. قالوا: ولا يجوز أن يقال "إن الظن محمول على القسم، فاللام جواب القسم، كقولهم: والله لزيد قائم، لا لام الابتداء، فإذا كانت جواب القسم فحكمها أن تبطل عمل ظننت، فلهذا وجب أن يرفع زيد بما بعده، لا بالابتداء، وهذا لأن حكم لام القسم في كل موضع أن لا يعمل ما قبلها فيما بعدها، ولاما بعدها فيما قبلها، لأن ما بعدها من الكلام محلوف عليه، فلو جعل شئ منه قبلها لزال منه معنى الحلف عليه لأنا نقول: لا يجوز أن يكون الظن قسما، لأنه إنما نقسم بالشيء في العادة إذا كان عظيما عند الحالف كقوله "والله، والقرآن" وما أشبه ذلك مما يحلف به ومعنى الظن خارج عن هذا المعنى.

٥- ﴿ فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴾ (٤).

إن الله سبحانه وتعالى يطلب من رسوله الكريم أن يعرض ويبتعد عن من أدار ظهره لله، ولم يأبه لآخرته ودار الميعاد بل كان همه دنياه وملذاته وعرض الدنيا الزائل، كالبحث عن الزعامة والرياسة أو ثراء زائف زائل. ولم يتدبر خلق الله في نفسه أو الكون المحيط به، فأدار ظهره لكل ما يذكره بآيات الله واستمر في عناده وكفره وصلفه فاستحق منا اللعنة ومنك الإعراض والابتعاد. إن هذا الطلب من الله لرسوله ملئ بالذم غير المباشر لأن فيه إبراز لصفات ذميمة وعقول جوفاء وتهور وغباء لإنسان يغمض عينيه ويصم آذانه عن ذكر الله وما أنزل من المعجزات، ويسدر في غيه بحثا

(١) سورة الحشر آية ١٣.
(٢) تفسير القرطبي: ١٨/ ٣٥.
(٣) الإنصاف في مسائل الخلاف: ١/٣٩١.
(٤) سورة النجم آية ٢٩.

وراء دنيا فانية زائلة. قال أبو مسعود: ''والمراد النهي عن دعوة المعرض عن كلام الله وعدم الاعتناء بشأنه، فإن من أعرض عما ذكره وانهمك في الدنيا بحيث صارت منتهى همته وقصارى سعيه، لا تزيده الدعوة إلا عناداً وإصراراً على الباطل[1]. ''وذلك هو نهاية علمهم وغاية إدراكهم أن آثروا الدنيا على الآخرة''.

البلاغة :

''عن من'' مفصول لأن حرف ''من'' فيه كلي وحرف ''عن'' للمجاوزة، والمجاوزة عن الكلي مجاوزة لجميع جزيئاته دون العكس، فلا وصلة بين الجزأين في الوجود فلا يوصلان في الخط[2].

٦- ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا﴾ (٣).

يقول الله سبحانه وتعالى لرسوله ﷺ قل لهم يا محمد إنكم لن تنالوا شرف الخروج للجهاد بعد اليوم أبداً ولن يكون لكم شرف القتال لأعداء الله، لأنكم كشفتم ما أخفيتموه طويلاً، وهو خبر معناه النهي للمبالغة، جار مجرى الذم لهم لإظهار نفاقهم[4]. إن الله سبحانه لم يظهر عيوبهم ونفاقهم، بل جاء بأمر يظهر فيه الذم من السياق، ويكشف عنه بحرمانهم من شرف عظيم لا يطلبه إلا المؤمنون، ولا يسعى إليه إلا من باع نفسه لله، سعياً وراء ثواب الله سبحانه ورجاء الآخرة. إنه ذم غير مباشر للمنافقين المكذبين الذين يظهرون غير ما يبطنون. ويدّعون الإخلاص جبناً ورياءً ويسرون المكر والخديعة إنه ذم غير مباشر لهؤلاء بحرمانهم من شرف عظيم، لا يسعى إليه إلا المؤمنون المتقون المصدقون.

٧- ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِ﴾ (٥).

ينهي الله سبحانه رسوله من الصلاة على أحد من هؤلاء المنافقين إذا مات لأن الصلاة رحمة وهم ليسوا أهلاً للرحمة ''ولا تقم على قبره'' أي لا تقف على قبره للدفن، أو للزيارة والدعاء[6] جزاءً لهم على ما اقترفوا من الذنوب والآثام. وكان الرسول ﷺ إذا دفن الميت وقف على قبره ودعا له فمنع هاهنا. وقيل معناه: لا تقم بمهمات إصلاح قبره[7]، وجاء في تفسير القرآن العظيم لابن كثير:

---

(١) تفسير أبي مسعود: ١٦٠/٥.
(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٤٩/٢.
(٣) سورة التوبة آية ٨٣.
(٤) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٥٣/١.
(٥) سورة التوبة آية ٨٤.
(٦) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٥٣/١.
(٧) فتح القدير للشوكاني: ٤٨٤/٢.

''أمر الله تعالى رسوله ﷺ أن يبرأ من المنافقين وأن لا يصلي على أحد منهم إذا مات وأن لا يقوم على قبره ليستغفر له أو يدعو له، لأنهم كفروا بالله ورسوله وماتوا عليه، وهذا حكم عام في كل من عُرِفَ نفاقُهُ وإن كان سبب نزول الآية في عبد الله ابن أبي بن سلول رأس المنافقين. عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: سمعت عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: لما توفي عبد الله بن أبي دُعي رسول الله ﷺ للصلاة عليه فقام إليه فلما وقف عليه يريد الصلاة تحولت حتى قمت في صدره فقلت يا رسول الله: أعلى عدو الله عبد الله بن أبي القائل يوم كذا كذا وكذا-بعدد أيامه-؟ قال رسول الله ﷺ يبتسم حتى إذا أكثرت عليه قال: آخر عني يا عمر، إني خُيِّرْتُ فاخترتُ. ولما نزلت ''ولا تصلِّ على أحد منهم مات أبداً'' الآية. فما صلى رسول الله ﷺ بعده ''أي عبد الله بن أبي'' على منافق، ولا قام على قبره حتى قبضه الله عز وجل. وهكذا نجد أن الذم غير المباشر قد برز من خلال نهي الله لرسوله ﷺ بعدم الصلاة على المنافقين أو الدعاء لهم أو القيام على قبورهم.

٨- ﴿ تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ ﴾ (١).

يقول الله سبحانه لمن أعرض عن القرآن وعن طاعة الله واتباع شرعه أنه سيستبدلهم بغيرهم ممن يسمعون ويطيعون أوامره ويجتنبون نواهيه(٢). وجاء في صفوة التفاسير للصابوني: إن تعرضوا عن طاعته واتباع أوامره يخلف مكانكم قوماً آخرين يكونون أطوع لله منكم، ولا يكونوا مثلكم في البخل عن الإنفاق بل كرماء أسخياء(٣). وجاء في فتح القدير للشوكاني: ''وإن تتولوا'' معطوفة على الشرطية المتقدمة وهي إن تؤمنوا، والمعنى: وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى يستبدل قوماً آخرين يكونون مكانكم هم أطوع لله منكم ''ثم لا يكونوا أمثالكم'' في التولي عن الإيمان والتقوى(٤)، قال عكرمة: هم فارس والروم. وقال الحسن: هم العجم. وقال شريح بن عبيد: هم أهل اليمن. وقيل: الأنصار. وقيل: الملائكة. وقيل: التابعون. وقال مجاهد: هم من شاء الله من سائر الناس. قال ابن جرير: والمعنى ''ثم لا يكونوا أمثالكم'' في البخل بالإنفاق في سبيل الله. وهنا نرى الذم غير المباشر لمن أعرض عن أوامر الله وعن الإيمان والتقوى. والذين هددهم ربهم باستبدالهم بآخرين غيرهم يكونون أطوع منهم وأكثر إيماناً.

٩- ﴿ وَمَا أَنتَ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا ﴾ (٥).

لم يقصد قوم شعيب أن يصفوا نبيهم شعيباً بأنه من بني البشر فقط، بل يريدون أن يلمزوه ويقللوا من شأنه بذم غير مباشر تقليلاً لشأنه، وأنه لا يبدو عليه أنه نبي، بل يتهمونه بالكذب والسحر. والذم غير واضح بشكل مباشر وإنما يظهر من سياق الكلام ويفهم من الكلام الذي تلاه في الآية ''وإن نظنك لمن الكاذبين'' أي تتعمد الكذب فيما تقول لا أن الله أرسلك إلينا(٦).

---

(١) سورة محمد آية ٣٨.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٨٤/٤.
(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ٢١٤/٣.
(٤) فتح القدير للشوكاني: ٥٣/٥.
(٥) سورة الشعراء آية ١٨٦.
(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣٣٥/٣.

يقولون: أنت إنسان مثلنا ولست برسول وما نظنك يا شعيب إلا كاذباً تكذب علينا فتقول أنا رسول[1]. وهو ذم لم يورد مباشرة وإنما بطريقة غير مباشرة.

١٠- قال تعالى: ﴿قَالَ هَلْ ءَامَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَآ أَمِنتُكُمْ عَلَىٰٓ أَخِيهِ مِن قَبْلُ فَٱللَّهُ خَيْرٌ حَٰفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾ [2].

لقد اتفق مجموعة من المفسرين على تفسير هذه الآية فقال الزمخشري فيها ''هل أمنكم عليه'' يريد أنكم قلتم في يوسف ''وإنا له لحافظون'' كما تقولون في أخيه، ثم خنتم بضمانكم فما يؤمنني من مثل ذلك[3]. وقال الشوكاني فيها: ''مستأنفة جواب سؤال مقدر والمعنى: أنه لا يأمنهم على بنيامين إلا كما أمنهم على أخيه يوسف وقد قالوا له في يوسف ''وإنا له لحافظون'' كما قالوا هنا ''وإنا له لحافظون'' ثم خانوه في يوسف فهم إن أمنهم في بنيامين خاف أن يخونوه فيه كما خانوه في يوسف[4]. وقال ابن كثير: ''أي هل أنتم صانعون به إلا كما صنعتم بأخيه من قبل. تغيبونه عني وتحولون بيني وبينه؟[5]. وقال الصابوني: ''أي قال لهم يعقوب: كيف أمنكم على بنيامين وقد فعلتم بأخيه يوسف ما فعلتم بعد أن ضمنتم لي حفظه، ثم خنتم العهد؟ فأخاف أن تكيدوا له كما كدتم لأخيه، فأنا لا أثق بكم ولا بحفظكم، وإنما أثق بحفظ الله[6]. من هنا نتبين الذم غير المباشر الذين يطل من بين الاستفهام المشوب بالحسرة والألم والخوف والعتاب وخيبة الأمل.

١١- قال تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا ۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌ ۖ﴾[7].

قال لهم كما قال لهم حين جاءوا على قميص يوسف بدم كذب ''بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل'' قال محمد بن إسحاق لما جاءوا يعقوب وأخبروه بما جرى مع ابنه بنيامين لمّا تعين أخذه وتقرر تركه عند يوسف بمقتضى اعترافهم، اتهمهم وظن أنها كفعلتهم بيوسف قال ''بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل'' وقال بعض الناس لما كان صنيعهم هذا مرتباً على فعلهم الأول انسحب حكم الأول عليه وصح قوله ''بل سولت...'' ثم ترجى من الله أن يرد عليه أولاده الثلاثة يوسف وبنيامين وروبيل الذي أقام[8] بديار مصر ينتظر أمر الله فيه إما أن يرضى عنه أبوه فيأمره بالرجوع إليه، وإما أن يأخذ أخاه خفية، وهذا ذم غير مباشر لأبناء سيدنا يعقوب وجهه لهم أبوهم بناءً على فعلتهم الأولى بيوسف وخوفه عليهم أن ينزلقوا في خطيئة ثانية ضد أخيهم فينالهم غضب الله وغضبه.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/٣٩٣.
(٢) سورة يوسف آية ٦٤.
(٣) الكشاف للزمخشري: ٢/٤٨٥.
(٤) فتح القدير للشوكاني: ٣/٤٨.
(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٤٦٥.
(٦) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/٥٨.
(٧) سورة يوسف آية ٨٣.
(٨) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٤٦٩.

وجاء في فتح القدير للشوكاني: ''قال بل سولت لكم أنفسكم...''[1] أي زينت، والأمر هنا قولهم ''إن ابنك سرق'' وما سرق في الحقيقة، وقيل المراد بالأمر إخراجهم بنيامين، والمضي به إلى مصر طلباً للمنفعة فعاد ذلك بالمضرة، وقيل التسويل: التخييل: أي خيلت لكم أنفسكم أمراً لا أصل له، وقيل الأمر الذي سولت لهم أنفسهم فُتياهم بأن السارق يؤخذ بسرقته، والإضراب هنا هو باعتبار ما أثبتوه من البراءة لأنفسهم، لا باعتبار أصل الكلام فإنه صحيح، والجملة مستأنفة مبنية على سؤال مقدر كغيرها ''فصبر جميل'' خبر مبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره محذوف: أي فأمري صبرٌ جميل أو فصبر جميل أجملُ بي وأولى لي والصبر الجميل هو الذي لا يبوح صاحبه بالشكوى بل يفوض أمره إلى الله ويسترجع. وجاء في صفوة التفاسير للصابوني[2]: ''بل سولت لكم أنفسكم...'' أي زينت وسهلت لكم أنفسكم أمراً ومكيدة فنفذتموها، اتهمهم بالتآمر على بنيامين ولكن بطريقة غير مباشرة عندما قال ''أمراً'' ولم يواجههم مباشرة بالأمر تهمة شاكٍ غير متيقن لما سبق منهم من أمر يوسف ولا أجد سوى الصبر محتسباً أجرى عند الله. إنه ذم غير مباشر من سيدنا يعقوب لأبنائه بناءً على تهمته غير المباشرة لهم وخوفه من أن يكونوا قد صنّعوا ببنيامين مثل ما صنعوا بأخيه يوسف من قبل غدراً وخيانة.

١٢- ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾[3].

نزلت هذه الآية في عم النبي أبي طالب وهو الرجل الذي كان يحب النبي ويحميه. وقد كان النبي ﷺ محباً لعمه راغباً له الخير ينصحه على الإيمان بإصرار ودون ملل وكان يطلب منه أن يقول ''لا إله إلا الله محمد رسول الله'' فأبى عليه ذلك وقال: ''يا ابن أخي ملة الأشياخ'' وكان آخر ما قاله أي: ملة عبد المطلب وعبد مناف وهاشم. وكان الرسول قد حضر عنده وهو على فراش الموت فقال: ''يا عماه قل لا إله إلا الله اشهد لك بها يوم القيامة'' قال لولا تعيّرني بها قريش يقولون ما حمله عليه إلا جزع الموت لأقررت بها عينك ولا أقولها إلا لأقر بها عينك[4]''. ونلاحظ هنا أن الآية تدل على ذم واضح لأبي طالب لأنه أصرّ على كفره وعناده وخوفه من أن تعيره قريش بأنه خاف من الموت وقد أعمى الله بصيرته فلم يتطلع إلى الآخرة وما له فيها من ثواب وعقاب. أما الزمخشري فقد قال: ''لا تقدر أن تدخل في الإسلام كل من أحببت أن يدخل فيه من قومك وغيرهم. لأنك عبد لا تعلم المطبوع على قلبه من غيره ''ولكن الله'' يدخل في الإسلام ''من يشاء'' وهو الذي علم أنّه غير مطبوع على قلبه. وأن الألطاف تنفع فيه، فيقرن به الطافه حتى تدعوه للقبول ''وهو أعلم بالمهتدين'' بالقابلين من الذين لا يقبلون''. قال الزجّاج: اجمع المسلمون أنها نزلت في أبي طالب. وذلك أن أبا

(١) فتح القدير للشوكاني: ٣/٥٩.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/٦٤.

(٣) سورة القصص اية ٥٦.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/٣١٨.

طالب قال عند موته: يا معشر بني هاشم، أطيعوا محمداً وصدقوه تفلحوا وترشدوا. فقال النبيﷺ: تأمرهم بالنصيحة لأنفسهم وتدعها لنفسك؟ قال: فما تريد يا ابن أخي؟ قال : أريد منك كلمة واحدة فإنك في آخر يوم من أيام الدنيا: أن تقول: لا إله إلا الله محمد رسول الله أشهد لك بها عند الله. قال: يا ابن أخي: قد علمت إنك لصادق. ولكنني أكره أن يقال: جزع عند الموت. ولولا أن تكون عليك وعلى بني أبيك غضاضة ومسبة بعدي، لقلتها، ولأقررت بها عينك عند الفراق، لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك، ولكني سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطلب وعبد مناف وهاشم[1]. وهنا نجد الذم غير المباشر لأبي طالب حيث استمر على كفره وعناده رغم علمه بأن ما جاء به محمد هو الحق، ونصح به قومه من بني هاشم، ويعلم أن دين محمد فيه العز والمنعة، ورغم كل ذلك لم يجرؤ على التلفظ بالشهادتين خوفاً وجزعاً من قريش وكبرائها كأبي جهل وأبي بن خلف. وهنا يبين الله سبحانه ذمه لأبي طالب وأمثاله من البشر الذين يعرفون الحق ويحيدون عنه، إما طمعاً في دنيا زائلة أو خوفاً من لوم يلحقهم ويخشون الناس ولا يخشون الله وعقابه. وهكذا نجد أن الذم غير المباشر يطل من بين كلمات الآية واضحاً جلياً لأبي طالب وخوفه من الناس أكثر من خوفه من الله، خوفاً ومجاملة يستحق عليها الذم.

١٣- ﴿قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا﴾ [2].

في هذه الآية ذم غير مباشر للآلهة والأصنام التي يعبدها هؤلاء الجاهلون من دون الله. يعبدون من لا يستطيع لهم نفعاً ولا ضراً ولا يستطيع أن ينفع نفسه أو يدافع عنها وهو أعجز من أن يدفع ذبابة عن نفسه، وهم بعقولهم الخاوية يلجأون له بالدعاء والتعبد والخشوع. وهنا يقول الله لرسوله وهو في معرض تنوير عقول هؤلاء الكفار الجاهلين: هل تريدوننا أن ندعو أحداً غير الله ونستجير به ونلجأ إليه ونحن نراه عاجزاً قاصراً. إنه تعريض بالآلهة والأصنام وكل ما يعبده الكفار من دون الله. وذم غير مباشر لما يتوجهون له بالدعاء.

١٤- وقال تعالى: ﴿فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ [3].

في هذه الآية يبين الله سبحانه شدة الضرر الذي أوقعه الكافرون بسيدنا نوح عليه السلام عندما أوحى له أن لا يبتئس من أفعالهم وكفرهم ويقول له: لا تحزن بسبب[4] كفرهم وتكذيبهم لك فإني مهلكهم لأنه أمره سبحانه بأن يبني الفلك لأن حكم الله قد صدر وعذابه قد تقرر على هؤلاء المجرمين. وننتقل الآن للهدف من هذه الآية والعبرة المراد منها أنه ذم غير مباشر لقريش التي كذبت الرسول كما

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٤٣٢/٣.

(٢) سورة الأنعام آية ٧١.

(٣) سورة هود آية ٣٦.

(٤) صفوة التفاسير للصابوني: ١٤/٢.

كذب قوم نوح بنبيهم من قبل. وليس ذلك ذماً فقط وعبرة وإنما هو تهديد ووعيد وتحذير من غضب الله وسخطه عليهم، لأن الغضب والعقاب واقع لا محالة إذا استمروا في تكذيبهم وعنادهم وفجورهم.

فالذم غير المباشر يتخلل الكلمات ويتضح من قلب لفظة ''فلا تبتئس'' والإنسان لا يحزن إلا إذا رأى قومه الذين بعثه الله لهدايتهم وقد أصروا على عنادهم وكفرهم وتكذيبهم، يقاومون الدعوة بتكبر وتبجح. حتى إذا ظنوا أنهم انتصروا على رسولهم ونجحوا في تحطيم دعوته، أتاهم أمر الله وجعلهم حصيداً كأن لم يغنوا بالأمس.

أساليب أخرى للذم

تمهيد

لقد وجه الله الذم للكافرين المكذبين والمعاندين المستكبرين والمنافقين الذين يجهرون بالإيمان ويخفون في صدورهم الكفر والكراهية للمؤمنين وللرسول ولكل ما جاء به، وقد واجههم الله سبحانه بالذم المباشر تارة وبالذم غير المباشر تارة أخرى، ليتعظوا ويعودوا عن ضلالاتهم وخبثهم وكيدهم، وواجههم بأساليب أخرى للذم تلمزهم وتحذرهم من أن يسدروا في غيهم وطغيانهم، لتكون أمامهم فرصة للعودة إلى جادة الصواب. وقد ورد هذا النوع من الذم في مواضع عديدة من الذكر الحكيم نقتطف بعضا منها لكثرتها وتباينها: إذ مدح فريقا رضي الله عنهم وذم آخرين لم يذكرهم بل ترك تكملة الآية لمن يتدبر القرآن ويتمعن فيه، ليعرف من لم يذكرهم الله بالمدح، فقد مدح الضد، وترك المذمومين لأولي الألباب يعرفونهم بعقولهم ليأخذوا العبرة والعظة ويعودوا عن عدائهم للحق. فرضي الله عن الصادقين يبين بالقرينة والسياق أنه لن يرضى عن المكذبين المعاندين وهذا ما أطلقنا عليه اسم ''أساليب أخرى للذم''. ومن أمثلة هذا النوع من الذم ذكر نهاية المؤمنين المصدقين وجعلهم خالدين في رحمته على عكس أعداء الإيمان الذين جانبتهم الرحمة وأصابهم العذاب كما في سورة آل عمران آية ١٠٧ مدنية، كما أصاب الكافرين هذا النوع من الذم عندما هددهم الله بأن يلقيهم في قعر الجحيم عدا ما سيلاقونه في دنياهم من المذلة والهوان ببيان مصير المؤمنين الذين يرفع درجاتهم برحمته ومشيئته كما في سورة الأنعام آية ٨٣، أما الذين استهجنوا نزول الرسالة على محمدﷺ فقد ذموا بهذا الأسلوب عندما بين الله لهم أنه يعلم من يستحق الرسالة ومن لا يستحقها والذين يذكرون هم أقل شأنا عند الله وأبعد عن الإيمان كما في سورة الأنعام آية ١٢٤ مدنية، وقد يأتي هذا النوع بذكر مصير الأقوام التي مضت كقوم عاد أو ثمود وما آلوا إليه تذكيرا للكافرين وتهديدا لهم حيث أن كفرهم سيؤدي إلى نفس المصير كما في سوزة الفجر آية ٦ مكية، وبنفس القدر يهدد الله كفار قريش ويذكرهم بواقعة ليست عنهم ببعيدة وهي واقعة الفيل وكيف انتهى هذا الجيش العرمرم ومصيرهم لن يكون أقل سوادا كما في سورة الفيل آية ١ مكية، وقد تجلى هذا الأسلوب من الذم لقريش في دعوة النبيﷺ بالصبر على أذاهم وطغيانهم كما في هود آية١١٥ مكية، وكثيرا ما يذكر الله سبحانه هؤلاء الفاجرين بعاقبة من سبقهم ممن آذووا الأنبياء من قبل وخاتمة المكذبين من تلك الأقوام الكافرة كما في سورة النحل آية ٣٦ مكية، كما يأتي هذا النوع من الذم على شكل تهديد يأتي على صورة الإقلال من شأنهم وبيان ضعفهم والله سبحانه لا يعجزه أن يلحقهم بمن سبقهم من الفجرة الفاسقين كما في سورة يونس آية ٥٣، ولمعرفة الله سبحانه بالطبيعة البشرية الضعيفة فإنه يورد هذا النوع من الذم للأكثرية الساحقة من البشر الذين لا يشكرون ربهم على نعمه وفضائله بل قليل من عباد الله الذين يحسون بنعمه فيشكرونه عليها

كما في سورة سبأ آية ١٣ مكية، وهذا الأسلوب يعتمد الحوار المنطقي ومقارعة الحجة بالحجة ويأتيهم الذم حين يسأل الله الكافرين عن إفتراءاتهم بخلق الملائكة ويسألهم هل شهدوا خلقهم ويغلف ذمهم بتهديد وسيسألهم عن هذا وسيعاقبون على إفتراءاتهم كما في سورة الزخرف آية ١٩ مكية، وأخيرا ورد هذا النوع من الذم بتذكير هؤلاء الكفار أن مصيرهم الأسود جاء بسبب أفعالهم المنكرة وبظلمهم لأنفسهم وليس من ظلم الله لهم كما في سورة آل عمران آية ١٨٢ مدنية.

١- ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ ابْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِي رَحْمَةِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (١).

فالله في هذه الآية يظهر من آمن وصدق بالرسالة وامتثل لأمر ربه، فأظله الله برحمته خالدا فيها وجعل وجهه أبيض بنور الإيمان ومحبة الخالق، وأخفى وراء هذه الصورة صفات من اسودت وجوههم وطردهم من رحمته لكفرهم وصلفهم فكان الذم مستترا وراء الصورة الناصعة للمؤمنين الممدوحين. وقيل أن المذمومين هم اليهود وقيل المنافقون وقيل أهل البدع والخرافات، وقيل الخوارج كما قال أبو أمامة. إنه أسلوب آخر للذم يذم الله به من اسودت وجوههم بمدح أضادهم الذين ابيضت وجوههم.

٢- قال تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَّن نَّشَاءُ﴾ (٢).

في هذه الآية مدح ظاهر لإبراهيم عليه السلام إذ أتاه الله الحجج الباهرة التي أيد الله بها خليله عليه السلام، والتي احتج بها إبراهيم على وحدانية الله: من أفول الكواكب والشمس والقمر، براهين أيده الله بها وأرشده إليها، لتكون حجته دامغة على قومه ''نرفع درجات من نشاء'' بالعلم والفهم والنبوة ونطمس على قلوب الذين عميت أبصارهم واستكبروا بعنادهم وكفرهم وكأن الله سبحانه يقول إنه يرفع درجات من يشاء بالعلم، ويضع من يشاء بالجهل والضلال، وإن الله حكيم في أقواله وأفعاله علهم بمن يهديه ومن يضله[٣] وأقامت عليه الحجج والبراهين كما قال ''إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ولو جاءتهم كل آية حتى يروا العذاب الأليم''. وهذا أسلوب آخر للذم ''يختفي وراء مدح إبراهيم عليه السلام'' لذم الذين أعمى الله قلوبهم وأضلهم عن الحق، وابتعد بهم عن الهداية والرشاد، لأن الله عليم بمن يهتدي وبمن يضل قال سبحانه ''والله أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين''.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٠٧.

(٢) سورة الأنعام آية ٨٣.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١٤٦/٢.

٣- وقال تعالى: ﴿ ٱللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُۥ ﴾[١].

أسلوب آخر للذم، تجلى في هذه الآية للذين أنكروا على الرسول ﷺ النبوة ''وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم'' يعنون لولا نزل هذا القرآن على رجل عظيم مبجل في أعينهم من مكة أو الطائف[٢] وذلك أنهم ''قبحهم الله'' كانوا يزدرون بالرسول صلوات الله وسلامه عليه بغيا وحسدا وعنادا واستكبارا. وهم معترفون بفضله وشرفه ونسبه، وطهارة بيته ومرباة، ومنشئه حتى أنهم كانوا يسمونه قبل أن يوحي إليه ''بالأمين'' وقد اعترف رئيس الكفار أبو سفيان حين سأله هرقل ملك الروم: وكيف نسبه فيكم؟ قال هو فينا ذو نسب. قال هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قال لا. وهذا ما استدل به ملك الروم بظاهر صفاته عليه السلام على صدق نبوته وصحة ما جاء به، وفي الحديث المروي عن عائشة رضي الله عنها قالت قال رسول الله ﷺ: ''قال لي جبريل قلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد رجلا أفضل من محمد. وقلبت الأرض مشارقها ومغاربها فلم أجد بني أب أفضل من بني هاشم'' فالله سبحانه وتعالى لا يختار إلا الصالح لحمل الرسالة، وهو تهديد ووعيد وذم لمن يشكك في رسالة محمد. ذم يختفي وراء الآية للمشككين المعاندين بمدح حسن الاختيار وأفضله وإن الذين يشككون في هذا الاختيار إنما هم كفار معاندون حسدة مستكبرين، أعمى الله بصائرهم عن الحق، وتركهم في ظلمات لا يبصرون. إنه أسلوب آخر لذم هؤلاء الضالين المكابرين. يقول الصابوني في صفوة التفاسير[٣]: الله أعلم من هو أهل للرسالة فيضعها فيه، وقد وضعها فيمن اختاره لها وهو محمد ﷺ دون أكابر مكة كأبي جهل والوليد بن مغيرة، وسيصيب هؤلاء المجرمين الذل والهوان في الدنيا، والعذاب الشديد يوم القيامة، بسبب استكبارهم ومكرهم المستمر، لأنهم تمردوا عن اتباع الرسول وتكبروا طلبا للعز والكرامة، فقوبلوا بالذل والهوان في الدنيا والعذاب الشديد في الآخرة.

٤- قال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ ﴾ [٤].

هذه الآية ليست إخبارا بما فعل الله بعاد قوم هود، جزاء كفرهم وعنادهم وتكذيبهم لرسولهم ومخالفتهم، بل تهديد لقريش حيث يقول: غضب الله على عاد فأهلكهم بريح صرصر عاتية، سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوما، فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية، فهل ترى لهم من باقية؟ سؤال يملأه التحذير ويضج بالتهديد والوعيد. أين عاد يا قريش فهل بقي منهم أحد على وجه الأرض؟ إذ ما بالكم قد عطلتم عقولكم وتخليتم عن تفكيركم وأنتم المعروفون بين العرب بالعلم والأدب والفهم والرياسة والكرم؟ إنه ذم لعاد وقريش معا وتهديد لقريش وتحذير أن يصيبهم ما أصاب عاد من

(١) سورة الأنعام آية ١٢٤.
(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/١٦٥.
(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٤١٦.
(٤) سورة الفجر آية ٦.

البطش، وقد كانوا أشد منهم قوة وجاها وعزا. قال تعالى ''فأما عاد فاستكبروا في الأرض بغير الحق وقالوا من أشد منا قوة؟ أولم يروا أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة'' فالله الذي جعل من عاد وقريش أقوياء وشديدين وأغنياء، هو أقوى منهم، وقادر على تدميرهم وجعلهم عبرة لمن بعدهم من الأقوام التي تطغى وتفسد في الأرض. قال ابن كثير في تفسيره[1]: ''المراد في هذه الآية هو الإخبار عن إهلاك القبيلة المسماة بعاد، وما أحل الله بهم من بأسه الذي لا يرد لا أن المراد الإخبار عن مدينة أو إقليم''. إنه أسلوب آخر للذم حفلت به آيات القرآن الكريم فهو ذم يطل من بين ضلوع الاستفهام الذي تفوح منه رائحة التحذير ثم التهديد والوعيد. الله أكبر من كل شيء في السماوات والأرض وأقوى من كل شيء فاحذروا يا قوم ولا تتهاونوا فتحبط أعمالكم وتنقلبوا على وجوهكم في جهنم داخرين، فهو قادر على تدميركم وسحقكم كما دمر وسحق عادا وثمودا لمخالفتهم أنبياءهم. وهاأنتم يا قريش استكبرتم وخالفتم رسولكم الذي جاء بأمر ربكم فاحذروا ولا تسدروا في غيكم فعذاب الله شديد وقريب.

٥- وقال تعالى: ﴿ أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ﴾ [2].

بيان لقدرة الله على خلقه وتنفيذ مشيئته. وليس إخبارا بما صنع الله مع أصحاب الفيل وحسب. وهم الأحباش الذين جاءوا لهدم بيت الله تنفيذا لتهديد ملكهم على اليمن أبرهة. جاءوا إلى مكة ظلما وعدوانا متأكدين أنهم غير مردودين، عنه ولا يستطيع أحد ردعهم أو صدهم عن غايتهم. لقد جهز أبرهة عشرين ألفا من المدججين بالسلاح ترافقهم الفيلة. وقريش لا تملك حيال هذا الجيش العرمرم حولا ولا قوة. ولما كان أبرهة بهذا اليقين واثقا من قدرته صلفا متكبرا لا يرى على الأرض من هو أقوى منه وأشد سطوة، أتاه أمر الله فأرسل عليه وعلى جيشه طيرا أبابيل ترميهم بحجارة من سجيل. فأصبحوا صرعى ما بين قتيل وجريح ومجنون وأعمى. حتى أن عائشة أم المؤمنين وأسماء بنت أبي بكر قد رأتا قائد الفيل وسائسه[3] كانا مقعدين يستطعمان الناس عند أساف ونائلة[4]. في هذه الآية ذم لأصحاب الفيل الذين اقترفت أيديهم ما كان سببا لإبادتهم من الله سبحانه، وهاهي قريش، وفيها من شهد عام الفيل، وما وقع فيه من وقائع عظيمة، كان على قريش أن تتعظ وتؤمن بالله، حيث كان قدوم أبرهة لهدم الحرم وما لقي من عقاب وجزاء عادل، كان مقدمة لرسالة محمد البشير النذير. فما بالكم يا قريش تنكرون وتصدون عن ذكر الله وتكابرون وتعاندون وتكفرون بما جاء به محمد من عند الله وأنتم قد رأيتم بأم أعينكم ما صنع الله بأبرهة وجيشه؟ فعلاوة على إنه إخبار بما فعل أصحاب الفيل فقد جعلهم الله عبرة علكم تتعظون. وهنا أيضا ذم لقريش التي لم تتعظ وسدرت في غيها واستمرت في ضلالها ولم تأخذ العبرة ولم ترتجع عن طغيانها بل كفرت وعاندت وضلت.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٠٩/٤.

(٢) سورة الفيل آية ١..

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٥٠/٤.

(٤) صنمان كانا في مكة حيث يذبح المشركين ذبائحهم.

إنه أسلوب آخر للذم يتفجر من بين كلمات الآية وينبئ عن تهديد ووعيد وتحذير من العاقبة، والاستمرار في الخطأ والضلال لأنها هلكات تقع من غير بطء[1].

٦- قال تعالى: ﴿ وَٱصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [2].

''واصبر'' كلمة تقال لمن يواجه المصاعب والعقبات والأهوال في سبيل دعوته وما أرسله الله من أجله، ألا وهو التبليغ والتبشير لمن اهتدى والإنذار لمن عاند وضل. ولا يمكن أن يجد أي رسول العنت أو المقاومة من الذين يتبعونه بل يجد العذاب والإهانة والصد من الذين يكفرون بالدعوة ويعرضون عنها ويقاومونها وينسون فضل الله عليهم ونعمه ظاهرة وباطنة وقوله سبحانه ''فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملا'' تشجيع وتعضيد من الله لرسوله بأن الصبر والجلد والاستمرار، هي من صفات المؤمنين الذين يريد الله لهم الجزاء الأوفى، لصبرهم على جهل الجاهلين وعناد المعاندين وتكذيب المكذبين، وكذلك الصبر على أداء الفرائض والاستقامة وكبح الشهوات، وعدم الركون إلى الطغاة. والمتمعن في الصور التي تدور بخيالك وأنت تقرأ هذه الآية، يجد أنها تخفي وراءها أفعالا إجرامية لقوم ينكرون الدعوة ويوقعون العذاب والمعاناة بالرسول وأتباعه ولا يكفون عن أذاهم غمضه عين. إنه أسلوب آخر للذم تجلى في آيات عديدة من الذكر الحكيم لو استقرأنا مثل هذه الآيات لنطقت بوضوح وجلاء عما تكنه بين ثناياها من أساليب للذم للكافرين المجرمين. جاء في صفوة التفاسير بشأن هذه الآية[2]: أي أصبر يا محمد على ما تلقى من المكاره ومن أذى المشركين فإن الله معك وهو لا يضيع ثواب المحسنين. وجاء في الكشاف[3]: ''ثم كر إلى التذكير بالصبر بعدما جاء بما هو خاتمة التذكير وهذا الكرور لفضل خصوصية ومزية وتنبيه على مكان الصبر ومحله، كأنه قال: وعليك بما هو أهم مما ذكره به وأحق بالتوصية، وهو الصبر على امتثال ما أمرت به والانتهاء عما نهيت عنه، فلا يتم شيء منه إلا به ''فإن الله لا يضيع أجر المحسنين'' جاء بما هو مشتمل على الاستقامة وإقامة الصلاة والانتهاء عن الطغيان والركون إلى الظالمين والصبر على الكافرين المكذبين وغير ذلك من الحسنات.

٧- وقال تعالى: ﴿ فَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَٱنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴾[4].

يقول الله سبحانه مخاطبا قريش ''سيروا يا معشر قريش في أكناف الأرض ثم انظروا ماذا حل بالأمم المكذبين لعلكم تعتبرون[5]. واسألوا عما كان من أمر من خالف الرسول وكذب الحق وكيف ''دمر الله عليهم وللكافرين أمثالها''[6].

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٤/٧٣.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/٣٦.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٢/٤٣٦.

(٤) سورة النحل آية ٣٦.

(٥) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/١٢٧.

(٦) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٥٥٠.

وسيروا سير معتبرين ''فانظر كيف كان عاقبة المكذبين'' من الأمم السابقة عند مشاهدتهم لآثارهم كعاد وثمود: أي كيف صار آخر أمرهم إلى خراب الديار بعد هلاك الأبدان بالعذاب[1]. إن هذا التهديد وطلب السير لطلب العبرة ناتج عن أعمال قبيحة اقترفتها قريش ضد الرسول وضد الدعوة، وإن لم يكن الله قد أظهرها بطريقة مباشرة، إنما أظهر سبحانه الرد على هذه الأعمال المشينة، وأوردها على شكل نصيحة وطلب إشفاقا عليهم من الاستمرار في طريق الضلال والغواية. إنه أسلوب آخر للذم لا هو بالمباشر ولا غير المباشر لكن أسلوب يعتمد الحوار وإصدار النصائح والتحذير من مغبة الاستمرار في الكفر والتكذيب، وفي ثناياه التهديد والوعيد والعقاب الشديد والسريع إذا لم يعودوا عما هم فيه من عناد واستكبار.

٨- وقال تعالى: ﴿ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴾ [2].

يقول الله سبحانه لنبيه محمد: قل يا محمد لهؤلاء الكافرين الذين يستخبرونك عما وعدتهم من العذاب والبعث. قل لهم. نعم والله إنه كائن لا شك فيه[3] ''وما أنتم بمعجزين'' أي لستم بمعجزين الله بهرب أو امتناع من العذاب بل أنتم في قبضته وسلطانه[4]. وقد أمر الله سبحانه نبيه بأن يحلف على ذلك. وجاء في تفسير القرآن العظيم: ليس صيرورتكم ترابا بمعجز الله عن إعادتكم كما بدأكم من العدم ''إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون'' وهذه الآية ليس لها نظير في القرآن الكريم إلا آيتان أخريان يأمر الله تعالى رسوله أن يقسم به على من أنكر البعث والمعاد في سورة سبأ ''وقال الذين كفروا لا تأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم'' وفي التغابن ''زعم الذين كفروا لن يبعثوا قل بلى وربي لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم وذلك على الله يسير''[5]. ويقول الشوكاني[6]: ''أي يستخبرونك عن جهة الاستهزاء منهم والإنكار أحق ما تعدنا به من العذاب في العاجل والآجل، وهذا السؤال منهم جهل محض، وظلمات بعضها فوق بعض فصنيعهم في هذا التكرير صنيع من لا يعقل ما يقول ولا ما يقال له، وقيل: المراد بهذا الاستخبار منهم هو عن حقيقة القرآن، وارتفاع وحق: مرفوع على أنه خبر مقدم، والمبتدأ: الضمير المنفصل هو، وتقديم الخبر للاهتمام، أو هو مبتدأ والضمير مرفوع به سد مسد الخبر والجملة في محل نصب ليستنبئونك''. وقريء ''الحق هو'' على أن اللام للجنس فكأنه قيل: ''أهو الحق لا الباطل''.

---

(١) فتح القدير للشوكاني: ٣/٢٠٠.

(٢) سورة يونس آية ٥٣.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٥٨٧.

(٤) تفسير الطبري: ١١/١٢٢، وقيل المعنى: لستم بفارين من العذاب بل هو مدرككم لا محالة.

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٤٠٢.

(٦) فتح القدير للشوكاني: ٢/٥٦٠.

قوله ''قل أي ربي إنه لحق'' أمر الله سبحانه رسولهﷺ أن يقول لهم هذه المقالة جوابا عن استفهامهم الخارج مخرج الاستهزاء: أي قل لهم يا محمد غير ملتفت إلى ما هو مقصودهم من الاستهزاء: أي وربي إنه لحق: أي نعم وربي إن ما أعدكم به من العذاب لحق ثابت كائن لا محالة. وفي هذا الجواب تأكيد من أربعة وجوه:

الأول : القسم بالواو وهو حرف ''الواو'' الواقع موقع نعم.

الثاني : دخول إن المؤكدة.

الثالث : اللام في لحق.

الرابع : اسمية الجملة.

وذلك يدل على أنهم بلغوا غاية التمرد والإنكار التي ليس وراءها غاية، ثم توعدهم بأشد توعد، ورهبهم بأعظم ترهيب. فقال ''وما أنتم بمعجزين'' أي فائتين العذاب بالهرب والتحيل الذي لا ينفع، والمكابرة التي لا تدفع من قضاء الله شيئا، وهذه الجملة إما معطوفة على جملة جواب القسم، أو مستأنفة لبيان عدم خلوصهم من عذاب الله بوجه من الوجوه. من هنا نرى أن الذم واضح جلي يظهر مرافقا ومتزامنا مع الكلمات التي تبين أن عذابهم حق وكلمات التهديد والوعيد ''وما أنتم بمعجزين'' إنه أسلوب آخر للذم.

٩- قال تعالى: ﴿ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ ﴾ (١).

هذا أسلوب لا هو بالمباشر ولا غير المباشر لكنه أسلوب آخر للذم يختلف عن النوعين السابقين وكأن الله يقول ''وقليل من عبادي الشكور'' أما الأكثرية فهي الجاحدة لأنعم الله تنكر على الله حقه في الطاعة والعبادة والخوف والرهبة والدعاء وتكفر بأنعمه التي أسبغها عليها. إن هذه الأكثرية هي التي تزخر بها جهنم وتصليهم نارا وقودها الناس والحجارة. إنه تشجيع للأقلية الشاكرة أن تستمر وتصر على شكرها وإيمانها وتحذير للأكثرية المعاندة والمكابرة للرجوع إلى الحق والتخلي عن الباطل وما ينتهي إليه. إنها كلمات تنم عن التهديد والوعيد للأكثرية حتى تتكص على عقبيها وتعود إلى جادة الصواب لتكون من الشاكرين المصدقين. إن الآية تركت للمؤمنين الفرصة كي يفكروا ويتدبروا ويستنبطوا ما خبأت وراءها من أساليب الذم والتحذير والتهديد. ''وقليل من عبادي الشكور''(٢) أي المتوفر على أداء الشكر. وقيل: من يرى عجزه عن الشكر وعن داود أنه جزأ ساعات الليل والنهار على أهله، فلم تكن تأتي ساعة من الساعات إلا وإنسان من آل داود يصلي. وعن عمر رضي الله عنه أنه سمع رجلا يقول: اللهم اجعلني من القليل، فقال عمر ما هذا الدعاء؟ فقال الرجل: إني سمعت الله يقول ''وقليل من عبادي الشكور'' فأنا أدعوه أن يجعلني من ذلك القليل، فقال عمر: كل الناس أعلم من عمر.

---

(١) سورة سبأ آية ١٣.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٣/٥٧٣.

كما ورد في فتح القدير[1] ''وقليل من عبادي الشكور'' أي العامل بطاعتي الشاكر لنعمتي قليل. ورفع قليل على أنه خبر مقدم، ومن عبادي صفة له، والشكور مبتدأ. وقال الصابوني[2] فيها ''وقليل من عبادي الشكور'' أي قليل من العباد من يشكر الله على نعمه قال ابن عطية: وفيه تنبيه وتحريض على شكر الله[3]. من هنا يتبين لنا أن أسلوب آخر للذم استنبط من كلمات الآية الكريمة واتضح من لفظة ''وقليل'' حيث أن شكر النعمة نوع من أنواع العبادة ودلالة طاعة الله. وإذا كان القليل من يقوم بهذا الشكر فما شأن الأكثرية الساحقة؟ لا شك أن الجواب سهل وبديهي. أنهم منكرون جاحدون ظالمون لأنفسهم مقصرون في طاعة الله معرضون لغضبة سبحانه وعذابه. وما أرسل محمد إلا لتحذيرهم من هذا المصير القاتم وتخليصهم من شرور أنفسهم الأمارة بالسوء والله الهادي إلى سواء السبيل.

١٠- قال تعالي: ﴿أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ وَيُسْئَلُونَ﴾ (٤).

في هذه الآية يسأل الله سبحانه مستنكرا هل شهد الكفار خلق الملائكة وعرفوا أنهم إناث؟ إذن كيف يحكمون ويفترون بما لا يعلمون؟ إنه استفهام استنكاري وفيه تعجب من تبجحهم وصلفهم. وفيه تهديد ''سنكتب شهادتهم'' ووعيد ''ويسألون''. إن الله سبحانه سيأمر الملائكة بأن يكتبوا شهادة هؤلاء الكفرة الفجرة وسيسألهم عن افترائهم هذا ويعاقبهم عليه أشد العقاب. إنه أسلوب آخر للذم تفوح منه رائحة التهديد والوعيد بأوخم العواقب للذين فجروا وكذبوا وتطاولوا على ربهم واستكبروا. يقول الصابوني[5]: احضروا وقت خلق الله لهم ''الملائكة'' حتى عرفوا أنهم إناث؟ وهذا تجهيل وتهكم بهم ''سنكتب شهادتهم ويسألون'' أي سنأمر الملائكة بكتابة شهادتهم الكاذبة في ديوان أعمالهم ويسألون عنها يوم القيامة، وهو وعيد شديد قال المفسرون: حكى تعالى عن كفار العرب ثلاثة أقوال شنيعة:

الأول : أنهم نسبوا إلى الله الولد ''تعالى الله عما يفترون''.

الثاني : أنهم نسبوا إليه البنات دون البنين.

الثالث : أنهم حكموا على الملائكة المكرمين بالأنوثة دون دليل ولا برهان، فكذبهم القرآن الكريم في تلك الأقوال، ثم زادوا ضلالا وبهتانا فزعموا أن ذلك برضى الله على سبيل السخرية والاستهزاء.

---

(١) فتح القدير للشوكاني: ٣٩٣/٤.

(٢) تفسير القرطبي: ٢٧٧/١٤.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٤٨/٢.

(٤) سورة الزخرف آية ١٩.

(٥) صفوة التفاسير للصابوني: ١٥٣/٣.

ويقول الزمخشري[1]: إن من عدل الله في خلقه أن يعاقب المسيء منهم بإساءته ويثيب المحسن بإحسانه. وقال بما قدمت أيديهم، لأن أكثر الأعمال تزاول بهن، فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب. قال الشوكاني[2]: الإشارة بقوله ''ذلك'' إلى العذاب وأشار إلى القريب بالصيغة التي يشار بها إلى البعيد للدلالة على بعد منزلته في الفظاعة، وذكر الأيدي لكونها المباشرة لغالب المعاصي. وقوله: ''وإن الله ليس بظلام للعبيد'' معطوف على ''ما قدمت أيديكم'' ويقول سبحانه أنه عذبهم بما أصابوا من الذنب وجازاهم على فعلهم فلم يكن ذلك ظلما، أو بمعنى: أنه مالك الملك يتصرف في ملكه كيف يشاء، وليس بظالم لمن عذبه بذنبه، وقيل: إن وجهه أن نفي الظلم مستلزم للعدل المقتضي لإثابة المحسن ومعاقبة المسيء، ورد بأن التعذيب مع وجود سببه، ليس بظلم عقلا ولا شرعا، وقيل: إن جملة قوله: ''وأن الله ليس بظلام للعبيد'' في محل رفع على أنها خبر مبتدأ محذوف: أي والأمر أن الله ليس بظلام للعبيد، والتعبير بذلك عن نفي الظلم عن الله لتنزهه عن ذلك، ولو كان ظالما لكان عظيما فنفاه على حد عظمه. وقال الصابوني[3]: ذلك العذاب بما اقترفته أيديكم من الجرائم ''وأن الله ليس بظلام للعبيد'' أي وأنه سبحانه عادل ليس بظالم للخلق، والمراد أن ذلك العقاب حاصل بسبب معاصيكم، وعدل الله تعالى فيكم أن يعاقب المسيء ويثيب المحسن[4].

---

(١) الكشاف للزمخشري: ١/٤٤٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ١/٥١١.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٢٤٨.

(٤) الزمخشري في الكشاف: ١/٤٤٦.

المدح بما يشبه الذم

مُقَدِّمَة:

إن ما سنورده في هذا الفصل آيات تبدأ بالابتلاء والاقتراف والامتحان تثير فزع القارئ وتسري الرعدة في أوصاله، ويعتقد أن الأمر مرتبط بعقاب وعذاب، وإذا بالكلمات التالية تخبر بأن الحديث عن المؤمنين المصدقين، فترتاح نفسه وتهدأ، لكنها لا تطمئن تمام الاطمئنان، لأن نفس المؤمن لا تزال في صراع وخوف من الوقوع في المحظور. فالله سبحانه وتعالى قد زين الدنيا وملأها بالمتع والملذات والنعم الوارفة، ليتمتع به خلقه ضمن حدود حددها في كتابه وعلى لسان نبيه، ولم يطلق لها العنان ليتحول الإنسان إلى حيوان متحررا من القيم والمثل سادرا في غيه، ينشر الفساد في الأرض، ويتجبر في خلق الله تساعده أمواله وسلطته وقوته الجسمية وعزوته، بل وضع الله له حدودا لا يتعداها حتى لا تضيع إنسانيته ويفلت الزمام لشهواته وطغيانه. إنه الإنسان المؤمن المهذب الذي يعلم أن فوق قوته قوة الله القاهر الجبار، وفوق سلطته الزائلة سلطة الله الذي لا ينام سلطة أزلية لا تبيد. إن المؤمن متواضع لله يخجل منه سبحانه إذا ارتكب إثما، ويعلم أنه شديد العقاب كما أنه رحمن رحيم. إن الصحة والمال والجاه والعلم والنعمة بشتى أشكالها زينة زين الله بها الدنيا، لتكون دار ابتلاء واختبار للمؤمن، يزن بها عقله وقدرته على كبح جماح نفسه الأمارة بالسوء، وعلى قدر ما يكون من السيطرة على هذه الأهواء والشهوات، يكون قريبا من الله قريبا من الجنة، بعيدا من النار والعذاب. إن لله حدودا أمر عباده إلا يتعدوها، فمن تعداها، فقد كتب على نفسه الهلاك، لأن الدنيا قد غرته بزخرفها ونسي ربه ومحاذيره، فوقع في المحظور وألقي في نار جهنم جزاء ما اقترفت يداه. ولهذا سنورد بعض الآيات التي تبدأ بالابتلاء للمؤمن ونطلق عليها اسم ''المدح الذي يشبه الذم'' لأنها تبدأ بالذم وهو الابتلاء وتنتهي بالإيمان والتصديق.

أساليب المدح بما يشبه الذم باستعمال ألفاظ تدل على الابتلاء

تمهيد

إن هذا المبحث يبدأ بكلمات تدل على الابتلاء للمؤمن مثل: نبلو، ابتلى، ابتلاه، يبلو، وبلوناه، فالنعمة كالنقمة تماما يراد بها اختبار صبر المؤمن وقدرته على وضع حد لشهواته ورغباته في الدنيا وغروره بها فالإنسان المؤمن لا تغره النعمة الزائلة ولا كثرة الأولاد ولا الصحة لأنها نعم أنعمها الله على عبده ليتعبد بها بالصدقة والتواضع ونبذ الغرور والطمع والزهو. فابتلاء المؤمن هو في حقيقته اختبار له ليرى إن كان يحسن التصرف في حدود ما أمر به ربه وبما أتى به نبيه أو كان جاحدا منكرا لأنعمه مغرورا بجهله ظانا أن هذه النعم نتاج عبقريته وذكائه ناسيا أنه خليفة الله في أرضه ائتمنه عليها ليعمر الأرض بها بالتقوى وحب الخير وتكون سبيلا ينال بها سعادة الدارين كما في آية ٧ من سورة الكهف، وليس الابتلاء بالمرض والفقر والعقم فقط إنما ورد في القرآن ابتلاء بالجهاد في النفس والمال والصبر على قتال العدو ليرى إن كان هذا الجهاد خالصا لوجه الله أو لغرض دنيوي زائل يسعى له أو شهرة يطمع إليها كما في آية ٣١ من سورة محمد، كما ابتلى الله سبحانه خليله إبراهيم بما كلفه من الأوامر والنواهي ليختبر صبره وجلده وطاعته واستسلامه فصبر عليها وأصبح قريبا إلى ربه بعيدا عن الكفر والجحود كما في الآية ١٢٤ من سورة البقرة، وإذا ظن الإنسان أن النعمة إكرام له وإطلاق لحريته يفعل ما يشاء دون قيود، واعتقد أن الفقر والمرض هو عقاب وإهانة له مطلقا دون تمعن وتدبر يكون قد جانبه الصواب لأن النعمة والنقمة هي أدوات اختبار لصبره وشكره أو جحوده كما في سورة الفجر آية ١٥، وقد ابتلي المؤمنون في غزوة الأحزاب باجتماع أمة العرب ضدهم لاختبار صبرهم فصبروا ونصرهم الله بإيمانهم وصمودهم كما في الآية ١١ من سورة الأحزاب، وهناك نوع من الابتلاء أصاب المؤمنين في الأشهر الحرم والحج والعمرة وصلح الحديبية ألا وهو الصيد ابتلاهم الله ليعلم من يخافه في الغيب ولا يخالف أمره كما في الآية ٩٤ من سورة المائدة، وقد ابتليت الأمم بالحسنات والسيئات ليعلم الله الصالحين وغير الصالحين منهم كما في الآية ١٦٨ من سورة الأعراف، وأمم الأرض في ابتلاء دائم وكبد باختلاف شرائعهم ودياناتهم ليعلم المؤمنين منهم والكافرين كما في الآية ٤٨ من سورة المائدة.

١- قال تعالى: ﴿لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (١).

إن البلاء والبلوى هو المصيبة وهذا البلاء يجلب الحزن والألم لنفس القارئ والمستمع والابتلاء: هو الاختبار والامتحان.

---

(١) سورة الكهف آية ٧.

لقد ابتلى الله المؤمنين والكافرين، لكن الكافرين اشتروا الدنيا بالآخرة وأفلتوا الزمام لشهواتهم، وغرتهم الحياة الدنيا وأغمضوا عيونهم وصموا آذانهم عن ذكر الله، وتعدوا حدوده، ولم يأبهوا لما ستؤول إليه أمورهم فعقابهم مفروغ منه ولا يتعبون أنفسهم بالتفكر والتدبر، فهؤلاء ليسوا موضوع بحثنا، لكن المؤمنين في هذه الدنيا في اختبار دائم وابتلاء لا ينقطع: لأن الجنة محفوفة بالمكاره والنار تحفها الشهوات. قال ابن كثير[1] ''لنبلوهم أيهم أحسن عملا''. يقول تعالى مسليا لرسولهﷺ في حزنه على المشركين لتركهم الإيمان وبعدهم ''فلا تذهب نفسك عليهم حسرات'' أي لا تهلك نفسك عليهم أسفا وقال قتادة: غضبا وحزنا عليهم، وقال مجاهد جزعا، ثم أخبر الله رسوله أنه جعل الدنيا دارا فانية مزينة بزينة زائلة وإنما جعلها دار اختبار لا دار قرار فقال ''إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها لنبلوهم أيهم أحسن عملا'' قال قتادة عن أبي نضرة عن أبي سعيد عن رسول اللهﷺ أنه قال ''إن الدنيا حلوة خضرة وإن الله مستخلفكم فيها فناظر ماذا تعملون فاتقوا الدنيا واتقوا النساء'' ثم أخبر تعالى بزوالها وفنائها وفراغها وانقضائها وذهابها وخرابها. وقال الشوكاني[2]: ''أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم والحاكم في التاريخ وابن مردويه عن ابن عمر قال: تلا رسول اللهﷺ هذه الآية: ''لنبلوهم أيهم أحسن عملا'' فقلت: ما معنى ذلك يا رسول الله؟ قال: ليبلوكم أيكم أحسن عقلا وأورع عن محارم الله وأسرعكم في طاعة الله'' وأخرج ابن أبي حاتم عن قتادة قال: ليختبرهم ''أيهم أحسن عملا'' قال: أيهم أتم عقلا. وأخرج عن الحسن ''أيهم أحسن عملا'' قال: أشدهم للدنيا تركا، وأخرج أيضا عن الثوري قال: أزهدهم في الدنيا. واللام في ''لنبلوهم'' متعلقة بالفعل ''جعلنا'' في الآية، والمراد بالابتلاء أنه سبحانه يعاملهم معاملة لو كانت تلك المعاملة من غيره لكانت من قبيل الابتلاء والامتحان. وقال الزجاج ''أيهم'' رفع بالابتلاء إلا أن لفظة لفظ الاستفهام، والمعنى: لنمتحن أهذا أحسن عملا أم ذاك؟ قال الحسن: أيهم أزهد، وقال مقاتل: أيهم أصلح فيما أوتي من المال. من هنا نرى أن لفظة ''لنبلوهم'' توحي للقارئ بالسوء المنتظر ثم تأتي لفظتا ''أيهم أحسن'' فتدفعه للتفكر والتدبر أنها توحي بالمدح والأمل والرجاء وهو ما أطلقنا عليه ''أسلوب المدح بما يشبه الذم''. وحسن العمل كما يقول الكشاف[3] الزهد في الدنيا وترك الاغترار بها، ثم زهد في الميل إليها.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/٧١.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٣/٣٣٧، ٣٣٨.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٢/٧٠٤.

٢- وقال تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ﴾ (١).

يقول سبحانه إنه يختبر المؤمنين بالجهاد في سبيل الله والدعوة حتى يظهر المجاهدون والصابرون ''أخباركم'' ما يحكي عنكم وما يخبر به عن أعمالكم، ليعلم حسنها من قبحها؟ لأن الخبر على حسب المخبر عنه: إن حسنا فحسن وإن قبيحا فقبيح، وقرأ يعقوب: ونبلو، بسكون الواو على معنى: ونحن نبلو أخباركم. وقريء: وليبلونكم ويعلم ويبلو بالياء، وعن الفضيل: أنه كان إذا قرأها بكى وقال: اللهم لا تبلنا، فإنك إن بلوتنا فضحتنا وهتكت أستارنا وعذبتنا. وقال الشوكاني: ''ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين'' أي لنعاملنكم معاملة المختبر، وذلك بأن نأمركم بالجهاد حتى نعلم من امتثل الأمر بالجهاد وصبر على دينه ومشاق ما كلف به. قرأ الجمهور الأفعال الثلاثة بالنون، وقرأ أبو بكر عن عاصم بالتحتية فيها كلها ومعنى ''ونبلو أخباركم'' نظهرها ونكشفها امتحانا لكم ليظهر للناس من أطاع ما أمر الله به، ومن عصى، ومن لم يتمثل وقرأ الجمهور ''ونبلو'' ينصب الواو عطفا على قوله ''حتى نعلم'' وروى ورشي عن يعقوب إسكانها على القطع عما قبله.

٣- قال تعالى: ﴿وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ﴾ (٢).

إن من يقرأ هذه الآية تتوقف أنفاسه عند كلمة ''ابتلى'' والابتلاء يكون لخليل الله إبراهيم عليه السلام ويستمر الخوف حتى يصل القارئ إلى ''فأتمهن'' وهنا يشعر القارئ بالراحة وتطمئن نفسه خوفا على إبراهيم أبي الأنبياء وماله من شرف عظيم عند ربه ومنزلة عالية. فالابتلاء هو البلوى نوع من الذم تخيف القارئ على نبيه وتصعقه، ثم ترتاح نفسه بعد ذلك وقد أطلقنا على هذا الأسلوب اسم ''مدح بما يشبه الذم''. قال ابن كثير في تفسيره(٣): يقول تعالى منبها إلى شرف إبراهيم خليله عليه السلام وأن الله جعله إماما للناس يقتدي به في التوحيد حين قام بما كلفه الله به من الأوامر والنواهي ولهذا قال: ''وإذ ابتلى إبراهيم ربه بكلمات'' أي واذكر يا محمد لهؤلاء المشركين وأهل الكتابين الذين ينتحلون ملة إبراهيم وليسوا عليها وإنما الذي هو عليها مستقيم فأنت والذين معك من المؤمنين. اذكر لهؤلاء ابتلاء الله إبراهيم أي اختباره له بما كلفه به من الأوامر والنواهي ''فأتمهن'' أي قام بهن كلهن كما قال تعالى: ''وإبراهيم الذي وفي''.

---

(١) سورة محمد آية ٣١.

(٢) سورة البقرة آية ١٢٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٥٧.

وجاء في الكشاف[1]: ''ابتلى إبراهيم ربه بكلمات'' اختبره بأوامر ونواه. واختبار الله عبده مجاز عن تمكينه من اختيار أحد الأمرين: ما يريده الله، وما يشتهيه العبد، كأنه يمتحنه ما يكون منه حتى يجازيه على حسب ذلك. وقرأ أبو حنيفة رضي الله عنه وهي قراءة ابن عباس رضي الله عنه: ''إبراهيم ربه'' رفع إبراهيم ونصب ربه. والمعنى أنه دعاه بكلمات من الدعاء فعل المختبر هل يجيبه إليهن أم لا؟ فإن قلت: الفاعل في القراءة المشهورة يلي الفعل في التقدير، فتعليق الضمير به إضمار قبل الذكر. قلت الإضمار قبل الذكر أن يقال: ابتلى ربه إبراهيم. فأما ابتلى إبراهيم ربه أو ابتلى ربه إبراهيم، فليس واحدا منهما بإضمار قبل الذكر. أما الأول فقد ذكر فيه صاحب الضمير قبل الضمير ذكرا ظاهرا. وأما الثاني فإبراهيم فيه مقدم في المعنى. وليس كذلك: ابتلى ربه إبراهيم: فإن الضمير فيه قد تقدم لفظا ومعنى ولا سبيل إلى صحته. ''فأتمهن'' بمعنى: فقام بهن حق القيام وأداهن أحسن تأدية من غير تفريط وتوان ونحوه ''وإبراهيم الذي وفى'' وفي الأخرى لله تعالى بمعنى فأعطاه ما طلبه ولم ينقص منه شيئا. وهنا يعلم القارئ أن ابتلاء الله لإبراهيم عليه السلام هو الخير كله لأن اختبار اجتازه إبراهيم الخليل وأدى ما طلبه ربه منه على أحسن وجه. واطمأنت نفس القارئ بعد قلق وترقب وعاد الهدوء إليه واثقا أن المؤمن إنما أراد الله له الابتلاء ليزداد إيمانا ويقينا وقربا من الله وليس ذما له بل هو مدح بما يشبه الذم.

٤- ﴿ فَأَمَّا ٱلْإِنسَٰنُ إِذَا مَا ٱبْتَلَىٰهُ رَبُّهُۥ فَأَكْرَمَهُۥ وَنَعَّمَهُۥ فَيَقُولُ رَبِّىٓ أَكْرَمَنِ ﴾ [2].

ذكر الله سبحانه في الآية السابقة لهذه الآية أنه بالمرصاد من وراء الصراط[3]. ثم ذكر ما يدل على اختلاف أحوال عباده إذا أصابهم الخير أو أصابهم الشر، وأن الدنيا محط أنظارهم ومعظم مقاصدهم فقال: ''فأما الإنسان إذا ما ابتلاه ربه'' أي امتحنه واختبره بالنعم ''فأكرمه ونعمه'' أي أكرمه بإعطائه المال والخير العميم ووسع في رزقه ''فيقول ربي أكرمن'' فيتيه فرحا بما حصل عليه وسرورا بما أعطي، ناسيا أو غافلا عن الحكمة من وراء هذا النوال العظيم والعطاء الجزيل، وسها عن شكر الله على ذلك، ولا خطر بباله أن ذلك امتحان له من ربه واختبار لحاله لاكتشاف صبره وجزعه وشكره للنعمة وكفرانها. و''ما'' في قوله: ''إذا ما'' زائدة، وقوله: ''فأكرمه ونعمه'' تفسير للابتلاء ومعنى ''أكرمن'' أي فضلني بما أعطاني من المال وأسبغه علي من النعم لمزيد استحقاقي لذلك وكوني موضعا له، والإنسان: مبتدأ. وخبره: ''فيقول ربي أكرمن'' ودخلت الفاء فيه لتضمن أما معنى الشرط والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر وإن تقدم لفظا فهو مؤخر في المعنى: أي فأما الإنسان فيقول ربي أكرمني وقت ابتلائه بالإنعام. قال الكلبي: الإنسان هو الكافر أبي بن خلف. وقال مقاتل: نزلت في أمية بن خلف. وقيل: نزلت في عتبة بن ربيعه وأبي حذيفة بن المغيرة.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ١/١٨٣.

(٢) سورة الفجر آية ١٥.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٥/٥٥٤.

وجاء في الكشاف[1]: فإن قلت: بم اتصلت قوله ''فأما الإنسان''؟ قلت: بقوله: ''إن ربك لبالمرصاد'' كأنه قيل: إن الله لا يريد من الإنسان إلا الطاعة والسعي للعاقبة، وهو مرصد للعقوبة للعاصي: فأما الإنسان فلا يهمه إلا العاجلة وما يلذه وبنعمه فيها. فالإنسان: مبتدأ. وقوله سبحانه ''فيقول ربي أكرمن'': خبر المبتدأ ودخول ''الفاء'' على ''أما'' من معنى الشرط، والظرف المتوسط بين المبتدأ والخبر في تقديره التأخير، كأنه قيل: فأما الإنسان فقائل ربي أكرمن وقت الابتلاء، فوجب أن يكون ''فيقول'' الثاني خبرا لمبتدأ واجب تقديره. فإن قلت: كيف سمى كلا الأمرين من بسط الرزق وتقديره ابتلاء؟ قلت: لأن كل واحد منهما اختبار للعبد، فإذا بسط له فقد اختبر حاله أيشكر أم يكفر؟ وإذا قدر عليه فقد اختبر حاله أيصبر أم يجزع؟ والحكمة فيهما واحدة. ويقول ابن كثير في تفسيره[2]: يقول تعالى منكرا على الإنسان في اعتقاده إذا وسع الله تعالى عليه في الرزق ليختبره في ذلك فيعتقد أن ذلك من الله إكرام له، وليس كذلك، بل هو ابتلاء وامتحان كما قال تعالى: ''أيحسبون إنما نمدهم به من مال وبنين*نسارع لهم في الخيرات بل لا يشعرون'' وكذلك في الجانب الآخر إذا ابتلاه وامتحنه وضيق عليه في الرزق يعتقد أن ذلك من الله إهانة له كما قال الله تعالى ''كلا'' أي ليس الأمر كما زعم، لا في هذا ولا في هذا، فإن الله تعالى يعطي المال من يحب ومن لا يحب، ويضيق علة من يحب ومن لا يحب، وإنما المراد في ذلك طاعة الله في كل من الحالين، إذا كان غنيا بأن يشكر الله على ذلك وإذا كان فقيرا بأن يصبر. وجاء في صفوة التفاسير بشأن هذه الآية[3]: لقد سبقت هذه الآية بقوله سبحانه ''إن ربك لبالمرصاد'' أي إن ربك يا محمد ليرقب عمل الناس، ويحصيه عليهم، ويجازيهم به قال في التسهيل: المرصاد المكان الذي يرتقب فيه الرصد، والمراد أنه تعالى رقيب على كل إنسان، وإنه لا يفوته أحد من الجبابرة والكفار، وفي ذلك تهديد لكفار قريش[4]. ولما ذكر تعالى ما حل بالطغاة والمتجبرين، ذكر هنا طبيعة الإنسان الكافر، الذي يبطر عند الرخاء، ويقنط عند الضراء فقال ''فأما الإنسان إذا ما ابتلاء ربه'' أي إذا اختبره وامتحنه ربه بالنعمة ''فأكرمه ونعمه'' أي فأكرمه بالغنى واليسار، وجعله منعما في الدنيا بالبنين والجاه والسلطان ''فيقول ربي أكرمن'' أي فيقول ربي أحسن إلي بما أعطاني من النعم التي استحقها، ولم يعلم أن هذا ابتلاء له أيشكر أم يكفر؟. وجاء في البرهان في علوم القرآن[5]: ''فيقول ربي أكرمن'' إن هذا الإنسان يعتبر منزلته عند الله في الملكوت بما يبتليه ''الله'' في الدنيا، وهذا من الإنسان خطأ، لأن الله تعالى يبتلي الصالح والطالح، لقيام حجته على خلقه.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ١٤٨/٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥١٠/٤.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٥٧/٣.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ١٩٧/٤.

(٥) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٢/٢.

الإعراب :

فأما : **الفاء** : استئنافية. **أما** : حرف شرط وتفصيل لحالات الإنسان.

الإنسان : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

إذا : ظرف لما مضى من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه.

ما : زائدة.

ابتلاه : ابتلا : فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. الهاء: ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به.

ربه : رب : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة علي آخره وهو مضاف. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. وجملة ''ابتلاه ربه'' في محل جر مضاف إليه وهو فعل الشرط وجواب الشرط محذوف دل عليه جواب ''أما'' وهو خبر المبتدأ.

فأكرمه : **الفاء** : حرف عطف مبني. أكرم : فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة على آخره. **الفاعل** : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى ''رب''. الهاء : ضمير متصل مبني على الضم في محل نصب مفعول به. وجملة ''أكرمه'' في محل جر معطوفة على جملة ''ابتلاه ربه''.

ونعمه : **الواو** : حرف عطف مبني. نعم : فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة على آخره. **والفاعل** : ضمير مستتر تقديره هو يعود على ''رب''. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به وجملة ''نعمه'' في محل جر معطوفة على جملة ابتلاه ربه.

فيقول : **الفاء** : واقعة في جواب الشرط. **يقول** : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. **الفاعل** : ضمير مستتر تقديره هو يعود على الإنسان وجملة ''يقول'' في محل رفع خبر المبتدأ ''الإنسان'' واصل التركيب: مهما يكن فالإنسان يقول[1] ...

ربي : رب : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة منع من ظهور اشتغال المحل بحركة المناسبة وهو مضاف. ياء المتكلم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

---

(١) إعراب القرآن الكريم وصرفه وبيانه لمحمود صافي: ٣٢٤/٢٩.

أكرمن : **أكرم** : فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة. **والفاعل** : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى ''رب''. **النون** : نون الوقاية. **والياء المحذوفة** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به وجملة ''أكرمن'' في محل رفع خبر المبتدأ ''رب'' وجملة ''ربي أكرمن'' في محل نصب مقول القول.

من هنا نجد أن الآية التي يبدأ القارئ فيها بكلمة ''ابتلاه'' يشعر بالخوف والجزع لأنه يشعر بالابتلاء والشر. ثم تهدأ نفسه عندما يقرأ كلمة ''فأكرمه ونعمه'' ويتوقف ليفكر ويتدبر فيرى أن ابتلاء الله لعبده باختباره بالنعم والخير العميم والسلطان والجاه، ليراه أكان شاكرا لنعمه فيكافئه على شكره بالزيادة في الدنيا والنعيم في الآخرة.

أم كان كافرا لأنعمه فيقع تحت طائلة غضب ربه وينال العذاب في الآخرة. وهكذا نجد أن هذا مدح بما يشبه الذم.

٥- قال سبحانه: ﴿ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴾ (١).

يقول ابن كثير في هذه الآية(٢): يقول تعالى مخبرا عن ذلك الحال حين نزلت الأحزاب حول المدينة والمسلمون محصورون في غاية الجهد والضيق، ورسول الله ﷺ بين أظهرهم، أنهم ابتلوا واختبروا وزلزلوا زلزالا شديدا من أعماقهم، فظهر النفاق وأهله، وتكلم الذين في قلوبهم مرض بما في أنفسهم ''وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا'' أما المنافق فنجم نفاقه، والذي في قلبه شبهة أو حسكة لضعف حاله فتنفس بما يجده من الوسواس في نفسه لضعف إيمانه وشدة ما هو فيه من ضيق الحال. وراحوا يثبطون عزائم المدافعين عن المدينة، فتراجع المنافقون وعادوا إلى منازلهم وبقي المؤمنون الصابرون الذين اشتروا الآخرة بالدنيا ومتاعها الزائل وصمدوا في مواقعهم يرجون لقاء ربهم صامدين محتسبين رباطهم ومجاهدة أنفسهم لله. وجاء في فتح القدير(٣): ''هنالك ابتلي المؤمنون'' الظرف منتصب بالفعل الذي بعده، وقيل: بتظنون، واستضعفه ابن عطية، وهو ظرف مكان يقال للمكان البعيد هنالك كما يقال للمكان القريب هنا، وللمتوسط هناك. وقد يكون ظرف زمان: أي عند ذلك الوقت ابتلي المؤمنون ومنه قول الشاعر:

وإذا الأمور تعاظمت وتشاكلت فهناك يعترفون أين المفزع

أي في ذلك الوقت. والمعنى: أن في ذلك المكان أو الزمان اختبر المؤمنون بالخوف والقتال والجوع والحصر والنزال ليتبين المؤمن من المنافق. وقوله سبحانه ''زلزلوا زلزالا شديدا'' قال ابن سلام:

---

(١) سورة الأحزاب آية ١١.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣/٤٥٥.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٤/٣٣٠.

معنى زلزلوا: حركوا بالخوف تحريكا شديدا. وقال الضحاك: هو إزاحتهم عن أماكنهم حتى لو لم يكن لهم إلا موضع الخندق، وقيل المعنى أنهم اضطربوا اضطرابا مختلفا، فمنهم من اضطرب في نفسه ومنهم من اضطرب في دينه.

القراءات :

قرأ الجمهور ''زلزلوا'' بضم الزاي الأولى وكسر الثانية على ما هو في الأصل المبني للمفعول، وروي عن أبي عمرو وأنه قرأ بكسر الأولى، وروى الزمخشري عنه أنه قرأ بإشمامها كسرا. وقرأ الجمهور ''زلزالا'' بكسر الزاي الأولى، وقرأ عاصم والجحدري وعيسى بن حمر بفتحها. قال الزجاج: كل مصدر من المضاعف على فعلال يجوز فيه الكسر والفتح: نحو قلقلته قلقالا ، وزلزلوا زلزالا، والكسر أجود.

ويقول الصابوني[1]: أي في ذلك الزمان والمكان امتحن المؤمنون واختبروا، ليتميز المخلص الصادق من المنافق قال القرطبي: وكان هذا الابتلاء بالخوف والقتال، والجوع والحصر والنزال ''وزلزلوا زلزالا شديدا'' أي وحركوا تحريكا عنيفا من شدة ما دهاهم، حتى لكأن الأرض تتزلزل بهم وتضطرب تحت أقدامهم قال ابن جزي: وأصل الزلزلة شدة التحريك وهو هنا عبارة عن اضطراب القلوب وتزعزعها.

الإعراب :

هنالك : اسم إشارة في محل نصب ظرف مكان متعلق بـ''ابتلى''.

ابتلى : فعل ماض مبني للمجهول مبني على الفتح.

المؤمنون : نائب فاعل مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم. وجملة ''ابتلى المؤمنون'' لا محل لها من الإعراب استئناف بياني.

وزلزلوا : الواو : حرف عطف مبني. زلزلوا : فعل ماض مبني للمجهول مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة. الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع نائب فاعل. وجملة ''زلزلوا'' معطوفة على ''ابتلى'' لا محل لها من الإعراب.

زلزالا : مفعول مطلق منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

شديدا : صفة منصوبة وعلامة نصبها الفتحة.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٢/٥١٤.

الصرف :

زلزالا : مصدر قياسي للرباعي زلزل، وقد جاء المصدر على هذه الصيغة ''غير صيغة زلزله'' لأن الفعل من المضاعف الرباعي، وزنه فعلال بكسر فسكون. من هنا نرى أن الآية المذكورة تبدأ بكلمة ''ابتلي'' فيرتجف قلب المؤمن القارئ لهذه الآية ويسارع إلى تكملتها ليرى أي ابتلاء ابتلى الله المؤمنين به، وأي بلاء وقع في المسلمين الأوائل مع رسولهم الكريمﷺ، وهو بين ظهرانيهم يتوجه إلى ربه كل لحظة وحين، سائلا مولاه أن يخفف عن المؤمنين بلواهم. ويتوقف عن الزلزلة التي أصابت قلوب المؤمنين والمنافقين على حد سواء. ولكنه يخرج من هذا القلق لتطمئن نفسه ويهدأ خاطره عندما يصبح على يقين أن هذا الاختبار والامتحان الذي وضع الله المؤمنين أمامه، ليختبر إيمانهم وصبرهم وقوة ثقتهم بربهم الذي وعدهم بالشهادة في الدنيا مع النهاية السعيدة، والنعيم المقيم في الآخرة أو بنصر مؤزر يحمل معه العز في الدنيا مع السؤدد والغلبة. ولكن هذا الاختبار يحمل في طياته نذر الشؤم للمنافقين وضعاف النفوس والإيمان، فلم يسعفهم إيمانهم الضعيف بالصمود في المعركة، ولم يمكنهم اعتقادهم الهزيل من الصبر سويعات حتى يكونوا من الذين أنعم الله عليهم ليجنوا ثمار الصبر بالنصر والغلبة. لقد تعجلوا فجلبوا على أنفسهم العار في الدنيا وحصدوا العذاب المقيم في الآخرة. وهكذا نجد أننا أمام آية تبين المدح للمؤمنين الصابرين المحتسبين بما يشبه الذم.

٦- أما الآية التالية وهي من سورة المائدة وفيها ابتلاء للمسلمين أيضا ولكنه نوع مختلف من الابتلاء قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَيَبْلُوَنَّكُمُ ٱللَّهُ بِشَيْءٍ مِّنَ ٱلصَّيْدِ﴾ (١).

قال ابن كثير(٢): قال الوالبي عن ابن عباس قوله ''ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم'' قال هو الضعيف من الصيد وصغيره، يبتلي الله به عباده في إحرامهم حتى لو شاؤوا لتناولوه بأيديهم فنهاهم الله أن يقربوه وقال مجاهد ''تناله أيديكم'' يعني صغار الصيد وفراخه ''ورماحكم'' يعني كباره وقال مقاتل بن حيان: أنزلت هذه الآية في عمرة الحديبية فكانت الوحش والطير والصيد تغشاهم في رحالهم، لم يروا مثله قط فيما خلا، فنهاهم الله عن قتله وهو محرمون ''ليعلم الله من يخافه بالغيب'' يعني أنه تعالى يبتليهم بالصيد يغشاهم في رحالهم يتمكنون من أخذه بالأيدي والرماح سرا وجهرا لتظهر طاعة من يطيع منهم في سره أو جهره. وقال الزمخشري في كشافه(٣): نزلت هذه الآية عام الحديبية ابتلاهم الله بالصيد وهم

---

(١) سورة المائدة آية ٩٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٩٢/٢.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٦٧٧/١.

محرمون، وكثر عندهم حتى كان يغشاهم في رحالهم فيستمكنون من صيده، أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم ليتميز من يخاف عقاب الله بالغيب في الآخرة فيتقي الصيد، ممن لا يخافه فيقدم عليه، وهنا نجد الابتلاء ثم الوعيد لاحق به، قال الزمخشري: فأن قلت: ما معنى التقليل والتصغير في قوله سبحانه ''بشيء من الصيد''؟ قلت: قلل وصغر ليعلم أنه ليس بفتنة من الفتن العظام التي تدحض عندها أقدام الثابتين، كالابتلاء ببذل الأرواح والأموال، وإنما هو شبيه بما ابتلي به أهل أيلة من صيد السمك، وأنهم إذا لم يثبتوا عنده فكيف شأنهم عندما هو أشد منه. وقد احتج الشيخ الإمام أحمد بن منير السكندري على هذا التفسير للزمخشري فقال يرحمه الله: ''وقد وردت هذه الصيغة بعينها في الفتنة العظيمة في قوله تعالى ''ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع ونقص من الأموال والأنفس والثمرات وبشر الصابرين'' فلا خفاء في عظم هذه البلايا والمحن التي يستحق الصابر عليها أن يبشر، لأنه صبر على عظيم. فقول الزمخشري إذا ''إنه قلل وصغر تنبيها على أن هذه الفتنة ليست من الفتن العظام'' مدفوع باستعمالها مع الفتن المتفق على عظمها. والظاهر -والله أعلم- أن المراد بما يشعر به اللفظ من التقليل والتصغير، للتنبيه على أن جميع ما يقع الابتلاء به من هذه البلايا بعض من كل بالنسبة إلى مقدور الله تعالى، وأنه تعالى قادر على أن يكون ما يبلوهم به من ذلك أعظم مما يقع وأهول، وأنه مهما اندفع عنهم مما هو أعظم في المقدور، فإنما يدفعه عنهم إلى ما هو أخف وأسهل. لطفا بهم ورحمة: ليكون هذا التنبيه باعثا لهم على الصبر وحاملا على الاحتمال، والذي يرشد إلى أن هذا مراد أن سبق التوعد بذلك لم يكن إلا ليكونوا متوطنين على ذلك عند وقوعه. فيكون أيضا باعثا على تحمله، لأن مفاجأة المكروه بغتة أصعب، والإنذار به قبل وقوعه مما يسهل موقعه، وحاصل ذلك لطف في القضاء، فسبحان اللطيف بعباده. وإذا فكر العاقل فيما يبتلى به من أنواع البلايا، وجد المندفع عنه منها أكثر من ما لا يقف عند غاية. وجاء في فتح القدير[1]: قوله ''ليبلونكم'' أي ليختبرنكم، واللام جواب قسم محذوف، كان الصيد أحد معايش العرب فابتلاهم الله بتحريمه مع الإحرام وفي الحرم، كما ابتلى بني إسرائيل أن لا يعتدوا في السبت، وكان نزول الآية في عام الحديبية، أحرم بعضهم وبعضهم لم يحرم، فكان إذا عرض صيد اختلفت فيه أحوالهم. وقد اختلف العلماء في المخاطبين بهذه الآية هل هم المحلون أم المحرمون؟ فذهب إلى الأول مالك وإلى الثاني ابن عباس، والراجح أن الخطاب للجميع، ولا وجه لقصره على البعض دون البعض، و''من'' في ''من الصيد'' للتبعيض وهو صيد البر، قاله ابن جرير الطبري وغيره، وقيل إن ''من'' بيانيه: أي شيء حقير من الصيد، وتنكير شيء للتحقير. قوله: ''تناله أيديكم ورماحكم'' قرأ ابن وثاب ''يناله'' بالياء التحتية، هذه الجملة تقتضي تعميم الصيد، وأنه لا فرق بين ما يؤخذ باليد وهو ما لا يطيق الفرار كالصغار والبيض، وبين ما تناله الرماح: وهو

(١) فتح القدير للشوكاني: ٢/٩٦.

ما يطيق الفرار، وخص الأيدي بالذكر: لأنها أكثر ما يتصرف به الصائد في أخذ الصيد، وخص الرماح بالذكر لأنها أعظم الآلات للصيد عند العرب. وقوله: ''ليعلم الله من يخافه بالغيب'' أي ليتميز عند الله من يخافه منكم بسبب عقابه الأخروي فإنه غائب عنكم غير حاضر وبعد هذا البيان الذي امتحنكم الله به، فإن الاعتداء على الطير بعد العلم بالتحريم معاندة لله سبحانه وتجرئة عليه. ونلاحظ هنا أن الابتلاء جاء مجملا لا يعلم أهم في الحل أم في الحرم[1] بقوله سبحانه: ''ليبلونكم الله بشيء من الصيد...'' ولكن الله سبحانه بينه منفصلا في نفس السورة ولكن في الآية التالية بقوله سبحانه ''لا تقتلوا الصيد وأنتم حرم''. وجاء في صفوة التفاسير[2]: ''يا أيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم'' أي ليختبرنكم الله في حال إحرامكم بالحج أو العمرة بشيء من الصيد تنال صغاره الأيدي وكباره الرماح قال البيضاوي: نزل في عام الحديبية ابتلاهم الله سبحانه وتعالى: بالصيد وكانت الوحوش تغشاهم في رحالهم بحيث يتمكنون من صيدها أخذا بأيديهم وطعنا برماحهم وهم محرمون قال في البحر[3]: وكان الصيد مما تعيش به العرب وتتلذذ باقتناصه ولهم فيه الأشعار والأوصاف الحسنه. ''ليعلم الله من يخافه بالغيب'' أي ليتميز الخائف من الله بطريق الغيب لقوة إيمانه ممن لا يخاف الله لضعف إيمانه ''فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم'' أي فمن تعرض للصيد بعد هذا الإعلام والإنذار فله عذاب مؤلم موجع.

الإعراب :

يا : أداة نداء.

أي : منادى نكرة مقصودة مبني على الضم في محل نصب. الهاء : للتنبيه.

الذين : اسم موصول مبني في محل نصب بدل من أي أو نعت له.

أمنوا : **أمن** : فعل ماض مبني على الضم لاتصاله بالواو. **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''أمنوا'': صلة الموصول ''الذين'' لا محل لها من الإعراب. وجملة ''يا أيها الذين...'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٢/٣٢٨.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٣٦٤.

(٣) البحر المحيط لأبي حيان: ٤/١٦.

ليبلونكم : **اللام** : للقسم. **يبلون** : فعل مضارع مبني على الفتح لاتصاله بنـــون التوكيـد الثقيلة. **ونون التوكيد** : لا محل لها من الإعراب.
كم : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''ليبلونكم'' جـواب قسم مقدر لا محل لها من الإعراب والقسم وجوابه لا محل له مـــن الإعـراب جواب النداء.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

بشيء : جار ومجرور.

من الصيد : جار ومجرور.

تناله : **تنال** : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. **الـهاء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به.

أيديكم : **أيدي** : فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الياء منع من ظـهورها الثقل وهو مضاف. **كم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. وجملـة ''تناله أيديكم'' في محل نصب حال من الصيد.

ورماحكم : **الواو** : حرف عطف مبني. **رماح** : معطوف على أيدي مرفوع بالضمة وهـو مضاف. **كم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

ليعلم : اللام : لام التعليل. يعلم : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع وعلامة رفعه الضمة وجملة ''يعلم الله'' لا محل لـها صلة الموصول الحرفي ''أن''.

من : اسم موصول مبني في محل نصب مفعول به.

يخافه : **يخاف** : فعل مضارع مرفوع بالضمة. **الفاعل** : ضمير مستتر تقديره هو يعـود على ''من''. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملـــة ''يخافه'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

البلاء بالحسنات، وهنا لا بد من الرجوع بالقراءة من بداية الآية حتى يقف على حقيقة ما ترنو إليه، ليصل إلى نتيجة مفادها أن الله سبحانه يمتحن الصالحين والمتقين، وما دونهم بالخير والشر لتظهر حقيقة كل فريق، فالصالح يثبت صلاحه ويتضح معدنه والفاسق يستبين حقيقة فساده وفسقه ثم تصفو نفس القارئ ويعود إليها هدوؤها عندما تتضح الرؤيا أمام ناظريه ويعلم أنه أمام مدح بما يشبه الذم.

الإعراب :

وقطعنا هم : **الواو** : حرف عطف مبني. **قطع** : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بـ''نا الفاعلين''. **نا** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. **هم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''قلعناهم'': معطوفة على استئناف مقدر في مجرى قصة بني إسرائيل لا محل لها من الإعراب.

في : حرف جر مبني.

الأرض : اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة. وشبه الجملة ''في الأرض'' من الجار والمجرور متعلق بالفعل ''قطعناهم''.

أمما : حال منصوب وعلامة نصبه الفتحة من الضمير ''هم'' في ''قطعناهم''.

منهم الصالحون : **من** : حرف جر مبني. **هم** : ضمير متصل مبني في محل جر بحرف جر. وشبه الجملة من الجار والمجرور ''منهم'' متعلق بمحذوف خبر مقدم. الصالحون : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم. والجملة الاسمية ''منهم الصالحون'' في محل نصب نعت لـ''أمما''.

ومنهم دون ذلك : **الواو** : حرف عطف مبني. منهم : **من** : حرف جر مبني. **هم** : ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. وشبه الجملة من الجار والمجرور ''منهم'' متعلق بمحذوف خبر مقدم. **دون** : ظرف منصوب نعت لموصوف محذوف هو المبتدأ المؤخر أي ومنهم ناس أو قوم دون ذلك أي أنه حذف الموصوف وأقام الصفة مقامه وهو مضاف. ذلك : ''ذا'' اسم إشارة في محل جر مضاف إليه. وجملة ''منهم دون ذلك'' في محل نصب معطوفة على جملة منهم الصالحون. اللام: للبعد. **والكاف** : للخطاب.

وبلوناهم : الواو : حرف عطف مبني. بلوناهم: بلو : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بالضمير أو ''نا الفاعلين''. نا الفاعلين : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. هم : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول

به.

بالحسنات : جار ومجرور متعلق بالفعل ''بلونا''.

والسيئات : الواو : حرف عطف مبني. السيئات : اسم معطوف مجرور وعلامة جره الكسرة.

لعلهم : لعل : حرف مشبه بالفعل-ناسخ-للترجي. **هم** : ضمير متصل مبني في محل نصب اسم لعل.

يتقون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة. **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''يتقون'' في محل رفع خبر ''لعل''. وجملة ''لعلهم يتقون'' لا محل لها من الإعراب تعليلية.

٨- وقال سبحانه: ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ ﴾[١].

جاء في فتح القدير[٢]: إن الله جعل التوراة لأهلها، والإنجيل لأهله، والقرآن لأهله وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن وأما بعده فلا شرعة ولا منهاج إلا ما جاء به محمدﷺ. وقوله: ''ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة'' بشريعة واحدة وكتاب واحد ورسول واحد ''ولكن ليبلوكم'' أي ولكن لم يشأ ذلك الاتحاد، بل شاء الابتلاء لكم باختلاف الشرائع ''ولكن ليبلوكم'' متعلقا بمحفوظ دل عليه سياق الكلام، ومعنى ''فيما آتاكم'' فيما أنزله عليكم من الشرائع المختلفة باختلاف الأوقات والرسل هل تعملون بذلك وتذعنون له، أو تتركونه وتخالفونه ما اقتضته مشيئة الله وحكمته، وتميلون إلى الهوى وتشترون الضلالة بالهدى. وفيه دليل على أن اختلاف الشرائع هو لهذه العلة، أعني الابتلاء والامتحان لا لكون مصالح العباد مختلفة باختلاف الأوقات والأشخاص. وقوله: ''فاستبقوا الخيرات'' أي إذا كانت المشيئة قد قضت باختلاف الشرائع فاستبقوا إلى فعل ما أمرتم بفعله وترك ما أمرتم بتركه. والاستباق: المسارعة. وجاء في صفوة التفاسير[٣]: قال أبو حيان: لليهود شرعة ومنهاج وللنصارى كذلك والمراد في الأحكام وأما المعتقد فواحد لجميع الناس توحيد وإيمان بالرسل وجميع الكتب وما تضمنته من المعاد والجزاء[٤] ''ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة'' أي لو أراد الله لجمع الناس كلهم

---

(١) سورة المائدة آية ٤٨.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٢/٦١.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٣٤٧.

(٤) البحر المحيط: ٣/٥٠٢.

على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ شيء منها الآخر ''ولكم ليبلوكم في ما آتاكم'' أي شرع الشرائع مختلفة ليختبر العباد هل يذعنون لحكم الله أم يعرضون، فخالف بين الشرائع لينظر المطيع من العاصي ''فاستقبوا الخيرات'' أي فسارعوا إلى ما هو خير لكم من طاعة الله واتباع شرعه ومعادكم ومصيركم أيها الناس إلى الله يوم القيامة فيخبركم بما اختلفتم فيه من أمر الدين ويجازيكم بأعمالكم .

البلاغة :

''فاستبقوا الخيرات'' أي بادروا فعل الخيرات وفيه استعارة حيث شبهه بالمتسابقين على ظهور الخيل إذ كل واحد ينافس صاحبه في السبق لبلوغ الغاية المقصودة[1].

وجاء في الكشاف للزمخشري[2]: ''لكل جعلنا منكم'' أيها الناس ''شرعة'' شريعة. وقرأ يحيى بن وثاب بفتح الشين ''ومنهاجا'' وطريقا واضحا في الدين تجرون عليه. وقيل: هذا دليل على أنا غير متعبدين بشرائع من قبلنا ''لجعلكم أمة واحدة'' جماعة متفقة على شريعة واحدة، أو ذوي أمة واحدة أي دين واحد لا اختلاف فيه ''ولكن'' أراد ''ليبلوكم فيما آتاكم'' من الشرائع المختلفة، هل تعملون بها مذعنين معتقدين أنها مصالح قد اختلفت على حسب الأحوال والأوقات، معترفين بأن الله لم يقصد باختلافها إلا ما اقتضته الحكمة؟ أم تتبعون الشبهة وتفرطون في العمل؟ ''فاستبقوا الخيرات'' فابتدروها وتسابقوا نحوها. وجاء في تفسير ابن كثير[3]: ''لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا'' أي السبيل والسنة والشرعة هي الشريعة الذي يبتدأ فيه إلى الشيء ومنه يقال شرع في كذا أي ابتدأ فيه وكذا الشريعة وهي ما يشرع فيها إلى الماء. أما المنهاج فهو الطريق الواضح السهل، والسنن الطرائق. وهذا إخبار عن الأمم المختلفة الأديان باعتبار ما بعث الله به رسله الكرام من الشرائع المختلفة في الأحكام المتفقة في التوحيد كما ثبت في صحيح البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: ''نحن معاشر الأنبياء إخوة لعلات ديننا واحد'' يعني بذلك التوحيد الذي بعث الله به كل رسول أرسله وضمنه كل كتاب أنزله. وأما الشرائع مختلفة في الأوامر والنواهي فقد يكون الشيء في هذه الشريعة حراما ثم يحل في الشريعة الأخرى وبالعكس وخفيفا فيزداد في الشدة في هذه دون هذه وذلك لماله تعالى في ذلك من الحكمة البالغة والحجة الدافعة. يحل الله فيها ما يشاء ويحرم ما يشاء ليعلم من يطيعه ممن يعصيه، والدين الذي لا يقبل الله غيره هو التوحيد والإخلاص لله الذي جاءت به جميع الرسل عليهم الصلاة

---

(١) تلخيص البيان : ص ٣١.

(٢) الكشاف للزمخشري: ١/٦٤٠.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٦٣.

والسلام. وقيل الخطاب لهذه الأمة. ولو كان هذا خطابا لهذه الأمة لما صح أن يقول ''ولو شاء لجعلكم أمة واحدة'' ولكن هذا خطاب لجميع الأمم وإخبار عن قدرته تعالى العظيمة التي لو شاء لجمع الناس كلهم على دين واحد وشريعة واحدة لا ينسخ منا شيء ولكنه تعالى شرع لكل رسول شريعة على حدة ثم نسخها أو بعضها برسالة الأخر الذي بعده حتى نسخ الجميع بما بعث به عبده ورسوله محمداﷺ الذي ابتعثه إلى أهل الأرض قاطبة وجعله خاتم الأنبياء كلهم ''ليبلوكم فيما آتاكم'' أي أنه تعالى شرع الشرائع مختلفة ليختبر عباده فيما شرع لهم ويثبتهم أو يعاقبهم على طاعته ومعصيته بما فعلوه أو عزموا عليه من ذلك كله وقال عبد الله بن كثير ''فيما آتاكم'' يعني من الكتاب ثم إنه تعالى ندبهم إلى المسارعة إلى الخيرات والمبادرة إليها فقال: ''فاستبقوا الخيرات'' وهي طاعة الله واتباع شرعه الذي جعله ناسخا لما قبله والتصديق بكتابه القرآن الذي هو آخر كتاب أنزله.

البلاغة :

وفي هذه عطف لأحد المترادفين على الآخر والمقصد منه التأكيد بقوله سبحانه[1]: ''لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا'' لأن الشرعة والشريعة والمنهاج والسنة هي الطريق الواضح السهل ولها نفس المعنى أو قريب منه. من هنا يتبين لنا أن القارئ عندما يقرأ هذه الآية، يتوقف عند كلمة ''ليبلوكم'' فيستعجل القراءة، كي يتبين نوع البلاء الذي لحق بالمؤمنين من اتباع رسوله الكريم، وعندما تتجلي الغمامة، وتتضح الصورة بالتخيير، ويعلم أنه امتحان للمؤمنين، ويحثهم الله فيه بالثبات على الحق، واتباع ما جاء في القرآن العظيم وما أمر به رسولهم واجتناب، ما نهاهم عنه لينالوا العز في الدنيا والثواب العظيم والنعيم المقيم في الآخرة، فتطمئن نفس القارئ المؤمن ويعلم أنه ليس ذما بل هم أمام مدح بما يشبه الذم.

الإعراب :

لكل : **اللام** : حرف جر مبني. **كل** : اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره. والجار والمجرور ''لكل'' متعلق بالفعل ''جعلنا''.

جعلنا : **جعل** : فعل ماض مبني على السكون لاتصاله بالنا. **النا** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

منكم : **من** : حرف جر مبني. **كم** : ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور ''منكم'' متعلق بمحذوف نعت لـ''كل'' أي لكل نبي منكم.

شرعة : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

ومنهاجا : **الواو** : حرف عطف مبني. **منهاجا** : اسم معطوف على ''شرعة'' منصوب بالفتحة.

ولو : **الواو** : حرف عطف مبني. **لو** : حرف شرط غير جازم.

شاء : فعل ماض مبني على الفتح.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

لجعلكم : **اللام** : واقعة في جواب ''لو''. **جعل** : فعل ماض مبني على الفتحة الظاهرة على آخره. والفاعل : ضمير مستتر تقديره هو. **كم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به أول.

أمة : مفعول به ثان منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره.

واحدة : صفة منصوبة ''لأمة'' وعلامة نصبها الفتحة الظاهرة على آخره.

ولكن : **الواو** : حرف عطف مبني. **لكن** : حرف استدراك مكفوف عن العمل للتسكين.

ليبلوكم : **اللام** : لام التعليل.

يبلو : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة جوازا. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو أي ''الله''.

كم : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. والمصدر المؤول ''أن يبلوكم'' في محل جر باللام متعلق بفعل محذوف تقديره فرقكم.

في : حرف جر مبني.

ما : اسم موصول مبني في محل جر بحرف الجر.

آتاكم : **أتى** : فعل ماض مبني على الفتحة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. الفاعل: ضمير مستتر تقديره هو أي الله. **كم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. والمفعول الثاني محذوف تقديره ''إياه'' وجملة ''آتاكم'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

فاستبقوا : الفاء رابطة لجواب شرط مقدر. استبقوا : فعل أمر مبني على حذف النون. الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل.

الخيرات : منصوب على نزع الخافض أي ''إلى الخيرات'' وهو مفعول به إذا ضمن الفعل معنى ''ابتدروا'' وعلامة نصبه الكسرة لأنه جمع مؤنث سالم.

---

(١) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٤/٥٠.

أساليب المدح بما يشبه الذم باستعمال لفظة يقترف

تمهيد

إن هذا المبحث كسابقة أستعملت فيه كلمة غلب عليها في العربية أنها تأتي مترافقة مع الذنب والإثم ملازمة لهما ويظهر ذلك في شرح معنى الكلمة كما جاء في لسان العرب حيث يتطرق إلى ذهن القاريء عند قراءتها أنها متبوعة بألفاظ تدل على الذم من هنا نرى أن الاقتراف كلمة ملازمة للذنب بل هي كلمة ذنب في معظمها وإن دلت أحيانا على الاكتساب أو القشر، ومن تقع عينه على كلمة يقترف، يتوقع كلمة الذنب أو الخطيئة بعدها، فيستعد نفسيا لمواجهة مصيبة أو ذنب أو ما عداهما، مما يدل على السوء ويستحق الذم. ولكن إذا فوجئ القارئ بكلمة ''حسنة'' تتلو ''يقترف'' فإنه يصحو من غفلته واستغراقه، فيستدرك حالته النفسية ويرجع عن انسيابه في القراءة، ويتوقف عند الكلمة تاركا الاستمرار متمهلا ليتمعن، ويعود إلى مراجعة كتب التفسير إذا كان ممن يحب التعمق والفهم الواعي لكلام الله وبلاغته وإعجازه كما قال تعالى:

﴿وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾(١).

جاء في لسان العرب حول قرف واقترف ما يلي(٢): قرف الذنب وغيره يقرفه قرفا واقترفه: اكتسبه. والاقتراف: الاكتساب. واقترف ذنبا: أي أتاه وفعله. وفي الحديث: ''رجل قرف على نفسه ذنوبا أي كسبها''. ويقال: قرف الذنب واقترفه إذا عمله. وقارف الذنب وغيره: داناه ولاصقه. وقرف الرجل بسوء: رماه. وقرفت الرجل: أي عبته. ويقال: هو يقرف بكذا أي يرمى به ويتهم، فهو مقروف. ابن السكيت: قرفت الرجل بالذنب قرفا إذا رميته. الأصمعي: قرف عليه فهو يقرف قرفا إذا بغى عليه. وأصل القرف: القشر، وقرف عليه قرفا: كذب. وقرفه بالشيء: اتهمه. وفلان قرفتي: أي تهمتي، أو هو الذي أتهمه. وقارف فلان الخطيئة: أي خالطها. وقارف الشيء: داناه، ولا تكون المقارفة إلا في الأشياء الدنيئة أو الدنية. وفي حديث الإفك: إن كنت قد قارفت ذنبا فتوبي إلى الله. والقرف: العدوى. والقرف: مقارفة الوباء. والقرف: الوباء ''أبو عمرو''. والمقرف: النذل.

---

(١) سورة الشورى آية ٢٣.

(٢) لسان العرب المحيط لابن منظور-باب قرف: ٦٧/٣.

يقول ابن كثير في تفسيره[1]: ''ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا'' أي ومن يعمل حسنة نزد له فيها حسنا أي أجرا وثوابا كقوله تعالى ''إن الله لا يظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجرا عظيما'' وقال بعض السلف إن من ثواب الحسنة الحسنة بعدها، ومن جزاء السيئة السيئة بعدها. وقوله تعالى ''إن الله غفور شكور'' أي يغفر الكثير من السيئات ويكثر القليل من الحسنات فيستر ويغفر ويضاعف فيشكر. وجاء في الكشاف للزمخشري[2]: ''من يقترف حسنة'' عن السدي أنها المودة في آل رسول الله ﷺ: نزلت في أبي بكر الصديق رضي الله عنه ومودته فيهم. والظاهر: العموم في أي حسنة كانت، إلا أنها لما ذكرت عقيب ذكر المودة في القربى: دل ذلك على أنها تناولت المودة تناولا أوليا، كأن سائر الحسنات لها توابع وقرئ: يزد، أي يزد الله، وزيادة حسنها من جهة الله مضاعفتها، كقوله تعالى ''من ذا الذي يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة'' وقرئ: حسني وهي مصدر كالبشرى، الشكور في صفة الله: مجاز للاعتداد بالطاعة، وتوفية ثوابها، والتفضل على المثاب. وجاء في فتح القدير للشوكاني[3]: ''ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا'' أصل القرف الكسب، يقال فلان يقرف لعياله: أي يكتسب، والاقتراف: الاكتساب، مأخوذ من قولهم رجل قرفة: إذا كان محتالا. والمعنى: من يكتسب حسنة نزد له هذه الحسنة حسنا بمضاعفة ثوابها. قال مقاتل: المعنى من يكتسب حسنة واحدة نزد له فيها حسنا نضاعفها بالواحدة عشرا فصاعدا. وقيل: المراد بهذه الحسنة هي المودة في القربى والحمل على العموم أولى، ويدخل تحته المودة في القربى دخولا أوليا. ''إن الله غفور شكور'' أي كثير المغفرة للمذنبين كثير الشكر للمطيعين. قال قتادة: غفور للذنوب شكور للحسنات. وقال السدي: غفور لذنوب آل محمد. وجاء في صفوة التفاسير[4]: ''ومن يقترف حسنة نزد له فيها حسنا'' أي ومن يكتسب ويفعل طاعة من الطاعات نضاعف له ثوابها ''إن الله غفور شكور'' أي غفور للذنب شاكر لإحسان المحسن، لا يضيع عنده عمل العامل، ولهذا يغفر الكثير من السيئات، ويكثر القليل من الحسنات. من هنا نتبين أن المفسرين قد أوضحوا أن ''يقترف'' بمعنى يكتسب، ولم يأخذوا بعين الاعتبار ما يتبادر لذهن القارئ من أحاسيس، وما يعتمل في نفسه من مشاعر عندما تقترن كلمة ''يقترف'' بكلمة ''حسنة''، وأخذوها بمعنى ''يكتسب''، ولم يتطرقوا إلى المعنى الغالب للاقتراف، ولم يبينوا قوة الإعجاز في هذه الآية، وما يتبادر إلى الذهن حين قراءتها، لكنني أرى أن اقتران هذه الكلمة ''يقترف'' بكلمة ''حسنة'' تدعو إلى التدبر والتفكر، وإثارة الاهتمام والانتباه إلى كلام الله المعجز. وتريح النفس بعد اضطراب وقلق، وتعود إلى الهدوء بعد الهيجان.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١١٦/٤.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٢٢١/٤.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٦٦١/٤.

(٤) صفوة التفاسير للصابوني: ١٣٩/٣.

فترى المدح للمحسن ومن يأتي بالعمل الطيب بعد أن كان يتوقع الذم عند قراءة كلمة ''يقترف'' وما تثير في الخاطر من دواعي الذم وانتظار الشر. وإذا به أمام مدح بما يشبه الذم.

الإعراب :

من : اسم شرط جازم مبني على السكون في محل رفع مبتدأ.

يقترف : فعل الشرط مجزوم وعلامة جزمه السكون. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى من.

حسنة : مفعول به منصوب بالفتحة. وجملة ''من يقترف...'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

نزد : فعل مضارع جواب الشرط مجزوم. الفاعل : ضمير مستتر تقديره نحن.

له : جار ومجرور متعلق بالفعل نزد.

فيها : جار ومجرور متعلق بالفعل نزد.

حسنا : مفعول به منصوب بالفتحة. وجملة ''نزد له فيها حسنا'' لا محل لها جواب الشرط غير مقترنة بالفاء. وجملتي الشرط والجواب معا في محل رفع خبر المبتدأ ''من''.

إن : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها.

الله : لفظ الجلالة اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة.

غفور : خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

شكور : خبر ثان لان مرفوع وعلامة رفعه الضمة. وجملة ''إن الله غفور شكور'' استئناف بياني لا محل لها من الإعراب.

أساليب المدح بما يشبه الذم باستعمال لفظة امتحن

تمهيد

في هذا المبحث أيضا كسابقيه استعملت كلمة تدل على البلاء والمصيبة فالامتحان نوع من المصائب التي تواجه المؤمن والكافر، تواجه الكافر تعذيبا وعقابا على ما اقترفته يداه وما أبدى من عناد وكفر وصلف تجاه الرسالة المحمدية، أما المؤمن فهي اختبار لجلده وتحمله في سبيل ما يصبوا إليه من عزة في الدنيا ونعيم مقيم في الآخرة. ونلاحظ هنا العامل النفسي للقارئ وما ينتابه من قلق واضطراب فتتسارع أنفاسه حتى يصل إلى ما تطمئن به نفسه فيشعر بالراحة بعد القلق والهدوء بعد الاضطراب فيحمد الله على نعمائه كما قال تعالى:

﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ ﴾(١).

إن من يقرأ كلمة ''امتحن'' الواردة في الآية يتبادر إلى ذهنه فورا ودون تفكير المحن والمصائب، لاختبار صبر المؤمن وجلده وثقته بربه، وأن الله سبحانه واضعه أمام امتحان يقترن بالبلاء والمصيبة، ولا شك أن ذهن القارئ سيسرح بعيدا وتروح به الظنون إلى مجاهل الخوف والترقب. لكنه سرعان ما يأتي على كلمة ''التقوى'' فتهدأ نفسه ويعود من بحور ظنونه، ليستقر عند شواطئ الأمان والاطمئنان عندما تقع عيناه على تكملة الآية ''لهم مغفرة وأجر عظيم'' أنها مشاعر متلاطمة، تعصف بنفس القارئ المؤمن، مشاعر يشوبها الخوف والقلق، ويطغى عليها شعور الأمان والاطمئنان والراحة، لأن الخطاب موجه للمؤمنين المتقين الذين يكافئهم الله بالمغفرة والأجر الجزيل، إننا هنا أمام مدح بما يشبه الذم. يقول الصابوني(٢): ''إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك الذين امتحن الله قلوبهم للتقوى'' أي إن الذين يخفضون أصواتهم في حضرة الرسولﷺ، أولئك الذين أخلص الله قلوبهم للتقوى، ومرنها عليها، وجعلها صفة راسخة فيها. قال ابن كثير: أي أخلصها للتقوى وجعلها أهلا ومحلا ''لهم مغفرة وأجر عظيم'' أي لهم في الآخرة صفح عن ذنوبهم، وثواب عظيم في جنات النعيم. وجاء في كشاف الزمخشري(٣): ''امتحن الله قلوبهم للتقوى'' من قولك: أمتحن فلان لأمر كذا وجرب له، ودرب عليه للنهوض به. فهو مضطلع به غير وان عنه. والمعنى أنهم صبر على التقوى، أقوياء على احتمال مشاقها. أو وضع الامتحان موضع المعرفة: لأن تحقق الشيء باختباره. كما يوضع الخبر موضعها، فكأنه قيل: عرف الله قلوبهم للتقوى، وتكون اللام متعلقة بمحذوف، واللام هي التي قولك: أنت لهذا الأمر، أي كائن له ومختص به.

---

(١) سورة الحجرات اية ٣.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ٣/٢٣٣.

(٣) الكشاف للزمخشري: ٤/٢٥٥.

أو ضرب الله قلوبهم بأنواع المحن والتكاليف الصعبة لأجل التقوى، أي لتثبت وتظهر تقواهـــا، ويعلم أنهم متقون: لأن حقيقة التقوى لا تعلم إلا عند المحن والشدائد والاصطبار عليها. وقيل أخلصـــها للتقوى. من قولهم: امتحن الذهب وفتنه. إذا أذابه مخلص إبريزه من خبثه ونقاه. وعن عمر رضـــي الله عنه: أذهب الشهوات عنها. والامتحان: افتعال من محنة. وهو اختبار بليغ أو بلاء جـــهيد. قـــال أبـــو عمرو: كل شيء جهدته فقد محنته. قيل: أنزلت في الشيخين رضي الله عنهما، لما كـــان منـــهما مـــن غض الصوت والبلوغ به أخا السرار. وهذه الآية بنظمها الذي رتبت عليه من إيقاع الغاضين أصواتـــهم اسما لأن المؤكدة. وتصيير خبرها جمله من مبتدأ وخبر معرفتين معا. والمبتدأ اسم الإشارة، واســـتئناف الجملة المستودعة ما هو جزاؤهم على عملهم، وإيراد الجزاء نكرة: مبهما أمره ناظرة في الدلالة علـــى غاية الاعتداد والارتضاء لما فعل الذين وقروا رسول الله ﷺ من خفض أصواتهم. وفي الإعلام بمبلـــغ عزة رسول الله ﷺ وقدر شرف منزلته، وفيها تعريض بعظيم ما ارتكب الرافعون أصواتهم واستيجابهم ضد ما استوجب هؤلاء.

الإعراب :

إن : حرف توكيد ونصب تدخل على الجملة الاسمية فتنصـــب المبتـــدأ ويســـمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها.

الذين : اسم موصول مبني في محل نصب اسم إن.

يغضون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون لأنه من الأفعـــال الخمســـة. **الواو**: ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''يغضون'' صلـــة الموصول لا محل لها من الإعراب.

أصواتهم : **أصوات** : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهـــو مضاف. **هم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه. وجملـــة ''إن الذين يغضون أصواتهم...'' تعليلية لا محل لها من الإعراب.

أولئك : اسم إشارة للبعد مبني في محل رفع مبتدأ. **الكاف** : للخطاب.

الذين : اسم موصول مبني في محل رفع خبر المبتدأ ''أولئك'' ويمكـــن أن يكـــون الاسم الموصول نعتا أو بدلا لـــ''أولئك''. والجملة الاسمية ''أولئك الذيـــن'' في محل رفع خبر إن.

امتحن : فعل ماض مبني على الفتح.

الله : لفظ الجلالة فاعل مرفوع بالضمة.

قلوب : مفعول به منصوب وعلامة نصبه الفتحة وهو مضاف.

هم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه.

للتقوى : **اللام** : حرف جر مبني. **التقوى** : اسم مجرور باللام وعلامة جره الكسرة المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر. والجار والمجرور ''للتقوى'' متعلق بالفعل ''امتحن''. وجملة ''امتحن الله قلوبهم للتقوى'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

لهم : **اللام** : حرف جر مبني. **هم** : ضمير منفصل مبني في محل جر بحرف الجر. والجار والمجرور ''لهم'' متعلق بمحذوف خبر مقدم للمبتدأ المؤخر ''مغفرة''.

مغفرة : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره. والجملة الاسمية ''لهم مغفرة'' استئنافية بيانيه لا محل لها من الإعراب.

وأجر : **الواو** : حرف عطف مبني. **أجر** : اسم معطوف على ''مغفرة'' مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره.

كريم : صفة مرفوعة وعلامة رفعها الضمة الظاهرة على آخره.

الذم بما يشبه المدح

مُقَدِّمَة

ما سيرد في هذا الفصل من الآيات يبدأ بالخير والأمل والتفاؤل ''على عكس الفصل السابق ''المدح بما يشبه الذم'' الذي يبدأ بالابتلاء والاختبار والاقتراف''. ففي آيات هذا الفصل تسر نفس القارئ ويحدوها الأمل بالثواب الجزيل والأجر العظيم، وإذا به يفاجأ أن هذه الكلمات الطيبة لم تعمر طويلاً بل تبعتها ألفاظ تهديد ووعيد وذم. فيتوقف محبوس الأنفاس وقد اختنقت البسمة على شفتيه وانحسرت بحور الأمل أمام ناظريه وتجهم وجهه تعلوه الكآبة والحزن. فكلمات البِشْر والبُشرى تخفي وراءها التهديد والوعد لما تعبر عنه من ضلال و نكرانٍ جميلٍ وجحود نعمةٍ وعصيان لأمر الله. وقد ابتدرتنا الآيات بكلمات تنم عن الخير مثل ''بَشِّره، فَبَشِّرهم، فأثابكم، تمتعوا، سمعنا، لهم قلوب، ويشفعُ، تمتع، إنَّك أنت العزيز الحكيم، ونُزُلٌ، وظل''. كلمات كلها تستعمل في التبشير بالخير والجزاء الحسن على العمل الصالح. ولكن هذه الكلمات وضعت في مواضع لا تنم عن هذا المعنى ولا تعبر عنه، وإنما هي مقدمة لتحذير أو تهديد، أو وعيد بمصير أسود. إنه أسلوب ذمٍ بما يشبه المدح. وقد جاء في مواضع شتى من الذكر الحكيم.

أساليب الذم بما يشبه المدح باستعمال لفظة بَشِّر، أثابكم، وتمتعوا

تمهيد

إمعاناً في السخرية والاستهزاء من الكافرين فقد بدأهم الله بالبشرى لشر نفوسهم ويطلق لهم العنان فتهزهم الفرحة لكن الآية تفاجئهم بأن هذه البشرى ليست بالشكل الذي فهمت فيه ولم يتضح لهم المعنى المراد بل هي عذاب أليم ومصير قاتم وجزاء وفاق لأعمالهم المنكرة وجحودهم الظالم وقد تجلى ذلك في الآية ١٣٨ من سورة النساء، كما أعلم الله المؤمنين بمصيرهم وما ستؤول إليه خاتمتهم إذا ساروا على درب من كنز الذهب والفضة من أهل الكتاب وحرم المسلمين هذه النعمة والاستفادة منها كما في الآية ٣٤ من سورة التوبة، لقد تعرض المسلمون لهذا النوع من الذم باستعمال لفظة أثلبكم عندما خالفوا أمر نبيهم في أحد ونزلوا من أماكنهم فأصابهم غم الهزيمة وغم المخالفة كما في الآية ١٥٣ من سورة آل عمران، لكن الكافرين عرضة للتهديد والوعيد بأنواع متعددة من هذه الأساليب لعبادتهم غير الله سبحانه وخشوعهم لأصنام لا تضر ولا تنفع فيأتي الأسلوب مفعماً بالتحقير والنهاية السوداء المحتومة كما في آية ٣٠ من سورة إبراهيم.

قال تعالى:

١- ﴿ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾[١].

وجاء في المعجم الوسيط باب ''بَشَرَ''[٢]به، بِشْراً: فَرِحَ. وبَشَرَ فلاناً بالأمر: فَرَّحَهُ به. وبَشَرَ فلاناً بوجهٍ طلق: لقيه به. وبَشَرَ الأديم بَشْراً: قَشَرَ وجهَهُ. وبَشَرَ الشاربَ: بالغ في أخذه حتى تظهر بشرتُهُ. وفي الحديث: ''أُمِرْنا أنْ نَبْشُرَ الشَّوَارِبَ بَشْرَاً''، بَشِرَ بالخير بِشْراً: فَرِحَ به وَسُرَّ. وبَشِرَ بالشيء: استبشر به. بَشَّرَ، وبَشُرَ بَشارة: حَسُنَ وجمُلَ فهو بشير، وجمعها بُشَراء، وبشائر. أبْشَرَت الأرض: أخرجت أوَّل نبتها. وأبْشَرَ الرجلُ: فَرِحَ وسُرَّ. والتبشير[٣]: هو الإخبار بما يظهر أثره على البشرة وهو الجلدة الظاهرة، من البِشْر والسرور. والبشارة: جمعها بشائر وبشارات: هي الخبر المفرح.

---

(١) سورة النساء آية ١٣٨.

(٢) المعجم الوسيط باب بَشَرَ.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ١/٧١.

قال ابن كثير[1]: قال تعالى: ''إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً'' إن هؤلاء الذين دخلوا في الإيمان ثم عادوا عنه ثم رجعوا عنه ثم عادوا فيه ثم رجعوا، واستمروا على ضلالهم وازدادوا حتى ماتوا فإنهم لا توبة لهم ولن يغفر الله لهم ولن يجعل الله لهم مما هم فيه فرجاً ومخرجاً ولا طريقاً إلى الهدى ''ثم ازدادوا كفراً'' أي تمادوا على كفرهم حتى ماتوا، وكذا قال مجاهد وروى ابن أبي حاتم من طريق جابر المعلى عن عامر الشعبي عن علي رضي الله عنه أنه قال: يُستَتَاب المرتد ثلاثاً ثم تلا هذه الآية: ''إن الذين آمنوا ثم كفروا ثم آمنوا ثم كفروا ثم ازدادوا كفراً لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً'' ثم قال: ''بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً'' يعني أن المنافقين من هذه الصفة، فإنهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين، بمعنى أنهم معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة، ويقولون لهم إذا خلوا بهم: إنما نحن معكم إنما نحن مستهزئون أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة. ثم بيَّن الله أن العزة لله وحده لا شريك له ولمن جعلها له من المؤمنين. وجاء في الكشاف[2]: قال الزمخشري في هذه الآية: ''بشر'' حيث وضع الله كلمة ''بَشِّر'' مكان: أخبر، تهكما بهم و''الذين'' نصب على الذم أو رفع بمعنى أُرِيْدَ الذين، أو هم الذين كانوا يمالئون الكفرة، ويوالونهم ويقول بعضهم لبعض: لا يتم أمر محمد فتولوا ''اليهود''. ويقول الله سبحانه ''فإن العزة لله جميعاً'' يريد لأوليائه الذين كتب لهم العزة والغلبة على اليهود وغيرهم. وقال الشوكاني[3]: أخبر الله سبحانه عن هذه الطائفة التي تؤمن ثم تكفر ثم تعود للإيمان ثم ازدادوا كفراً بعد ذلك كله، لم يكن الله ليغفر لهم ولا ليهديهم سبيلاً يتوصلون به إلى الحق ويسلكونه إلى الخير، لأنه يستبعد عنهم أن يخلصوا لله ويؤمنوا إيماناً صحيحاً، وهذا الاضطراب منهم بادعائهم الإيمان تارة، والعودة للكفر تارة أخرى ويمرقون من الإيمان، ويرجعون إلى ما هو دأبهم وشأنهم من الكفر المستمر، والجحود الدائم، يدل أبلغ دلالة على أنهم متلاعبون بالدين ليست لهم نية صحيحة ولا قصد خالص. قيل: المراد بهؤلاء اليهود الذين آمنوا بموسى ثم كفروا بعزير، ثم آمنوا بعزير، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ. وقيل آمنوا بموسى، ثم كفروا به بعبادتهم العجل، ثم آمنوا به عند عودته إليهم، ثم كفروا بعيسى، ثم ازدادوا كفراً بكفرهم بمحمد ﷺ. والمراد بالآية أنهم استمروا على كفرهم كما هو الظاهر من حالهم، وإلا فالكافر إذا آمن وأخلص إيمانه وأقلع عن الكفر فقد هداه الله السبيل الموجب للمغفرة، والإسلام يَجُبُّ ما قبله، ولكن لما كان هذا مستبعداً عنهم، كان غفران ذنوبهم وهدايتهم إلى سبيل الحق مستبعداً، وإطلاق البشارة هنا بقوله سبحانه ''بشر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً'' إطلاقها على ما هو شر خالص إنما هم تهكم بهم وسخرية ووعيد.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٥٣٦/١.

(٢) الكشاف للزمخشري: ٥٧٦/١.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٦٦٢/١.

وقال الصابوني[1]: عبَّر تعالى بلفظ ''بَشِّر'' تهكما بهم أي أخبر المنافقين يا محمد بأن لهم عذاباً أليماً في نار جهنم.

٢- وهذا المعنى قد ورد في سورة التوبة قوله سبحانه:﴿ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾[2].

هذه الآية تحذر المؤمنين من مصير أهل الكتاب وما آل إليه مصيرهم إذ يكنزون الذهب والفضة ويأكلون أموال الناس بالباطل قال تعالى: ''يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم''. قال السدي: وحسب ما جاء في تفسير القرآن العظيم[3]. الأحبار من اليهود والرهبان من النصارى، وهو كما قال: فإن الأحبار هم علماء اليهود، والرهبان عُبّاد النصارى والقسيسون علماؤهم كما قال تعالى ''ذلك بأن منهم قسيسون ورهبانا'' والمقصود التحذير من علماء السوء وعُبّاد الضلال. كما قال سفيان بن عيينة: من فسد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فَسَدَ من عُبّادنا كان فيه شبه من النصارى. وفي الحديث الصحيح ''لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذّة بالقذه'' قالوا اليهود والنصارى؟ قال ''فمن؟'' وفي رواية أخرى فارس والروم؟ قال: ''فمن الناس إلا هؤلاء؟'' والحاصل التحذير من التشبه بهم في أقوالهم وأحوالهم ولهذا قال تعالى ''ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله'' وذلك أنهم يأكلون الدنيا بالدين ومناصبهم ورياستهم في الناس يأكلون أموالهم بذلك كما كان لأحبار اليهود على أهل الجاهلية شرف ولهم عندهم خرج وهدايا وضرائب تجيء إليهم. فلما بعث الله محمداً رسول الله ﷺ استمروا على ضلالهم وكفرهم وعنادهم طمعاً منهم أن تبقى لهم تلك الرياسات فأطفأها الله بنور النبوة وسلبهم اياها وعوضهم الذل والصغار وباؤوا بغضب من الله تعالى. وقوله تعالى ''ويصدون عن سبيل الله'' أي وهم مع أكلهم الحرام يصدون الناس عن اتباع الحق ويلبسون الحق بالباطل، ويظهرون لمن اتبعهم من الجهلة أنهم يدعون إلى الخير وليسوا كما يزعمون بل هم دعاة إلى النار ويوم القيامة لا ينصرون. وقوله سبحانه ''والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله'' هؤلاء هم القسم الثالث من رؤوس الناس. فإن الناس عالة على العلماء وعلى العُبّاد وعلى أرباب الأموال. فإذا فسدت أحوال هؤلاء فسدت أحوال الناس. وأما المال الذي تؤدى زكاته فليس بكنز حتى لو كان تحت الأرض. وما كان ظاهراً ولا تؤدى زكاته فهو كنز. وقد وجدت الزكاة لتطهير المال وتنمية وتوزيع الثروة بين عباده المؤمنين، حتى لا يعم الفقر الغالبية العظمى من أبناء المجتمع. وحتى يسود التكافل الاجتماعي وتعم المحبة والألفة أفراد هذا المجتمع المسلم.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٣١١.

(٢) سورة التوبة آية ٣٤.

(٣) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/ ٣٣٥.

ومن يمتنع عن أداء هذه الفريضة العظيمة ''فبشره بعذاب أليم'' وهذه البشرى ما هي إلا تهكم وسخرية وتهديد لهذه الفئة الضالة التي لا هم لها إلا مصالحها الأنانية. متجاهلة فريضة أساسية عظيمة وركناً من أركان الإسلام الخمسة. لا يتهاون الإسلام في أخذها من القادرين كحق مشروع في أموالهم للفقراء والمعوزين. ليس لهم فيه فضل ولا منة. وقد قاتل أبو بكر الممتنعين عن أدائها بعد التحاق الرسول الكريم بالرفيق الأعلى، واعتبر الممتنعين عن أداء هذه الفريضة مرتدين عن الإسلام يجب مقاتلتهم حتى يعودوا إلى جادة الصواب والحق. وإذا كان الله قد بشر هؤلاء المكتنزين للذهب والفضة، والناسين لحق الله في هذه الأموال التي استخلفهم عليها، فقد كتب عليهم الذل في الدنيا والخسران والعذاب الأليم في الآخرة. وجاء في الكشاف[1]: معنى ''أكلهم أموال الناس بالباطل'' أي أنهم كانوا يأخذون الرشا في الأحكام، والتخفيف والمسامحة في الشرائع. ''والذين يكنزون'' إشارة إلى الكثير من الأحبار والرهبان، للدلالة على اجتماع خصلتين مذمومتين فيهم: أخذ البراطيل، وكنز الأموال. والضن بها عن الإنفاق في سبيل الخير. ويجوز أن يراد المسلمون الكانزون غير المنفقين ويقرن بينهم وبين المرتشين من اليهود والنصارى، تغليظاً ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطي منكم طيب ماله: سواء في استحقاق البشارة بالعذاب الأليم. وقيل: نسخت الزكاة آية الكنز. وقيل: هي ثابتة، وإنما عنى بترك الإنفاق في سبيل الله منع الزكاة. وعن النبي ﷺ: ''ما أدي زكاته فليس بكنز وإن كان باطناً، وما بلغ أن يزكى فلم يزكَّ فهو كنز وإن كان ظاهراً''. وقال الشوكاني[2]: قال تعالى: ''إن كثيراً من الأحبار والرهبان'' يعني علماء اليهود والنصارى. ليأكلون أموال الناس بالباطل'' والباطل كتب كتبوها لم ينزلها الله فأكلوا بها أموال الناس، وذلك قول الله تعالى: ''فويل للذين يكتبون الكتاب بأيديهم ثم يقولون هذا من عند الله''[3]. وأخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ''والذين يكنزون الذهب والفضة'' قال: هؤلاء الذين لا يؤدون الزكاة من أموالهم، وكل مال لا تؤدى زكاته-كان على ظهر الأرض أو في باطنها-فهو كنز، وكل مال أديت زكاته فليس بكنز، كان على ظهر الأرض أو في باطنها. وقد فرضت هذه الفريضة لتكون طهارة للأموال مهما عظمت وتفخمت. فحق الله فيها يزيدها خيراً وبركة ويعم خيرها المجتمع الإسلامي بأكمله. وتطهر نفوس المؤدين لهذا الركن، ويظهر عليهم شكر النعمة ويدفعون عن أنفسهم الجحود وكفر النعمة وما تؤول إليه آخرتهم من عذاب وخسران مبين.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٢/٢٦٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٢/٤٤٤.

(٣) سورة البقرة: آية ٧٩.

وجاء في صفوة التفاسير[1]: قال تعالى: ''يا أيها الذين آمنوا إن كثيراً من الأحبار والرهبان'' أي يا أيها الذين صدقوا الله ورسوله إن كثيراً من علماء اليهود ''الأحبار'' وعلماء النصارى ''الرهبان'' ''ليأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله'' أي ليأخذون أموال الناس بالحرام، ويمنعونهم عن الدخول في دين الإسلام. والمقصود التحذير من علماء السوء، وعُبّاد الضلال. قال ابن عيينة: من فَسَد من علمائنا كان فيه شبه من اليهود، ومن فَسَدَ من عُبّادنا كان فيه شبه من النصارى[2]. ''والذين يكنزون الذهب والفضة'' أي يجمعون الأموال ويدخرون الثروات ''ثم لا ينفقونها في سبيل الله'' أي لا يؤدون زكاتها ولا يبذلون منها في وجوه الخير. قال ابن عمر: الكنز ما لم تؤد زكاته، وما أديت زكاته فليس بكنز. ''فبشرهم بعذاب أليم'' أسلوب تهكم أي أخبرهم يا محمد بالعذاب الأليم في دار الجحيم. قال الزمخشري: وإنما قرن بين الكانزين وبين اليهود والنصارى تغليظاً عليهم ودلالة على أن من يأخذ منهم السحت، ومن لا يعطي من المسلمين من طيب ماله، سواء في استحقاق العذاب الأليم. ويقول لهم سبحانه ''هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون'' أي يقال لهم تبكيتاً وتقريعاً هذا ما ادخرتموه لأنفسكم وهو العذاب الذي يصيبكم جراء مخالفتكم لأوامر الله بدفع الزكاة وتطهير أموالكم ودفع الحق المشروع في أموالكم التي استخلفكم الله عليها. ولم تجمعوها بمهارتكم أو بذكائكم. وإنما امتحنكم الله بها ليرى صبركم وشكركم لنعمائه. فكنتم الجاحدين لهذه النعمة، الناكرين فضل الله عليكم، فمآلكم وأموالكم إلى الزوال. وينتهي بكم الأمر إلى الجحيم المقيم يوم المعاد.

الإعراب :

''يا أيها الذين أمنوا''

يا : أداة نداء للبعيد والقريب.

أيُّ : منادى مبني على الضم في محل نصب لأنه نكرة مقصودة. الهاء : للتنبيه.

الذين : اسم موصول مبني في محل نصب نعت لـ ''أي'' أو بدل منه.

آمنوا : آمن : فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة. الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''آمنوا'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٥٣٣/١.

(٢) مختصر تفسير ابن كثير للصابوني: ١٣٨/٢.

والفضة : **الواو** : حرف عطف. **الفضة** : معطوف على ''الذهب'' منصوب بالفتحة. وجملة ''الذين يكنزون...'' معطوفة على جواب النداء لا محل لها من الإعراب.

ولا : **الواو** : حرف عطف. **لا** : النافية لا محل لها من الإعراب.

ينفقونها : **ينفقون** : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون من الأفعال الخمسة. **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''لا ينفقونها...'' معطوفة على يكنزون لا محل لها من الإعراب.

في سبيل : جار ومجرور. **سبيل** : مضاف والجار والمجرور متعلق بـ''ينفقونها''.

الله : لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور بالكسرة.

''فبشرهم بعذاب أليم''

الفاء : زائدة لمشابهة الموصول للشرط. **بَشِّرْ** : فعل أمر مبني على السكون. الفاعل ضمير مستتر تقديره أنت. **هم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''بشرهم...'' في محل رفع خبر المبتدأ ''الذين''.

بعذاب : جار ومجرور متعلق بالفعل ''بَشِّرْ''.

أليم : صفة مجرورة بالكسرة.

٣- ومن أمثلة ''الذم بما يشبه المدح'' ما ورد في قوله تعالى:

﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِىٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾(١).

فالثواب: هو الجزاء الحسن والأجر الأوفى الذي يناله المحسن إذا أحسن. والمثوبة هي الجزاء على الأعمال خيرها وشرها وأكثر استعمالها في الخير. أثاب الرجل إثابة: جازاه، وثوَّبَهُ: عوَّضَهُ وهذه الكلمة يستحقها وينالها من يحسن صنيعاً أو يعمل عملاً صالحاً. وثواب الآخرة للمؤمنين المجاهدين الصابرين جنات عدن ونعيم مقيم. يقول سبحانه:

﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُوا۟ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾(٢).

﴿وَمَن يُرِدْ ثَوَابَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران آية ١٥٣.

(٢) سورة المائدة آية ٨٥.

(٣) سورة آل عمران آية ١٤٥.

﴿ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾(١).

﴿ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴾(٢).

وهناك العديد من الآيات التي ورد فيها الثواب جزاءً وفاقاً لعمل الإنسان في الدنيا وحصاد لما زرع في الدنيا من الإيمان والصبر والنفقة وغيرها. ولكن في فصلنا هذا وجدت في مكان لا يبشر بالخير وإنما يتبعه غم وهم وعقاب للمخالفين أمر رسولهم الناسين واجباتهم في غمرة الفرحة المؤقتة والاندفاع وراء متاع آني زائل جلب الندامة والخسران على المخالفين والطامعين بالمغانم ومتاع الدنيا. يقول ابن كثير في تفسير هذه الآية: ''إذ تصعدون ولا تلوون على أحد'' أي لقد صرفكم الله عن أعدائكم وأنتم هاربون تصعدون جبل أحد فراراً من الأعداء خشية الموت. و''تصعدون'' أي إلى الجبل ''لا تلوون'' لا تلتفتون خلفكم خوفاً ورعباً ودهشة.

''والرسول يدعوكم من أخراكم'' أي رسول الله يدعوكم أن تعودوا إلى قتال أعدائكم بعد أن خلفتوه وراء ظهوركم ثابتاً كالطول، يقاتل أعداء الله بصبر وعزيمة وقوة، يقاتل ويستحثكم على ترك الفرار من الأعداء، وإعادة الكرة على الأعداء ثانية، بعد أن تفرق شملكم وتشتت جمعكم، إذ دخل بعضكم المدينة والتجأ البعض إلى الجبل فوق الصخرة. ولم يبق مع الرسول ﷺ سوى اثني عشر رجلاً. وكانت الهزيمة سبب مخالفة أمر الرسول من قبل الرماة، الذين كانوا على قمة جبل أحد بقيادة عبد الله بن جبير، وكانوا خمسين رجلاً حيث وضعهم الرسول ﷺ موضعاً وقال لهم: ''إن رأيتمونا تخطفنا الطير فلا تبرحوا حتى أرسل إليكم'' وهُزمت قريش وهُزِم أعداء الله. فقال أصحاب عبد الله بن جبير: الغنيمة أي قوم، الغنيمة، ظهر أصحابكم فما تنظرون؟ فقال عبد الله: أنسيتم ما قال لكم رسول الله؟ فقالوا: إنا والله لنأتين الناس فلنصيبن من الغنيمة. فلما أتوهم، صرفت وجوههم، لأن الأعداء كانوا قد احتلوا مواقعهم في أحد، ورشقوهم بالنبال والسهام حتى هزموهم ولم يتمكنوا من الغنائم، بل ولى كل فرد مدبراً يبحث عن النجاة بنفسه، فمنهم من لاذ بالجبل ومنهم من لاذ فاراً إلى المدينة. ولوا هاربين لا يلوون على شيء والرسول يدعوهم من قلب المعركة ''إليَّ يا جند الله'' ولكن المفاجأة كانت صاعقة والخوف عقد الألسن وشتت العقول. وتكاثر جند الأعداء حول رسوله ﷺ حتى توهموا أن الرسول وصحبه أبا بكر وعمر قد قتلوا. وعاد جند الله إلى رشدهم ولملموا قواتهم المبعثرة المنهكة، وبالكاد صدوا أعداءهم عنهم. لكن الثمن كان سبعين قتيلاً من صناديد الإسلام. فيقول سبحانه في هذا: ''فأثابكم غما بغم'' أي جازاكم على صنيعكم ''مخالفة أمر الرسول والطمع في الغنائم وترك مواقعكم في أعلى الجبل'' غما بسبب غمكم للرسول ﷺ ومخالفتكم أمره.

---

(١) سورة آل عمران آية ١٩٥.

(٢) سورة الكهف آية ٣١.

وذهب الطبري إلى أن الباء بمعنى على والمعنى: فجازاكم على معصيتكم أمر الرسول غما على غم، كقوله ''ولأصلبنكم في جذوع الشجر'' أي على جذوع الشجر، وقد رجح هذا القول ابن القيم واعتمده ابن كثير. و''فأثابكم غما بغم'' فأثابكم بغمكم أيها المؤمنون بحرمان الله إياكم غنيمة المشركين والظفر بهم والنصر عليهم، وما أصابكم من الجراح والقتل يومئذٍ ''بعد الذي كان قد أراكم في كل ذلك ما تحبون'' بمعصيتكم أمر ربكم وخلافكم أمر نبيكم ﷺ، غمَّ ظنكم أن نبيكم قد قتل ومَيْل العدو عليكم. ''لكيلا تحزنوا على ما فاتكم'' من الغنيمة والظفر بعدوكم ''ولا ما أصابكم'' من الجراح والقتل والخوف والهروب ''والله خبير بما تعملون'' يعلم ما يدور في نفوسكم وما يعتمل في صدوركم من الغرور والطمع، والالتفات إلى الدنيا ونسيان الجهاد والاستعداد له، والأخذ بأسباب النصر بإطاعة أوامر الرسول ﷺ، والغفلة عن الآخرة والاستعداد لها، سبحانه وبحمده لا إله إلا هو. وجاء في الكشاف[1]: ''إذ تصعدون'' نصب بصرفهم أو بقوله ''ليبتليكم'' أو بإضمار ''اذكر''. والإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه. يقال: صعد في الجبل وأصعد في الأرض. ويقال: أصعدنا من مكة إلى المدينة ''والرسول يدعوكم'' كان يقول: ''إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، أنا رسول الله من يَكِرَّ فله الجنة'' ''في أخراكم'' في ساقتكم وجماعتكم الأخرى وهي المتأخرة. ''فأثابكم'' عطف على صرفكم، أي فجازاكم الله ''غماً'' حين صرفكم عنهم وابتلاكم بسبب ''غمٍّ'' أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم له، أو غما مضاعفاً، غما بعد غم، وغما متصلاً بغم، من الاغتمام بما أُرجف به من قتل رسول الله ﷺ والجرح والقتل وظفر المشركين وفوت الغنيمة والنصر ''لكيلا تحزنوا'' لتتمرنوا على تجرع الغموم، وتُضروا باحتمال الشدائد، فلا تحزنوا فيما بعد على فائت من المنافع ولا على مصيب من المضار. ويجوز أن يكون الضمير في ''فأثابكم'' للرسول، أي فآساكم في الاغتمام، وكما غمكم ما نزل به من كسر الرباعية والشُجّة وغيرهما غمه بما نزل بكم، فأثابكم غما اغتمه لأجلكم بسبب غم اغتمتموه لأجله، ولم يثربكم على عصيانكم ومخالفتكم لأمره: وإنما فعل ذلك ليسليكم ويُنَفِّس عنكم لئلا تحزنوا على ما فاتكم من نصر الله، ولا على ما أصابكم من غلبة العدو. وجاء في فتح القدير[2]: ''إذ تصعدون'' متعلق بقوله: ''صرَفكم'' أو بقوله ''ولقد عفا عنكم'' أو بقوله: ''ليبتليكم'' وتَصعدون، أي: ترتقون الجبل أما تُصعدون، أي: تسيرون في مستوى الأرض وبطون الأودية، والصعود الارتفاع على الجبال والسطوح والسلالم والدرج، فيحتمل أن يكون صعودهم في الجبل بعد إصعادهم في الوادي، وقال القتيبي: أصعد إذا أبعد في الذهاب وأمعن فيه، وقال الفراء: الإصعاد الابتداء في السفر، والانحدار الرجوع منه، وصعد وأصعد بمعنى واحد. ''تلوون'' بمعنى تعرجون وتقيمون: أي: لا يلتفت بعضكم إلى بعض هرباً، فإن المعرج إلى الشيء يلوي إليه عنقهُ أو عنق دابته.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ١/٤٢٦.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ١/٤٩١.

وقوله ''والرسول يدعوكم في أخراكم'' أي: في الطائفة المتأخرة منكم، وكان دعاء النبي ﷺ: ''أي عباد الله ارجعوا''. وقوله ''فأثابكم'' عطف على صرفكم: أي: فجازاكم الله غما حين صرفكم عنهم بسبب غَمٍّ أذقتموه رسول الله ﷺ بعصيانكم، أو غما موصولاً بسبب ذلك الإرجاف والجرح والقتل وظفر المشركين، والغم في الأصل التغطية، غميت الشيء غطيته، ويومٌ غمّ، وليلة غمة، إذا كانا مظلمين، وقيل: الغم الأول الهزيمة، والغم الثاني إشراف أبي هريرة وخالد بن الوليد عليهم في الجبل. وقوله ''لكيلا تحزنوا'' اللام متعلقة بقوله: ''فأثابكم'' أي: هذا الغم بعد الغم لكيلا تحزنوا على ما فلت من الغنيمة ولا ما أصابكم من الهزيمة، تمريناً لكم على المصائب وتدريباً لاحتمال الشدائد. وقال المفضل: معنى ''لكيلا تحزنوا'' لكي تحزنوا و''لا'' زائدة. وقال الصابوني[1]: ''إذ تُصعدون ولا تلوون على أحد'' أي اذكروا يا معشر المؤمنين حين وليتم الأدبار تبعدون في الفرار ولا تلتفتون إلى ما وراءكم ولا يقف واحد منكم لأحد ''والرسول يدعوكم في أخراكم'' أي ومحمد ﷺ يناديكم من ورائكم يقول ''إليَّ عبادَ الله، إليَّ عبادَ الله، أنا رسول الله، من يَكِرُّ فله الجنة'' وأنتم تمعنون في الفرار ''فأثابكم غما بغم'' أي جازاكم على صنيعكم غما بسبب غمكم للرسول ﷺ ومخالفتكم أمره ''لكيلا تحزنوا على ما فاتكم'' أي لكيلا تحزنوا على ما فاتكم من الغنيمة ''ولا ما أصابكم'' أي من الهزيمة، والغرض بيان الحكمة من الغم، وهو أن ينسيهم الحزن على ما فاتهم وما أصابهم وذلك من رحمته تعالى بهم ''والله خبير بما تعملون'' أي يعلم المخلص من غيره.

القراءات :

١. قرأ الحسن رضي الله عنه: تَصعدون، يعني في الجبل.
٢. قرأ أبو حيوة: تَصَعَّدون، بفتح التاء وتشديد العين، من تَصَعَّد في السلم.
٣. قرأ أبي: إذ تُصْعِدون في الوادي. والإصعاد: الذهاب في الأرض والإبعاد فيه يقال: صَعَدَ في الجبل وأَصْعَد في الأرض.
٤. قرأ الحسن رضي الله عنه: تلون، بواو واحدة.
٥. وقرئ: يصعدون، ويلوون بالياء.
٦. قرأ الجمهور: تَصْعَدون، بفتح التاء والعين.
٧. قرأ ابن محيصن وقنبل ''يصعدون'' بالتحتية.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٢٣٦.

الإعراب :

قال تعالى: ''إذ تصعدون ولا تلوون على أحد''

إذ : ظرف لما مضى من الزمان خافض لشرطه منصوب بجوابه.

تصعدون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة. الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''تصعدون'' في محل جر بالإضافة.

ولا : **الواو** : حرف عطف. **لا** : نافية لا محل لها من الإعراب.

تلوون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون. الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''لا تلوون'' معطوفة على ''تصعدون'' في محل جر.

على أحد : جار ومجرور متعلق بـ''تلوون''.

''والرسول يدعوكم في أخراكم''

والرسول : **الواو** : واو الحال. **الرسول** : مبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الضمة.

يدعوكم : **يدعو** : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه الضمة المقدرة على الواو منع من ظهورها الثقل. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى الرسول. **كم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''يدعوكم'' في محل رفع خبر المبتدأ. وجملة ''الرسول يدعوكم'' في محل نصب حال.

''في أخراكم''

في : حرف جر مبني.

أخرى : اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسر المقدرة على الألف منع من ظهورها التعذر وهو مضاف. **كم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف عليه. وشبه الجملة ''في أخراكم'' في محل نصب حال من فاعل ''يدعوكم''.

''فأثابكم غماً بغم''

الفاء : عاطفة. **أثابَ** : فعل ماضٍ مبني على الفتح. والفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى لفظ الجلالة. **كم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. جملة ''أثابكم'' معطوفة على جملة ''تصعدون'' في محل جر.

غماً : مفعول به ثانٍ منصوب بالفتحة.

بغم : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت منصوب لـ''غمّاً''.

''لكيلا تحزنوا على ما فاتكم''

اللام : لام التعليل. **كي** : حرف مصدري ونصب. **لا** : نافية لا محل لها من الإعراب.

تحزنوا : فعل مضارع مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''تحزنوا'' صلة الموصول الحرفي ''كي'' لا محل لها من الإعراب والمصدر المؤول ''كي لا تحزنوا'' في محل جر باللام متعلق بعفا.

''على ما فاتكم ولا ما أصابكم''

على : حرف جر مبني.

ما : اسم موصول مبني في محل جر بحرف الجر.

فاتكم : **فات** : فعل ماضٍ مبني على الفتح. الفاعل : ضمير مستتر تقديره هو يعود إلى ''ما''. **كم** : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به. وجملة ''فاتكم'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

ولا : **الواو** : حرف عطف. **لا** : زائدة لتأكيد النفي.

ما : اسم موصول مبني في محل جر معطوف على الموصول الأول.

أصابكم : فعل وفاعل ومفعول به. وجملة ''أصابكم'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

''والله خبير بما تعلمون''

الواو : استئنافية لا محل لها من الإعراب.

الله : لفظ الجلالة مبتدأ مرفوع بالضمة.

خبير : خبر مرفوع بالضمة. وجملة ''الله خبير'' استئنافية لا محل لها من الإعراب.

الباء : حرف جر مبني.

ما : اسم موصول مبني في محل جر بحرف الجر.

تعلمون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون. الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل. وجملة ''تعلمون'' صلة الموصول لا محل لها من الإعراب.

٤- قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ ۗ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ﴾[١].

لقد وردت كلمة ''متاعاً'' في آيات عديدة من الذكر الحكيم للدلالة على سعة الرزق ورخاء العيش في قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾[٢] أي: يبسط لكم الرزق إلى الوقت الذي قضى عليكم فيه بالموت. كما وردت كلمة متاعاً في سورة يس: ﴿ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴾[٣]. أي لأجل رحمتنا إياهم وتمتيعنا لهم إلى انقضاء آجالهم. كما وردت في قوله تعالى: ﴿ مَّتَاعًا لَّكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ ﴾[٤]. أي فجر العيون وأجرى الأنهار وجميع ما أخرجه من الأرض من العشب والشجر والحب والثمر والعصف والحطب واللباس والرداء والملح والنار. كل ذلك جعله قوتاً ومتاعاً للأنام والأنعام. والتمتع والمتاع يرتبط بالمصالح السارّة للإنسان للدلالة على زيادة الخير وما يسهّل على الإنسان عيشه وييسّر له سبل الرزق الحلال. لكن كلمة تمتعوا في الآية ''موضوع بحثنا'' في هذا الجزء جاء للدلالة على التهديد والوعيد واقترنت بالعذاب. ووضعت في هذا الموضع لتفيد معنىً بلاغياً يخرجها عن معناها الأصلي إلى معنىً جديد. قال تعالى ''وجعلوا لله أنداداً ليضلوا عن سبيله'' أي جعلوا له شركاء عبدوهم معه ودعوا الناس إلى ذلك، ثم وجه لهم سبحانه التهديد على لسان نبيه ﷺ فقال ''قل تمتعوا''[٥] أي فأتوا ما استطعتم من القوة في هذه الدنيا الفانية، وافعلوا ما شئتم. ومهما يكن من شيء ''فإن مصيركم إلى النار'' أي إن مرجعكم وموئلكم في الآخرة إلى نار العذاب وبئس المصير كما قال تعالى ''نمتعهم قليلاً ثم نضطرهم إلى عذاب غليظ'' وقوله تعالى ''متاع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نذيقهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون''. ويقال إن الإضلال نتيجة أخذ الأنداد، ودخلت اللام على طريق التشبيه والتقريب[٦]. ''قل تمتعوا'' إيذان بأنهم لانغماسهم في التمتع بالحاضر، وأنهم لا يعرفون غيره ولا يريدونه، وقد أمرهم آمر لا يسعهم مخالفته، ولا يملكون لأنفسهم أمراً دونه، وهو أمر الشهوة، والمعنى: إن استمر بكم الحال لامتثالكم أمر الشهوة ''فإن مصيركم إلى النار'' ويمكن أن يراد به الخذلان والتخلية، وكذا قوله تعالى ''قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار''.

---

(١) سورة إبراهيم آية ٣٠، مختصر تفسير الطبري لأبي يحي التجيني: ٢٢١.

(٢) سورة هود آية ٣.

(٣) سورة يس آية ٤٤، صفوة التفاسير للصابوني: ١٦/٣.

(٤) سورة النازعات آية ٣٣.

(٥) تفسير القرآن الكريم لابن كثير: ٥١٩/٢.

(٦) الكشاف للزمخشري: ٥٥٥/٢.

كما قيل ''وجعلوا لله أنداداً''[1] أي جعلوا لله شركاء في الربوبية أو في التسمية وهي الأصنلم، ليضلوا أنفسهم عن سبيل الله، وتكون اللام للعاقبة: أي ليعقب جعلهم لله أنداداً ضلالهم، لأن العاقل لا يريد ضلال نفسه، وحسن استعمال لام العاقبة هنا لأنها تشبه العرض والغاية من جهة حصولها في آخر المراتب، والمشابهة أحد الأمورِ المُصَحِّحَةِ للمجاز، ثم هددهم سبحانه وتوعدهم إذ قال لنبيه ﷺ ''قل تمتعوا'' بما أنتم فيه من الشهوات، وما زينته لكم أنفسكم من كفران النعمة، وإضلال الناس ''فإن مصيركم إلى النار'' أي مردكم ومرجعكم إليها ليس إلاّ، ولما كان هذا حالهم، من التهالك على الشهوات وانهماكهم فيها لا يستطيعون الإقلاع عنها، كما لا يقبلون نصح الناصحين، جعل الأمر بمباشرته إيضاحاً لما تكون عليه عاقبتهم، وأنهم صائرون إلى النار لا محالة، فلا بد إذن من تعاطي الأسباب المقنعة لوقوعهم في النار وجملة ''فإن مصيركم إلى النار'' تعليل للأمر بالتمتع، وفيه من التهديد ما يدل على أن الأمر واقع لا مفر منه.

القراءات :

١. قرأ ابن كثير وأبو عمرو (لِيَضِلّوا) بفتح الياء ، أي ليضلوا أنفسهم عن سبيل الله .
٢. وقرأ الباقون (لِيُضِلّوا) بضم الياء أي ليوقعوا قومهم في الضلال عن سبيل الله .

كما ورد هذا التهديد في آيات عدة مثل قوله تعالى ﴿فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾[2]. أي ما دام هذا شأنكم من الانغماس في الشهوات ومخالفة أمر ربكم، فتمتعوا واطلقوا لأنفسكم العنان وسوف ترون ما سيؤول إليه أمركم من العذاب والعقاب. لقد زرعتم الضلال والشهوة والكفر بالنعمة، وستحصدون الندامة والخسران والجحيم، وستعلمون أي ثمن غالٍ ستدفعون لهذا الفجور الذي تنغمسون في بحوره دون رادع من أيمان أو ضمير. ونفس هذا المعنى ولكن بلهجة أشد ورد في سورة المرسلات إذ قال سبحانه ''كلوا وتمتعوا قليلاً إنكم مجرمون''. لم يترك الباري عز وجل لشك فيما سيؤول إليه مصيرهم وإلى ما سينتهي إليه أمرهم عندما نعتهم بالإجرام مؤكداً ذلك باستعمال أحد حروف التوكيد إذ يقول سبحانه ﴿كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ﴾[3]. ما دام هذا ضلالكم، وما دمتم سادرين في غيكم، لا تبحثون إلا عما يبهج نفوسكم، ويدخل السرور إليها، ناسين من أنعم عليكم بهذه النعم الوفيرة، والخيرات العميمه، لا تشكرون من أعطاكم ولا تذكرون فضل المنعم عليكم، وتكفرون النعمة، ويدفعكم فجوركم إلى الغواية والضلال، فلا شك أنكم مجرمون تستحقون العذاب الأليم والمصير الأسود الذي ينتظركم، وأنتم تستحقونه عن جدارة لما زرعت أيديكم من عوامل الشر والفتنة والغواية.

---

(١)فتح القدير للشوكاني: ٣/١٣٥.

(٢)سورة النحل آية ٥٥.

(٣)سورة المرسلات آية ٤٦.

إن كل من يقرأ في مطالع هذه الآيات كلمات: فتمتعوا، وكلوا وتمتعوا، قـــل تمتعـــوا. يدخـــل السرور إلى قلبه ويعتقد أنه سيأتي على ذكر قوم يأمرهم ربهم بالأكل والتمتع حقاً، جزاء ما كسبوا مـــن العبادة والفضل، وشكر النعمة، وإخلاص العبادة لله وحده. لكنه يفاجأ بأسلوب التهديد والوعيـــد يعقـــب التمتع والانبساط، وإذا بالتهديد ينتهي ببيان نوع العقاب الذي سيلحق بهؤلاء الكفرة الجاحدين المنكريـــن للنعمة، المخالفين لأوامر الله، المناهضين للدعوة، المقاومين لكل فضل، الداعين إلى الضلالة والغوايـــة. وسينتهي الأمر بهؤلاء إلى عذاب السعير وبئس المصير. إنه أسلوب قرآني عظيم يَذْكر المتعة لـــهؤلاء، موبخاً لهم، منكراً عليهم هذا السلوك الفاضح، والتصرف الفاجر، إذ اقترفوا الضلال بدل الحمد والشـــكر على النعمة، فاستحقوا الجحيم سكناً وموئلاً وهو أسلوب ذم بما يشبه المدح.

الإعراب :

الواو : حرف عطف مبني .

جعلوا : فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بالواو .

الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل .

لله : جار ومجرور متعلق بمفعول ثانٍ .

أنداداً : مفعول به منصوب بالفتحة . وجملة (جعلوا .....) لا محل لها من الإعراب معطوفة على جملة الصلة (بدلوا) .

اللام : لام العاقبة .

يضلوا : فعل مضارع منصوب بأن مضمرة بعد اللام وعلامة نصبه حذف النون لأنه مـــن الأفعال الخمسة .

الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل .وجملة (يضلوا) لا محل لها من الإعراب صلة الموصول الحرف (أن) المضمر .

عن : حرف جر مبني .

سبيلِ : اسم مجرور بعن وعلامة جره الكسرة الظاهرة على آخره وهو مضاف .

الهاء : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .

قل : فعل أمر مبني على السكون . الفاعل : ضمير مستتر تقديره أنت . وجملة (مثل .....) استئنافية لا محل لها من الإعراب .

تمتعوا فعل أمر مبني على حذف النون .**الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل . وجملة (تمتعوا .....) في محل نصب مقول القول .

إنَّ : حرف مشبه بالفعل ناسخ يدخل على الجملة الاسمية ينصب المبتدأ ويسمى اسمها ويرفع الخبر ويسمى خبرها .

مصيرَ : اسم إن منصوب وعلامة نصبه الفتحة الظاهرة على آخره وهو مضاف .

كم : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .

إلى : حرف جر مبني .

النار : اسم مجرور بإلى وعلامة جره الكسرة . والجار والمجرور (إلى النـــار) متعلق بمحذوف خبر إن .

وجملة (إن مصيركم إلى النار .....) تعليلية لا محل لها من الإعراب .

أو هي تعليل لمقدّر أي : لن يفيدكم التمتع لأن مصيركم إلى النار .

أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ تدل على استعمال الحواس في غير طاعة الله

تمهيد

إن السمع والطاعة من صفات المؤمن الصادق، لأن الإسلام في حقيقته استســـلام لله بالطاعـــة والخلوص من الشرك. والعصيان والجحود من صفات الكافرين المكذبين، وانفصال الطاعة عن الســـمع أسلوب لم يعتد عليه العربي أو المسلم ووجوده في هذا المبحث أسلوب قرآني معجز يبين حـــــال بنـــي إسرائيل عندما عصو ربهم ونبيهم وعبدوا العجل فعظمت مصيبتهم وتضخم عقابـــــهم وقـــد خلـــق الله الحواس لبني البشر ليتعبدوه بها لا لتمارس هذه الحواس نشاطاتها لعصيان ربها والتمرد عليه، فـــالنظر والفؤاد حواس خلقها الله لتبصر وتدرك عظمة الله في خلقه فيخضع صاحبها ويخشـــــع لـــهذا الخـــالق العظيم، فإذا لم يتحقق هذا الخشوع والإيمان فكأنما وجد هذا الإنسان مجرداً من حواسه وإدراكه ويكون إلى البهائم أقرب.

١- لقد وردت كلمة ''سمعنا'' في القرآن وفي مواضع عدة مقترنة بالطاعة كقوله سبحانه: ﴿ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيثَٰقَهُ ٱلَّذِى وَاثَقَكُم بِهِۦٓ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ﴾(١). وكقوله سبحانه ﴿أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾(٢) وقوله ســبحانه: ﴿وَقَالُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۖ غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ﴾(٣). فالطاعة تتبع سمع آيات الله وما يطلبه سبحانه من عباده المؤمنين المصدقين.

---

(١) سورة المائدة آية ٧.

(٢) سورة النور آية ٥١.

(٣) سورة البقرة آية ٢٨٥.

لكنها وردت في آيتين من الذكر الحكيم تتبعها كلمة مغايرة لما اعتاد قارئ القرآن، وكانت هذه الكلمة تشكل في حقيقتها صدمة للقارئ المؤمن تمنعه من الانسياب في القراءة، وهي كلمة ''عصينا'' إنها دعوة للجحود وإعلان للنكران. لقد اعتاد المسلمون على السمع والطاعة ككلمتين متلازمتين في العربية ويتوقع كل من يقرأ كلمة ''سمعنا'' في آيات التنزيل كلمة وأطعنا، فإذا به يفاجأ بكلمة عصينا مما يجبره على التوقف للتدبر في معنى الآية، والبحث عن هؤلاء الذين تجرؤوا على ربهم وقالوا ''سمعنا وعصينا''، لا شك أنهم من عتاة الكافرين الظالمين، والفجرة الفاسقين، الذين أعمى الله أبصارهم، ولاحقتهم اللعنة وكان مصيرهم إلى النار والبوار. وهذا الأسلوب القرآني هو ''ذم بما يشبه المدح''.

قال تعالى: ﴿سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأُشْرِبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ﴾[1] يعدد الله سبحانه على اليهود كفرهم وأخطاءهم التي ارتكبوها بإعراضهم عن أمر الله ومخالفتهم لأوامره ونواهيه حتى رفع فوقهم الطور فقبلوه ثم خالفوه ولهذا قالوا ''سمعنا وعصينا'' أي عصيتم الله بعبادتكم العجل واشربتم حب العجل حتى خلص إلى قلوبكم، وتماديتم في كفركم بآيات الله ومخالفتكم الأنبياء والمرسلين، ولم تتعظوا بل استمر بكم الحال وكفرتم بما جاء به سيد المرسلين محمد ﷺ المبعوث إلى الناس أجمعين، فكيف تدّعون لأنفسكم الإيمان؟ وقد صدرت عنكم هذه الأفاعيل القبيحة، نقضتم العهود والمواثيق وعاندتم ربكم، وكذّبتم آيات الله، وعبدتم العجل من دونه سبحانه[2]. ولقد أمرهم الله سبحانه بالسمع بعد أن رفع فوقهم الطور وقال لهم ''واسمعوا'' ما أمرتم به في التوراة ''قالوا سمعنا'' قولك ''وعصينا'' أمرك. أي أن الله سبحانه قد أمرهم بأن يسمعوا ويكون سماعُهم سماعَ تقبل وطاعة. فأجابوا أنهم سمعوا ولكن لا سماع طاعة بل سماع عناد وكفر ورفض وعصيان ''واشربوا في قلوبهم العجل'' أي تداخل حب العجل والحرص على عبادته كما يتداخل الثواب الصبغ[3] بسبب كفرهم. وإضافة الأمر إلى إيمانهم تهكم وتشكيك في هذا الإيمان، وقدح في صحة دعواهم له. لقد أعلنوا صراحة في هذه الآية كفرهم بما يأمرهم به ربهم، لأن المراد ليس مجرد الإدراك بحاسة السمع بل سمعنا قولك وتمعنا فيه وأدركته عقولنا، ورفضناه ورفضنا لم ينبع من رد عاطفي سريع، بل هو عصيان نابع من بعد تدبر وتفكّر، وإصرار على الباطل والنكران. إنها عادة اليهود في مخاطبة أنبيائهم ومغالطتهم، والكفر بما جاؤوا به عن مكابرة وعناد وصلف[4]. ''قل بئسما يأمركم به إيمانكم'' أي إيمانكم الذي تزعمون أنكم تؤمنون بما أنزل عليكم وتكفرون بما وراءه لقد تسرب حب العجل في قلوبكم حتى خالط العظم والدم وصار بمنزلة الشراب الذي يتغلغل في الأعماق ويدخل في تكوين أجسامكم.

---

(١) سورة البقرة آية ٩٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ١/١٢٠.

(٣) الكشاف للزمخشري: ١/١٦٦.

(٤) فتح القدير للشوكاني: ١/١٤٧.

وقال سبحانه لمحمد ﷺ، قل لهم يا محمد على سبيل التهكم بئس هذا الإيمان الذي يأمر بعبادة العجل وليس هذا العمل عمل مؤمنين لأن الإيمان لا يأمر بعبادة عجل أو غيره من دون الله. إن الله سبحانه قد أمركم أن تأخذوا ما جاء في التوراة والإنجيل والقرآن، وتسمعوا وتطيعوا طاعة قبول وتعبد، لا أن تسمعوا بآذانكم وتعصوا الله بأعمالكم ونواياكم وحواسكم: كما وردت هذه الكلمات كلمات السمع المقرونة بالكفر والعصيان في قوله سبحانه

﴿ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ ﴾(١).

ويقولون لمحمد ﷺ إذا دعاهم للإيمان سمعنا قولك وعصينا أمرك، وهذه مبالغة في الكفر والعناد والصلف. ولو قالوا سمعنا وأطعنا لكان خيراً لهم وأقوم. وقولهم: ''واسمع غير مسمع''(٢) يحتمل وجهين إما دعاء بالشر كقولهم ''لا سمعت خيراً'' أو دعاء بالخير كقولهم ''لا سمعت مكروهاً'' والأصل للخير، لكن اليهود الخبثاء كانوا يقصدون الدعاء على الرسول ﷺ أي ''لا أسمعك الله'' وهو دعاء بالصمم والموت. وكلمة ''راعنا'' سب من الرعونة والحمق، فكانوا يسخرون بالرسول ﷺ يكلمونه بكلام ينوون به الشتيمة والإهانة ويظهرون به التوقير والإكرام ''ليا بألسنتهم وطعناً في الدين'' أي تحريفاً عن الحق إلى الباطل وقدحاً في الإسلام. ولا يزال اليهود يخاطبون المسلمين بما ظاهره التوقير ويريدون به التحقير. وقد أبعدهم الله عن الهدى وعن رحمته بسبب كفرهم، وأوقعهم في شر أعمالهم.

الإعراب :

قال تعالى " قالوا سمعنا وعصينا وأُشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم " .

قالوا : فعل ماضٍ مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة . **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل .

وجملة (قالوا) استئنافية لا محل لها من الإعراب .

سمعنا : فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بنا الفاعلين .**نا** الفاعلين : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل . وجملة (سمعنا) في محل مقول القول .

وعصينا : **الواو** : حرف عطف مبني . **عصينا** : فعل ماضٍ مبني على السكون لاتصاله بالنا . **النا** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل . وجملة ''عصينا'' في محل نصب معطوفة على جملة سمعنا .

---

(١) سورة النساء آية ٤٦.

(٢) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٢٨٠.

وأُشْرِبوا : **الواو** : حالية . **أُشربوا** : فعل ماضٍ مبني للمجهول مبني على الضم لاتصاله بواو الجماعة . **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع نائب فاعل . وجملة (أُشربوا) في محل نصب حال بتقدير (قد) .

في : حرف جر مبني .

قلوبِهم : قلوب : اسم مجرور بفي وعلامة جره الكسرة وهو مضاف . **هم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .

العجلَ : مفعول به ثان منصوب على حذف مضاف أي حبَّ العجل .

بكفرهم : **الباء** : حرف جر مبني . **كفرِ** : اسم مجرور بالباء وعلامة جره الكسرة وهو مضاف . **هم** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .

والجار والمجرور (بكفرهم) متعلق بالفعل (أُشربوا) .

٢- ننتقل هنا إلى آيات تبين أعضاء الحس كالأعين والآذان التي تعطلت عن أداء المهمة التي خلقها الله من أجلها. تتوقع عندما تقع عينك على كلمة ''ولهم قلوب'' بأن هذه القلوب تخفق بحب الله الذي أبدع خلقها وتنبض بحمده وشكره على نعمه، وقد استجابت هذه القلوب للإيمان وخشعت له سبحانه وخضعت لقدرته، وكذلك ''لهم أعين'' ترى من معجزات الله في الأرض ما يجعلها تخشع، وتحمده سبحانه على نعمة الإبصار، هذه النعمة العظيمة التي تزيد على غيرها من الحواس، لما للعين من أهمية في رؤية الأشياء والتمييز بينها، وكذلك ''الآذان'' التي ترى قدرة الله ومعجزاته على أرضه تتجلى في سماع صوت البراكين وحفيف أوراق الشجر، وأصوات الرياح المدمرة، والعواصف الهوجاء التي تقتلع الأخضر واليابس. من أجل هذا خلقت الحواس، ومن أجل هذا تؤدي الحواس مهامها لتدفع بالإنسان إلى الإيمان والخشوع والعبادة. لكن هذه الحواس قد تعطلت ولم تقم بواجبها فالقلوب لم تفقه قدرة الله وغُمي عليها وأقفلت أبوابها ولم تخشع ولم تدرك ولم تفقه، وعجزت عن تفسير ما يحيط بها من ظواهر وبقيت مقفلة في وجه الإيمان والخير، لقد أعياها الأمر ولو تستطع أن تؤدي رسالتها بالإيمان والتدبر والتمعن في قدرة الله وعبادته حق العبادة. لقد ختم الله على هذه القلوب وأعمى هذه الأبصار وأصم هذه الآذان، فأعرضت عن ذكر الله ولم يستطع أصحابها تدبر آياته سبحانه وأصروا على عنادهم وكفرهم فباؤوا بغضب من الله واستحقوا الذم واللعنة. فهؤلاء لا ينتفعون بشيء من الجوارح التي جعلها الله سبباً للهداية قال تعالى

﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَٰئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ﴾(١).

---

(١) سورة الأعراف آية ١٧٩.

إن هؤلاء الذين لا يسمعون الحق ولا يعونه ولا يبصرون الهدى كالأنعام السارحة التي لا تنتفع بهذه الحواس منها، إلا في الذي يقيتها من ظاهر الحياة الدنيا[1] كقوله تعالى ''مثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء'' أي مثلهم في حال دعائهم للإيمان كمثل الأنعام إذا دعاها راعيها لا تسمع إلا صوته، ولا تفقه ما يقول، ولهذا قال ''بل هم أضل'' أي من الدواب لأنها قد تستجيب مع ذلك لراعيها وإن لم تفقه كلامه بخلاف هؤلاء، ولأنها تفعل ما خلقت له إما بطبعها وإما بتسخيرها بخلاف الكافر فإنه خلق ليعبد الله ويوحده فكفر بالله وأشرك به، ولهذا كان البشر الذين يطيعون الله أشرف من أمثالهم من الملائكة ومن كفر به منهم كانت الدواب أتم منه. ويقول الزمخشوي في كشافه: ''إنهم لا يركزون عقولهم لمعرفة الحق، ولا ينظرون إلى خلق الله نظر اعتبار، ولا يسمعون ما يتلى عليهم من آيات الله سماع تفكر وتدبر، وكأنهم افتقروا إلى فهم القلوب ووعيها، وإبصار العيون، واستماع الآذان، وجعلهم لتعمقهم وتَجَذُّرهم في الكفر مخلوقين للنار دلالة على توغلهم في الموجبات وتمكنهم فيما يؤهلهم لدخول النار[2]. وجاء في فتح القدير: ''لقد انتفى من الأعين الإبصار لما فيه الهداية بالتفكر والاعتبار وإن كانت مبصرة في غير ذلك، والذي انتفى من الآذان هو سماع المواعظ النافعة، والشرائع التي اشتملت عليها الكتب المنزلة، وما جاءت به رسل الله، وإن كانوا يسمعون غير ذلك. ''أولئك كالأنعام'' هؤلاء المتصفين بهذه الصفات كالأنعام في انتفاء انتفاعهم بهذه المشاعر، ثم حكم عليهم بأنهم أضل منها، لأنهم لا يميزون بين ما ينفع وما يضر باعتبار ما طلبه الله منهم وكلفهم به، ثم حكم عليهم بالغفلة الكاملة، لما هم عليه من عدم التمييز الذي هو من شأن من له عقل وبصر وسمع[3]. ويقول الصابوني: يقول سبحانه ''لهم قلوب لا يفقهون بها'' أي لا يفهمون بها الحق. ''ولهم أعين لا يبصرون بها'' أي لا يبصرون بها دلائل قدرة الله بعد اعتبار. ''ولهم آذان لا يسمعون بها'' أي لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ، وليس نفي السمع والبصر بالكلية وإنما المراد نفيها عما ينفعها في الدين[4]. ''أولئك كالأنعام بل هم أضل'' أي هم كالحيوانات في عدم الفقه والبصر والاستماع بل هم أسوأ حالاً من الحيوانات فإنها تدرك منافعها ومضارها، وهؤلاء لا يميزون بين المنافع والمضار ولهذا يُقْدمون على النار ''أولئك هم الغافلون'' أي الغارقون في الغفلة.

---

(١) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٢/٢٥٧.

(٢) الكشاف للزمخشري: ١/١٧٩.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٢/٣٣٣.

(٤) صفوة التفاسير للصابوني: ١/٤٨٣.

الإعراب :

ولهم قلوب : **الواو** : واو الحال .

لهم : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم .

قلوب : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

وجملة (لهم قلوب) في محل نصب حال .

لا : حرف نفي لا محل له من الإعراب .

يفقهون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون لأنه من الأفعال الخمسة . **الواو** : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل . **بها** : جار ومجرور متعلق بالفعل (يفقهون) . وجملة (لا يفقهون بها .....) في محل رفع صفة لـ(قلوب) .

ولهم أعين : **الواو** : حرف عطف .

لهم : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم .

أعين : مبتدأ مؤخر مرفوع بالضمة .

وجملة (لهم أعين) في محل نصب معطوفة على جملة (لهم أعين) .

لا : حرف نفي لا محل له من الإعراب .

يبصرون : فعل مضارع مرفوع بثبوت النون . الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل .

بها : جار ومجرور متعلق بالفعل (يبصرون) . وجملة (لا يبصرون بها .....) في محل رفع صفة لـ(أعين) .

ولهم أذان : الواو : حرف عطف مبني . لهم : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم. أذان : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

وجملة (لهم أذان) في محل نصب معطوفة على جملة (لهم قلوب) .

لا يسمعون بها

لا : النافية لا محل لها من الإعراب .

يسمعون : فعل مضارع مرفوع في محل رفع فاعل .

بها : جار ومجرور متعلق بالفعل (يسمعون) . وجملة (لا يسمعون بها .....) في محل رفع صفة لـ(أذان) .

أولئك : اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ .

كالأنعام: **الكاف**: حرف جر مبني. **الأنعام** : اسم مجرور بالكاف وعلامة جره الكسرة . والجار والمجرور (كالأنعام) متعلق بمحذوف خبر . وجملة (أولئك

كالأنعام) استئنافية لا محل لها من الإعراب .

بل : حرف إضراب وابتداء .

هم : ضمير منفصل مبني في محل رفع مبتدأ .

أضلُّ : خبر مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة . وجملة (هم أضلّ) استئنافية لا محل لها من الإعراب .

أولئك : اسم إشارة مبني في محل رفع مبتدأ .

هم : ضمير فصل لا محل له من الإعراب .

الغافلون : خبر المبتدأ مرفوع وعلامة رفعه الواو لأنه جمع مذكر سالم .
وجملة (أولئك هو الغافلون) استئنافية لا محل لها من الإعراب .

البلاغة :

في الآية الكريمة تشبيه تمثيلي حيث شبه الله اليهود في عظم ما أقدموا عليه من تكذيب رسول الله ﷺ، مع علمهم أنه النبي الموعود، بمثابة الكثير الذين لا يكاد الإيمان يتأتى منهم، كأنهم خلقوا للنار. ثم شبههم بالأنعام بل بما هو دون الأنعام ارتكاساً وسفهاً وتدنياً في مهابط الرذيلة.

أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر لفظتي الشرح والإيمان

تمهيد

الانشراح هو في حقيقته اتساع الصدر وانبساطه حتى يكون قادراً على استقبال الدعوة والإيمان فيصيبه الخشوع لإرادة الله وعظمته وترتفع منزلته عند الله بمقدار ما يستقر اليقين في هذا الصدر، أما أن ينشرح الصدر للكفر فعبارة بعيدة عن نفس المؤمن وهواها، تصيبه بالقلق والحيرة وعدم الارتياح. وبنفس القدر فإن الإيمان يقترن بالله والملائكة والرسل والحق بما جاء به محمد أما أن يؤمن إنسان بالباطل فتلك مخالفة خطيرة تسير على عكس ما يشتهي المؤمن ويريد فتضطرب نفسه ويحكم على من كان هذا فعله بأنه من أهل النار جزاء ما اعتمل في نفسه وما اقترفت يداه.

١- يدعوا المسلم ربه بأن يشرح صدره للإيمان ليشع حب الله العظيم فيقول ''رب اشرح لي صدري ويسّر لي أمري'' إن المؤمن يخشى على نفسه من ضيق الصدر و الحرج فيبوء بغضب الله، لأن ضيق الصدر من الشيطان ويؤدي إلى الوقوع في الخطأ والمهالك، وعندما يدعو المرء لنفسه بسعة الصدر والانشراح إنما يدعو للخلوص من الشرك، وتجنب سيطرة الشيطان عليه لأن ضيق الصدر من الشيطان.

فعليه غضب من الله:

الفاء : زائدة . على : حرف جر مبني .

هم : ضمير متصل مبني في محل جر بحرف الجر . والجار والمجرور (عليهم) متعلق بمحذوف خبر مقدم .

غضبٌ : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة . وجملة (عليهم غضب) في محل رفع خبر المبتدأ (من) .

من الله : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لـ(غضب) .

٢- إن كلمة الإيمان في حقيقتها هي تغلغل للعقيدة في أعماق النفس البشرية وتمكنها منها، يقول سبحانه ''قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم'' في هذه الآية يقول الله تعالى لرسوله قل لهم يا محمد[١]: إنكم لم تؤمنوا بعد، لأن الإيمان تصديق مع ثقة ويقين واطمئنان قلب. ''ولما يدخل الإيمان في قلوبكم'' أي ولم يدخل الإيمان إلى قلوبكم ولم تصلوا إلى حقيقته بعد. ولفظة ''لماّ'' تفيد التوقع وكأنه يقول: سيحصل لكم الإيمان عند اطلاعكم على محاسن الإسلام وتذوقكم لحلاوة الإيمان. فالإيمان مرتبة متقدمة على الإسلام يصل إليها المسلم عندما يتغلغل الإسلام في نفسه ويتمكن منها ويصل إلى الاطمئنان واليقين. وكلمة آمنوا مرتبطة بالخطاب والنداء ''يا'' وذكرت في آيات عديدة يخاطب فيها الله المؤمنين بـ''يا أيها الذين آمنوا'' لقربهم منه ويجعل خطابه لهم مباشراً ودون واسطة أو دون ذكر كلمة ''قل''. كما تُبعت كلمة الإيمان بالعمل الصالح أيضاً قال تعالى ''يا أيها الذين آمنوا وعملوا الصالحات'' فالإيمان وفي كثير من الآيات مرتبط بالعمل الصالح قال تعالى ''والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنكفرن عنهم سيئاتهم'' وقال تعالى ''والذين آمنوا وعملوا الصالحات لندخلهم في الصالحين'' وقال سبحانه: ''فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً. وقال سبحانه ''أمّا الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى'' وهكذا اعتادت أذن قارئ القرآن أن تستمع إلى الإيمان والعمل الصالح مقترنين في آي الذكر الحكيم وكذلك الإنفاق ''وأنفقوا'' أو ''بالله ورسوله'' فالإيمان مرتبط بكلمات تدل على الخير وتدعو إليه. لكن أن يأتي الإيمان مقترناً بما يخالف هذه المفاهيم ''كالكفر'' مثلاً أو ''الباطل'' فإنما هي كلمات تدعو القارئ إلى التوقف وأن يفيق من استرساله ليتدبر ويتمعن، فالأمر لا يمكن أن يكون مدحاً أو أمراً محموداً. بل هو أسلوب قرآني يدل على الذم بما يشبه المدح

قال سبحانه ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴾[٢]. إن الله سبحانه سيجازي هؤلاء الجاحدين على ما فعلوا ويقابل ما صنعوا في تكذيبهم الحق واتباعهم الباطل بأنهم سيكونون الخاسرين وسيلاقون عذاب الحريق بما كسبت أيديهم من الظلم والمكابرة والعناد.

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٢٣٧/٣.

(٢) سورة العنكبوت آية ٥٢.

إن هؤلاء الذين يعبدون من دون الله وكفروا بآياته مغبونون في صفقتهم، خاسرون في تجارتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ في غير ما استعملت له عادة كالعزيز ونُزُلٍ وظل

تمهيد

إمعاناً في السخرية والتحقير يوجه القرآن أسلوبه إلى أبي جهل الذي ادعى لنفسه العزة والكرامة في غير موضعها حيث أن لا عزة بغير الإسلام ولا كرامة لغير مؤمن أكان ذلك في الدنيا أم في الآخرة فالرجل العزيز الكريم هو الذي يتمسك بالمباديء والأخلاق السامية المستقاة من منابع هذا الدين الحنيف أما النزل وهو ما يستعمل لاستقبال الضيف وهو مكان إقامته ويتكون من مواد مذابة لاشك أن هذا النزل ليس نزل كرامة بل معتقل عقاب وتأديب وتحطيم، وكذلك الظل الذي يكون نعمة من الله لراحة المسافر يُلقي في كنفه عصى الترحال ويسترخي طالباً الهدوء والنوم والتخلص من وعثاء السفر أي ظل هذا تملؤ أجواءه المياه الحارة التي ترهق الجسم وتزيد تعبه وتكون عقاباً له وعذاباً.

١- وقد ورد قول الله تعالى فيه سخرية وتهكم بأبي جهل وتحقير له عندما قال ''ما بين جبليها -أي مكة-لا أعز ولا أكرم مني'' إن ألفاظ التعظيم والتفخيم هذه مملوءة بمعاني التحقير والتهزيء. لأن الذل سيكون مآلك والعذاب الأليم مصيرك المحتوم نتيجة لكفرك وعنادك وصلفك. ولن ينالك الصبر والإيمان لأن نفسك جبلت على الكفر والجحود والنكران. وقد أصابه الذل في بدر حيث قتل وتمرغ جسده النتن بالتراب ذليلاً حقيراً. وداسته سنابك خيل المسلمين وتناوشته سيوفهم ورماحهم بعون من الله وملائكته. قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾[1] على سبيل الهزء والتهكم بمن كان يتعزز ويتكرم على قومه، وَرُوِيَ أن أبا جهل قال لرسول الله ﷺ، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئاً. فيرد عليه ربه سبحانه ''قولوا له تهكماً وتقريعاً وتوبيخاً: ذق العذاب إنك أنت العزيز الكريم''[2]. وقيل إن أبا جهل كان يزعم أنه أعز أهل الوادي وأكرمهم. فيقولون له: ذق العذاب أيها المتعزز المتكرم في زعمك وفيما كنت تقوله. وقال الفراء: أي بهذا القول الذي قلته في الدنيا.

القراءات :

وقرأ الكسائي: ''أنَّك'' بفتحها أي لأنك.

---

(١) سورة الدخان آية ٤٩.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٤/٧١٦.

الإعراب :

ذق إنك أنت العزيز الكريم .

ذق : فعل أمر مبني على السكون . والفاعل : ضمير مستتر تقديره أنت .

وجملة (ذق) في محل نصب مقول القول .

إنك أنت العزيز الكريم :

إنّ : حرف مشبه بالفعل تدخل على الجملة الاسمية فتنصب المبتدأ ويسمى اسمها وترفع الخبر ويسمى خبرها . الكاف : ضمير متصل مبني في محل نصب اسم إن .

أنت : ضمير فصل لا محل له من الإعراب .

العزيز : خبر إن مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره .

الكريم : خبر ثان (لإن) مرفوع وعلامة رفعه الضمة الظاهرة على آخره .

وجملة (إنك أنت .....) تعليلية لا محل لها من الإعراب .

٢- ومن أساليب الذم الذي يشبه المدح قوله سبحانه ﴿ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴾[١] فالنزل لغة: هو الذي يقدّم للنازل تكرمة له قبل حضور الضيافة. يقول سبحانه في مقارنة بين المؤمنين والكافرين ''فأما إن كان من المقربين*فروح وريحان وجنة نعيم*وأما إن كان من أصحاب اليمين*فسلام لك من أصحاب اليمين*وأما إن كان من المكذبين*فنزل من حميم*وتصليه جحيم'' يقول سبحانه في وصف حال المكذبين الضالين: ''إن كان المحتضر من المكذبين بالحق الضالين عن الهدى ''فنزل'' أي فضيافة ''من حميم'' وهو المذاب الذي يصهر به ما في بطونهم والجلود ''وتصلية جحيم'' أي وتقرير له في النار التي تغمره من جميع جهاته. وهذا خبر لا مرية فيه ولا محيد لأحد عنه[٢]. يقول الشوكاني: قال تعالى: ''وأما إن كان من الضالين''[٣] أي المكذبين بالبعث الضالين عن الهدى وهم أصحاب الشمال ''فنزل من حميم'' أي فله نزل يعد لنزوله من حميم، وهو الماء الذي قد تناهت حرارته، وذلك بعد أن يأكل من الزقوم ''وتصلية جحيم'' يقال أصلاه النار وصلاه: أي إذا جعله في النار، وهو من إضافة المصدر إلى المفعول، أو إلى المكان. وقال الصابوني: وأما إن كان المحتضر من المنكرين للبعث، الضالين عن الهدى والحق، فضيافتهم التي يكرمون بها أول قدومهم، الحميم الذي يصهر البطون لشدة حرارته قال في التسهيل: النزل أول شيء يقدم للضيف[٤]. ''وتصلية جحيم'' أي ولهم اصلاء بنار جهنم وإذاقته لهم من حرّها.

---

(١) سورة الواقعة آية ٩٣، ٩٤.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٣٠٢/٤.

(٣) فتح القدير للشوكاني: ٢٠٢/٥.

(٤) التسهيل لعلوم التنزيل: ٩٤/٤.

وهذا الذي قصصه الله عليك يا محمد من جزاء السابقين، والسعداء، والأشقياء لهم الحق الثابت الذي لا شك فيه ولا ريب، وهو عين اليقين الذي لا يمكن إنكاره[1]. وهذا الخطاب للتهكم وهو الاستهزاء بالمخاطب مأخوذ من تهكم ''البئر'' إذا تهدمت[2].

القراءات :

١. قرأ الجمهور (وتصليةُ) بالرفع عطفاً على (فنزلٌ) .

٢. قرأ أبو عمرو في رواية عنه بالجر عطفاً على (حميم) أي فنزل من حميم ومن " تصلية جحيم " .

٣- قال سبحانه ﴿لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾[3] أي أن للعبد ملائكة يتعاقبون عليه حرس بالليل وحرس بالنهار يحفظونه من الأسواء والحادثات، وفي الحديث ''إن معكم من لا يفارقكم إلا عند الخلاء، وعند الجماع فاستحيوهم وأكرموهم'' وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ''والمعقبات من الله هي الملائكة''. وقال عكرمة عن ابن عباس: ''يحفظونه من أمر الله'' قال ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدر الله خلوا عنه، وقال العوفي عن ابن عباس ''له معقبات من بين يديه ومن خلفه'' يعني السلطان يكون عليه الحرس، وقال عكرمة في تفسيرها هؤلاء الأمراء المواكب من بين يديه ومن خلفه[4]. وقيل ''له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله'' هم الحرس والجلاوزة حول السلطان يحفظونه في توهمه وتقديره من أمر الله أي من قضاياه ونوازله، وهو على سبيل التهكم به[5]. وتفسير ''المعقبات'' هم الحرس حول السلطان، يحفظونه ''على زعمه'' من أمر الله، وهذا تهكم واستهزاء، فإنه لا يحفظه من أمر الله شيء إذا جاء[6]. فهو لهذا أسلوب ذم بما يشبه المدح.

القراءات :

١. قرأ علي رضي الله عنه وابن عباس وزيد بن علي وجعفر بن محمد وعكرمة : يحفظونه بأمر الله . أو يحفظونه من بأس الله ونقمته إذا أذنب ، بدعائهم له ومسألتهم ربهم أن يمهله رجاء أن يتوب وينوب .

٢. وقرئ له معاقيب جمع معقب أو معقبة .

---

(١) صفوة التفاسير للصابوني: ٣١٦/٣.

(٢) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٥٩/٢.

(٣) سورة الرعد آية ١١.

(٤) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤٨٥/٢.

(٥) الكشاف للزمخشري: ٣٥٩/٢.

(٦) البرهان في علوم القرآن للزركشي: ٣٥٩/٢.

الإعراب :

له معقبات من بين يديه ومن خلفه .

له : جار ومجرور متعلق بمحذوف خبر مقدم .

معقبات : مبتدأ مؤخر مرفوع وعلامة رفعه الضمة .

من بين : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لـ(معقبات) في محل رفع . بين مضاف .

يديه : مضاف إليه مجرور وعلامة جره الياء لأنه مثنى وهو مضاف . **الهاء** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .

ومن : **الواو** : حرف عطف . **من** : حرف جر مبني .

خلفِهِ : **خلفِ** : اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة وهو مضاف .**الهاء** : ضمير متصل مبني في محل جر مضاف إليه .**ومن خلفه** : جار ومجرور متعلق بمحذوف نعت لمعقبات في محل رفع لأنه معطوف على (من بين يديه) .

يحفظونه من أمر الله .

يحفظون : فعل مضارع مرفوع وعلامة رفعه ثبوت النون . الواو : ضمير متصل مبني في محل رفع فاعل .

الهاء : ضمير متصل مبني في محل نصب مفعول به .

وجملة (يحفظونه) في محل رفع نعت لمعقبات .

من : حرف جر مبني .

أمر : اسم مجرور بمن وعلامة جره الكسرة وهو مضاف .

الله : لفظ الجلالة مضاف إليه مجرور وعلامة جره الكسرة .

والجار والمجرور متعلق بالفعل (يحفظون) .

٤- وأخيراً لقد ورد الذم في كثير من آية الذكر الحكيم لكننا نكتفي هنا بذكر ما يفي بغرض بحثنا إذ قال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَابُ الشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ ﴾[1] ويتساءل رب العزة والجلال عن أصحاب الشمال فيقول: أيُّ هَمٍّ فيه أصحاب الشمال؟ ثم فسر ذلك بقوله ''في سموم'' وهو الهواء الحار ''وحميم'' وهو الماء الحار ''وظل من يحموم'' قال ابن عباس ظل الدخان وكذا قال مجاهد وعكرمة وأبو صالح وقتادة والسدي وغيرهم[2].

---

(١) سورة الواقعة آية ٤١، ٤٢، ٤٣.

(٢) تفسير القرآن العظيم لابن كثير: ٤/٢٩٦.

''وظل من يحموم'' وهو الدخان الأسود ليس طيب الهبوب ولا حسن المنظر ولا كريمة. وقال الزمخشري[1]: في حر نار ينفذ في المسام وماء حار منتاه في الحارة وظل من دخان أسود بهم ''لا بارد ولا كريم'' نفي لصفة الظل عنه. أي أنه ظل ولكن ليس كسائر الظلال: سماه ظلاً، ثم نفى عنه برد الظل وروحه ونفعه لمن يأوي إليه من أذى الحر، وذلك ليمحق ما في مدلول الظل من الاسترواح إليه، والمعنى أنه ظلٌ حارٌ ضار، إلاّ أن للنفي في نحو هذا شأناً ليس للإثبات. وفيه تهكم بأصحاب المشأمة. وأنهم لا يستأهلون الظل البارد الكريم الذي هو لأضدادهم في الجنة. وقال الشوكاني[2]: ''وأصحاب الشمال ما أصحاب الشمال'' فيه تفخيم وتعظيم ''في سموم وحميم'' السموم: حر النار، والحميم: الماء الحار شديد الحرارة. وقيل السموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن. ''وظل من يحموم'' الأحم: وهو الأسود، والعرب تقول أسود يحموم: إذا كان شديد السواد، والمعنى أنهم يفزعون إلى الظل فيجدونه ظلاً من دخان أسود بجنهم شديد السواد. وقيل هو مأخوذ من الحم وهو الشحم المسوّد باحتراق النار. وقيل مأخوذ من الحم وهو الفحم. وقال الضحاك: النار سوداء وأهلها سود وكل ما فيها أسود. ثم وصف هذا الظل بقوله ''لا بارد ولا كريم'' أي ليس كغيره من الظلال التي تكون باردة، بل هو حار لأنه من دخان نار جهنم، وقال سعيد بن المسيب: ولا كريم: أي ليس فيه حسن منظر وكل مالا خير فيه فليس بكريم. وجاء في صفوة التفاسير[3]: إنه استفهام عن أصحاب الشمال بمعنى التهويل والتفظيع والتعجيب من حالهم أي وأصحاب الشمال-وهم الذين يعطون كتبهم بشمائلهم-ما أصحاب الشمال؟ أي ما حالهم وكيف مآلهم؟ ثم فصّل تعالى حالهم فقال ''في سموم وحميم'' أي في ريح حارة من النار تنفذ في المسام، وماء شديد الحرارة. ''وظل من يحموم'' أي وفي ظل من دخان أسود شديد السواد ''لا بارد'' أي ليس هذا الظل بارداً يسترو ح به الإنسان من شدة الحر ''ولا كريم'' أي وليس حسن المنظر يُسَرُّ به من يستضيء بظله قال الخازن: إن فائدة الظل ترجع إلى أمرين أحدهما: رفع الحر، والثاني: حسن المنظر وكون الإنسان فيه مكرّماً.

وظل أهل النار بخلاف هذا لأنهم في ظل من دخان أسود حار. وهذا عقاب لهم لأنهم كانوا في الدنيا منعمين مقبلين على الشهوات والملذات، كما كانوا مداومين على الشرك بالله. وهكذا نجد أن الظل من شأنه الاسترواح واللطافة و يعطي الإنسان الراحة من حر الهاجرة ووعثاء السفر، لكنه نُفِيَ هنا، لأن الكافرين لا يستأهلون هذا الظل الكريم، بل هو ظل من دخان أسود شديد السواد ليس بارداً يُستروح به من شدة الحر وليس حسن المنظر يُسَرُّ به من يستضيء بظله. وهكذا نجد أن هذا الأسلوب هو أسلوب ''ذم بما يشبه المدح''.

---

(١) الكشاف للزمخشري: ٤/٤٦٣.

(٢) فتح القدير للشوكاني: ٥/١٩١.

(٣) صفوة التفاسير للصابوني: ٣/ ٣١٠.

الخاتمة

المدارس النحوية

المصادر والمراجع

فهرس الكتاب

الخاتمـــة

وهكذا فقد تم هذا البحث بعون الله تعالى حسب خطته التي رسمت له. وقد حاولت جهد المقـــل أن أحصر أساليب المدح والذم في القرآن الكريم وما محاولتي هذه إلا كمدخل لأبحـــاث أخـــرى تاليـــة ودراسة أكثر اتساعاً وابعد غوراً. واخص بالذكر أساليب المدح والذم غـــير المباشـــرين والأســـاليب الأخرى المتنوعة والمتشعبة للمدح والذم نستقيها من بين سطور وآيات الذكر الحكيم، وقد خرجت مـــن هذا البحث بالنتائج التالية:

١. لقد ركز النحويون الأسبقون في دراستهم لأساليب المدح والذم على استعمالات أفعال المـــدح العام والذم العام(نعم، وبئس) مع التلميح بالأفعال التي جرت مجراها.

٢. لم يتطرق اؤلئك النحويون رحمهم الله إلى أفعال وأساليب أخرى لها دلالات المدح والذم إلـــى جانب دلالات الأصليين المعروفة: الدعاء، والقسم، والاستفهام، والتوكيـــد، والتفضيـــل، الا لماماً.

٣. لم يتطرق النحاة إلى المدح والذم المباشرين اللذين يكمنان في الســـماء والصفـــات والألقـــاب كجزء من أساليب المدح والذم.

٤. إن استقرار الآيات القرآنية لاستخراج أساليب المدح والذم منها كان وقفاً على المفسرين. أمـــا النحويون فقد وقفوا جهدهم على الفعلين المعروفين وما جرى مجراهـــا تـــاركين للمفســـرين المجال للخوض فيه واستخراج أساليب المدح والذم بشكل عرضي وبغير منهجية واضحـــة، وانما تطرقوا أليها كأمور وأساليب تخدم أهداف التفسير لا خدمة للنحو والأساليب.

٥. لعلي خرجت بقناعة أكيدة مفادها أن الأساليب الأخرى للمدح والذم هي الأقدر على توضيـــح إعجاز القرآن الكريم وعرضه بالطريقة التي أراد الله له أن يكون فيها. قرأنا بسيطاً واضحـــاً

مفهوماً لكنه ليس ضحلاً، يمكن لأي إنسان أن يسبح فيه أو يخوض عبابه، بل هو عميق الأغوار، مرتفع الأمواج، ومعجز. لايمكن لفرد عادي أن يستخرج أحكامه المختفية بدقة وراء الكلمات والعبارات السهلة البسيطة. لأنه سهل على الجميع وممتنع على الأكثرية إلا على من أناء الله بصائرهم بنور العلم والهداية. وهذا الإعجاز هو السر الكامن وراء كثرة المفسرين للقرآن العظيم الذين اندفعوا أفواجاً تلوا أفواج، يمسك كل واحد منهم بطرف، ويحاول جهده أن يكمل ما رآه ناقصاً عند سابقيه وهكذا استمر السباق، والقرآن يثري علوم الأمة اللغوية والنحوية والفقهية والبلاغية، ولا نزال نرى إننا لم نلج من أبواب هذا السفر الخالد سوى أبواب قليلة ستتابع الأجيال فتحها باباً إلى أن يرى الله الأرض وما عليها. كيف لا وهو معجزة الرسول الأمي محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسام. وما النحويون إلا جنود كرسوا حياتهم لينيروا دروب الباحثين في علوم القرآن من عرب. ومسلمين وغيرهم. فالنحو قد وجد أصلاً لخدمة القرآن الكريم وتوضيح معانيه، ومن لا يستطيع النحو، هو بالتأكيد عاجز أن يلج أول باب من أبواب الفهم للقرآن.

٦. إن الخيوط التي تفصل بين العلوم المختلفة التي تبحث في القرآن دقيقة جداً لدرجة يجد فيها حتى المتخصصين عنتاً في التميز والتحديد. فلو سألت عالم لغة أو فقيهاً أو بلاغياً أو عالم نحو لرأى أن الأساليب التي بحثت هنا من اختصاصه وتقع في مجاله. وهذه هي عظمة القرآن الذي فتح آفاقاً واسعة أمام اللغة العربية ومجالات لا حدود لها للدراسة والبحث.

٧. لم يبين علماء النحو الأثر النفيس الذي تتركه الألفاظ على القارئ . ولم يضعوه في اعتبارهم، رغم أهميته البالغة وانعكاساته اللامحدودة.فاستعمال الكلمات في غير ما استعملها العربي عادة تدفع إلى التوقف والتمعن والرجوع إلى من هم أعلم بالتفسير أو النحو أو اللغة. أو العودة إلى المراجع التي تشبع منهم هذا القارئ المتعطش، أو الباحث المتلهف. وربما

يتطلب الأمر العودة إلى معاجم اللغة.

٨. ولهذا فقد حاولت تبسيط الأمر وتسهيل الدرب للوصول إلى أساليب المدح بما يشبه الذم، والم بما يشبه المدح بالاعتماد على ألفاظ بعينها يكون لها أثر نفسي ينعكس على القارئ وانفعالاته.

٩. لم أجد من بحث في أساليب المدح بما يشبه الذم، والذم بما يشبه المدح بشكل مفصل كموضوع بارز مستقل وكجزء من علوم النحو. على عكس البلاغيين الذين يعتبرون هذين الأسلوبين من العلوم اللاغية مع أنهما في صميم علم النحو.

١٠. لم يتطرق المشرفون على التربية في العالم العربي إلى هذه الأساليب إلا ضمن الإطار الذي حدده النحويون لهم عبر التاريخ محصورين بين الفعلين نعم وبئس فقط دون التطرق إلى غيرهما. وأرجع هذا النقص لا إلى معلمي اللغة والمؤلفين فيها، بل إلى علماء النحو الذين حجروا على التفكير العربي وحرموه حرية الحركة وحرّموا عليه النظر خارج حدود هذين الفعلين، ولم يضعوا قواعد واضحة للمدح والذم بأنواعها المختلفة، أما الأفعال التي جرت مجرى نعم وبئس فلم يطلع عليها سوى المتخصصين في المراحل المتقدمة: الجامعية وما فوق فقط لهذا نجد الطالب يعيش في غربة تامة عن هذه الأساليب.

١١. لقد تطرق بعض العلماء المتأخرين لهذه الأساليب ولكن باقتضاب وأخص بالذكر الأستاذين / عباس حسن في كتابه(النحو الوافي) وإبراهيم السامرائي في كتابه (من الأساليب القرآن). وبالقدر الذي يخدم كتبهم ومواضيع بحثهم. وليس بالقدر الذي يقنع الباحث انه أمام موضوع مستقل متكامل الأبعاد.

التوصيـــات

وأخيراً أقول إن هذه الأساليب جديرة بالبحث والتمحيص وتحتاج إلـــى المزيـد مـــن الجـــهد لعرضها على الدارسين والباحثين كموضوع متكامل معروف الأجواء والعناصر، نستند في كـــل ذلـــك إلى آي الذكر الحكيم وهو خير رافد ومعين لكل باحث وطالب علم وأوصي بما يلي:

١. عرض أساليب المدح والذم كموضوع متكامل الأبعاد ومعروف العناصر.

٢. عرض هذه الأساليب كجزء من علم النحو.

٣. عرض أساليب المدح بأجزائه الثلاثة وهي:

أ. **المدح المباشر** :

الذي يستند إلى الأسماء والصفات والألقاب بالإضافة إلى فعل المدح العام "نعم" ومـــا جرى مجراه كحسن وطاب. إلى جانب الأساليب النحوية الأخرى التي تدل على المدح إلى جانب دلالاتها الأخرى كالدعاء، والقسم/ والتوكيد والتفضيل، والاستفهام.

ب. **المدح غير المباشر** .

ج. **أساليب أخرى.**

٤. **عرض أساليب الذم بأجزائها الثلاثة** :

أ. **الذم المباشر**

ب. **الذم الغير المباشر**

ج. **أساليب أخرى للذم**

٥. عرض أساليب المدح بما يشبه الذم باستعمال ألفاظ بعينها.

٦. عرض أساليب الذم بما يشبه المدح باستعمال ألفاظ تعين على فهمه.

٧. التعمق في الأساليب الأخرى للمدح والذم لما لها من فوائد تعطي الذين يخوضون في هذا المجال مساحة واسعة التفكير والاستنباط للأحكام والعبر من القرآن الكريم، وتجعلهم قادرين على الاستفادة منها في أنواع الأدب المختلفة.

٨. دراسة أساليب المدح بما يشبه الذم والذم بما يشبه المدح باستعمال الفاظ تعين على فهمها كجزء أصيل من علم النحو "المعاني".

٩. عرض هذه الأساليب على طلاب المدارس المتوسطة والثانوية بشكل مبسط وميسور الفعلان نعم وبئس جزءاً منها لا كلها.

١٠. إن التعرف على هذه الأساليب وأشباهها في القرآن العظيم، تجعل المسلم يتعرف ويعمق على قرانه و منبع شريعته ودستور حياته ومعجزة نبيه صلى الله عليه وسلم، مما يدفعه إلى التفاني والدفاع عن هذه العقيدة السمحة على بصيرة.

والله من وراء القصد

والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

باب الهمزة

١. القرآن الكريم

٢. الإتقان في علوم القرآن : للسيوطي- طبعة الحلبي- الطبعة الثالثة- ١٩٥١م.

٣. أخبار النحويين البصريين : لأبي سعيد السسيرافي- تحقيقي الأستاذين طه محمد الزيني ومحمد عبد المنعم خفاجي- القاهرة- ١٩٥٥.

٤. أسرار البلاغة : لعبد القاهر الجرجاني- مطبعة وزارة المعارف باستنبول- ١٩٥٤م.

٥. أسرار العربية : لأبي البركات بن الأنباري- تحقيق الأستاذ محمد بهجت البيطار- دمشق- ١٩٥٧م.

٦. أسماء الله الحسنى : لعبد الله بن صالح بن عبد العزيز الغصن- دار الوطن- الرياض- السعودية- الطبعة الأولى- ١٤١٧هـ.

٧. الأشباه والنظائر : للسيوطي- تحقيق عبد العال سالم مكرم- مؤسسة الرسالة- بيروت- الطبعة الأولى- ١٩٨٥م.

٨. أمالي الزجاجي : تحقيق عبد السلام محمد هارون- المؤسسة العربية الحديثة.

٩. أمالي ابن الحاجب : لأبن حاجب- دار الجيل- بيروت- دار عمـــان- عمان- الطبعة الأولى- ١٩٨٩م.

١٠. إملاء ما منّ به الرحمن : للعقبري- تصوير دار العلم للجميع- بيروت.

١١. الإنصاف في مسائل الخلاف : للشيخ الإمام كمال الدين أبي البركات عبد الرحمـن بن محمد بن أبي سعيد الأنباري النحوي- ومعـــه كتاب الانتصاف من الإنصاف تأليف محمد محـــي الدين عبد الحميد- المكتبة العصريـــة- صيـده- بيروت- ١٤٠٧/ ١٩٨٧م.

١٢. أوضح المسالك إلى ألفيـــة ابـــن مالك : لأبن هشام ومعه كتاب عدة المسالك إلـــى تحقيـــق أوضح المسالك تأليف محمد محـــي الديـــن عبـــد الحميد- دار الجيل- بيروت- الطبعة الخامســـة- ١٩٧٩م.

باب الباء

١٣. البحر المحيط : لأبي حيان- مطبعة السعادة- مصر- ١٣٢٨م.

١٤. البسيط في شرح الجمل الزجاجي : لأبن أبي الربيع الإشبيلي- تحقيق الدكتور عياد بن عيد الثبيتي- دار الغـــرب الإســـلامي- الطبعـــة الأولى- ١٩٨٦م.

١٥. البرهان في علوم القرآن : للإسلام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي- دار المعرفة- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤١٠هـ/ ١٩٩٠م.

١٦. بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة : للسيوطي- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم- طبعة الحلبي- الطبعة الأولى- ١٩٦٤م.

باب التاء

١٧. تاريخ الأدب العربي : لبروكلمان- طبع دار المعارف بمصر- ترجمة الدكتور عبد الحليم النجار- ١٩٥٩- ١٩٦٠م.

١٨. تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن : تحقيق الأستاذ محمود محمد شاكر- دار المعارف- مصر.

١٩. تفسير القرآن العظيم : لأبن كثير الإمام الحافظ أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي- دار الجيل- بيروت- الطبعة الثانية- ١٩٩٠م.

٢٠. تفسير القرطبي المسمى الجامع لأحكام القرآن : طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب- دار الكتاب العربي للطباعة والنشر- القاهرة- ١٩٦٧م.

٢١. التفسير الكبير : لفخر الدين الرازي- المسمى مفاتيح الغيب- القاهرة- المطبعة البهية- الطبعة الأولى- ١٣٥٧هـ/ ١٩٣٨م.

بابـ الجيم

٢٢. الجدول فـــي إعـــراب القـــرآن وحذفه وبيانه : تصنيف محمود صلفي- دار الرشـــيد- دمشـــق- وبيروت- الطبعة الأولى- ١٤١١هـــ/ ١٩٩٠م.

٢٣. الجمل في النحو للزجاجي : تحقيق الدكتور علـــي توفيـــق الحمـــد- مؤسســـة الرسالة- بيروت.

بابـ الخاء

٢٤. خزانة الأدب ولب لبـــاب لســـان العرب : لعبد القادر البغدادي- مطبعة بولاق- ١٢٩٩هـــ.

٢٥. الخصائص : لأبن جني- تحقيق محمد علي النجار- دار الكتـــب المصرية- الطبعة الثانية- ١٣٧١هـــ/ ١٩٥٢م.

بابـ الدال

٢٦. دراسات لأسلوب القرآن : لمحمد عبد الخالق عضيمة- مطبعـــة الســـعادة- القاهرة- ١٣٩٢هـــ.

٢٧. الدرر اللوامع : للشنقيطي- الجمالية- القاهرة- ١٣٢٨هـــ.

٢٨. دلائل الإعجاز : للإمام اللغوي عبـــد القـــاهر الجرجـــاني- حققـــه الدكتور محمد رضوان الدايـــة والدكتـــور فـــايز الداية- مكتبة سعد الدين- دمشق.

بابـ الراء

٢٩. روح المعاني : للألوسي- تصوير إحياء التراث العربي- بيروت.

بابـ الشين

٣٠. شذرات الذهب في أخبـــار مـــن ذهب : لأبي الفلاح عبد الحي بن العمـــاد الحنبلـــي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان.

٣١. شذور الذهب : لأبن هشام- تحقيق محي الديـــن عبـــد الحميـــد- القاهرة- ١٩٦٣م.

٣٢. شرح الأشموني على ألفـــة ابـــن مالك : للأشموني- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- مكتبة النهضـــة المصريـــة- القـــاهرة- الطبعـــة الأولى- ١٩٥٥م.

٣٣. شرح الألفية : للأشموني- عيسى الحلبي- القاهرة- ١٣٦٦هـــ.

٣٤. شرح ألفية ابن مالك : لأبن الناظم- تحقيق الدكتور عبد الحميد السيد عبـد الحميد- دار الجيل- بيروت- لبنان.

٣٥. شرح الصريح على التوضيح : للأزهري- تصوير دار الفكر- بيروت.

٣٦. شرح شواهد شروح الألفية : للعيني- لامش خزانـــة الأدب- طبـــع بـــولاق- ١٢٩٩هـــ.

٣٧. شرح الكافية : للرضي الاستربادي- تصوير دار الكتب العلميـــة- بيروت.

٣٨. شرح المفصل : لأبن يعيش- مطبعة محمد منير- القاهرة- ١٩٢٨م.

باب الصاد

٣٩. صفوة التفاسير : لمحمد علي الصابوني- دار القرآن الكريم- بيروت- الطبعة الثالثة- اشتوت غارت- ألمانيا- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

باب الطاء

٤٠. طبقات النحويين واللغويين : للزبيد النحوي- تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة- ١٩٥٤م.

باب العين

٤١. عين الأخبار : لأبن قتيبة- طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب- القاهرة- ١٩٦٣م.

باب الفاء

٤٢. فتح القدير محمد الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير : لمحمد بن علي بن محمد الشوكاني- المكتبة العصرية- صيده وبيروت- الطبعة الأولى- ١٩٩٧م.

باب الكاف

٤٣. الكتاب : لسيبويه- تحقيق عبد السلام محمد هارون- الهيئة العامة للكتاب- القاهرة- ١٩٧٣م.

٤٤. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل : للإسلام محمود بن عمر الزمخشري- ويزيله في أربعة كتب:

أ. الانتصاف من الكشاف: للإمام احمد بن المنير الإسكندري.

ب. الكافي الشاف في تخريج أحاديث الكشاف: للحافظ بن حجر العسقلاني.

ت. حاشية الشيخ محمد عليان المرزوق على تفسير الكشاف.

ث. مشاهد الإنصاف على شواهد الكشاف: للشيخ محمد عليان المرزوق.ترتيب وضبط وتصحيح خادم السنة لمحمد بن مصطفى حسين احمد- دار الكتاب العربي- ١٩٤٧م.

٤٥. الكشف عن وجوه القراءات السبع : للقيسي- تحقيق محمي الدين رمضان- مطبوعات مجمع اللغة العربية- دمشق.

باب اللام

٤٦. لسان العرب المحيط : للعلامة ابن منظور- إعداد وتصنيف الشيخ عبد الله العلايلي- دار لسان العربي- بيروت- ١٩٧٠م.

باب الميم

٤٧. مختصر تفسير ابن كثير : لمحمد علي الصابوني- دار القرآن الكريم- بيروت الطبعة السابعة- ١٤٠٢هـ/ ١٩٨١م.

٤٨. مختصر تفسير الطبري مع أسباب النزول للنيسابوري : لأبي يحيى محمد بن صنباح التجني- دار الفجز الإسلامي- دمشق- الطبعة الثانية- ١٤١٣هـ/ ١٩٩١م.

٤٩. المدارس النحوية : لشوقي ضيف- دار المعارف بمصر- الطبعة السابعة- ١٩٦٨م.

٥٠. مراتب النحويين : لأبي الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي- تحقيق الأستاذ محمد أبو الفضل إبراهيم- القاهرة- ١٩٥٥م.

٥١. المزهر : للسيوطي- تحقيق الأساتذة محمد جاد المولى وعلي البجاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم- طبع الحلبي- القاهرة.

٥٢. مسند الإمام أحمد بن حنبل : تصوير دار صادر- بيروت.

٥٣. معالم التنزيل : للبغوي وطبع بها مش لباب التأويل في المعاني التنزيل للخازن البغدادي في مصر- ١٣١٣هـ/ ١٩١٢م.

٥٤. معجم الأدباء أو إرشاد الأديب إلى معرفة الأديب : لياقوت الحموي- دار الكتب العلمية- بيروت- لبنان- الطبعة الأولى- ١٤١١هـ/ ١٩٩١م.

٥٥. معجم لسان العربي المحيط : لأبن منظور- دار صادر- بيروت- ١٩٥٥م.

٥٦. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم : لمحمد فؤاد عبد الباقي- دار الحديث- القاهرة- الطبعة الأولى- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٥٧. المعجم الوسيط : مجمع اللغة العربية- دار الدعوة- استنبول- تركيا- طبع بمطابع دار المعارف- مصر- ١٩٨٠م.

٥٨. مغنى اللبيب عن كتب الأعاريب : لعبد الله بن يوسف بن أحمد المعروف بابن هشام- تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد- المكتبة العصرية- صيده- لبنان- ١٩٨٧م.

٥٩. المقرب : لأبن عصفور- تحقيق وتعليق عادل أحمد عبد الموجود وعلي محمد معوض- دار الكتب العلمية- بيروت- الطبعة الأولى- ١٤١٨هـ/ ١٩٩٨م.

٦٠. من أساليب القرآن : الدكتور إبراهيم السامرائي- مؤسسة الرسالة- دار الفرقان للنشر والتوزيع- الطبعة الثانية- ١٤٠٧هـ/ ١٩٨٧م.

٦١. المنجد في اللغة والإعلام : دار المشرق- بيروت- الطبعة الثامنة والعشرون- ١٩٨٦م.

باب النون

٦٢. النحو الوافي : لعباس حسن- مطابع دار المعارف- مصر- الطبعة الخامسة- ١٩٧٤م.

٦٣. نزهة الإلباء في طبقات الأدباء : كمال الدين بن الأنباري- تحقيق الدكتور إبراهيم السامرائي- بغداد- ١٩٥٩م.

٦٤. النشر في القراءات العشر : لابن الجزري- تصوير دار الكتب العلمية- بيروت.

باب الهاء

٦٥. همع الهوامع : للسيوطي- تحقيق عبد العال سالم- دار البحوث العلمية- الكويت- ١٣٩٩هـ.

باب الواو

٦٦. وفيات الأعيان : لأبي العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن لأبي بكر بن خلكان- تحقيق الدكتور إحسان عباس- دار الثقافة- بيروت- لبنان.

وزيادة في الفائدة توزد المدارس النحوية المختلفة وأعلامها ونبذة عن حياتهم وهم مصنفاتهم وكتبهم.

المدارس النحوية

أ. المدرسة البصرية

وعلماؤها :

١. أبو الأسود الدؤلي :

هو أبو سفيان بن جندل بن يعمر بن حلّس بن نفاثه ابن عدي بن الدؤل بن بكر بن كنانه الدؤلي أبو الأسود. توفي سنة ٦٩ وهو من المخضرمين وأول من نقط القرآن.

- **تلاميذه من القراء :**

أ. نصر بن عاصم.

ب. عبد الرحمن بن هرمز.

ج. يحيى بن يعمر.

د. عنبسة الفيل.

ه. ميمون الأقرن.

٢. **ابن أبي اسحق الحضرمي** :

وهو عبد الله بن أبي اسحق مولى الحضرمي وهو من القراء توفي سنة١١٧٧ه. وهو أول النحاة البصريين بالمعنى الدقيق للكلمة.

٣. **عيسى بن عمر الثقفي** :

من موالي آل خالد الوليد – نزل تثقيف ونسب إليها له مصنفات :

أ. الجامع

ب. الإكمال

٤. **أبو عمرو بن العلاء** :

هو زبان بن العلاء المازني التميمي– ولد بمكة سنة٧٠هـ ومات بالبصرة سنة١٤٩هـ.

٥. **يونس بن حبيب** :

من موالي بني طنبة – ولد سنة٩٤ه، وتوفي سنة ١٨٢ه من تلاميذه:

أ. **أبو عبيده اللغوي**

ب. **سيبويه**

٦. **الخليل بن أحمد الفراهيدي البصري** :

٧. ولد سنة ١٠٠ه وتوفي سنة ١٧٥ه–اعتمد السماع والتعليل والقياس في وضع القواعد النحوية.

له كتاب : العينة.

٧. **سيبويه** :

هو عمر بن عثمان بن قنبر –من تلاميذ الخليل بن أحمد – ومن موالي بني الحارث بن كعب، اتبع طريقة الأستملاء العادية، وطريقة السؤال والاستفسار إلى جانب أسلوب معلم الخليل في السماع والتعليل والقياس. توفي سنة ١٨٠هـ له كتاب : **الكتاب**

٨. **الأخفش الأوسط** :

هو أبو المحسن سعيد بن مسعدة–فارسي الأصل مثل سيبويه وهو أحد تلاميذه. توفي سنة ٢١١هـ.

٩. **قطرب** :

هو محمد بن المستنير– بصري المولد والمربى–سماه سيبوية قطرباً–توفي سنة ٢٠٦هـ.

كتبه :

أ. كتاب العلل في النحو.

ب. كتاب الاشتقاق في الصرف وله تصانيف عديدة منها :

أ. كتاب "ألأضداد"

ب. كتاب "خلق الفرس".

ج. كتاب"خلق الأنسان".

د. كتاب "المثلث".

ه. كتاب"أعراب القرآن"

و. كتاب"غريب الحديث".

ح. وكتاب "الرد على ملحدين في تشابه القرآن".

١١. **أبو عثمان المازني** :

١٢. هو بكر بن محمد بن بقية من بني مازن الشيبانيين من اهل البصرة- توفي سنة ٢٤٩هـ على ارجح الأقوال.

من كتبه :

أ. علل النحو.

ب. كتاب التصريف: شرحه ابن جني سماه المنصف وقد طبع بالقاهرة.

من مصنفاته :

أ. كتاب "ما يلحن به العامة"

ب. كتاب "الألف واللام"

ج. كتاب "العروض"

د. كتاب "القوافي"

١٣. **المبرد** :

هو محمد بن يزيد الأزدي إمام نحاة البصرة. ولد سنة ٢١٠هـ توفي سنة ٢٨٥هـ وقيل ٢٨٦هـ.

من مصنفاته :

أ. "نسب عدنان وقحطان".

ب. "ما اتفق لفظه واختلف معناه في القرآن المجيد".

ج. الفاضل.

د. الكامل.

ه. المقتضب في النحو.

وله كتب سقطت ولم تطبع:

أ. كتاب "الإشتقاق".

ب. كتاب "شرح شواهد الكتاب".

ج. كتاب "معنى كتاب الأوسط". ويعني به كتاب "الأوسط" للأخفش.

د. إعراب القرآن.

١٤. **الزجاج** : هو ابو اسحق ابراهيم بن السري بن سهل، وسمي الزجاج لأنه كان يخرط الزجاج فنسب إليه، توفي سنة ٣١٠هـ.

من مصنفاته :

أ. كتاب "شرح أبيات سيبويه".

ب. مختصر في النحو.

ج. الإشتقاق.

د. ما ينصرف وما لا ينصرف.

ه. كتاب "فعلت وأفعلت".

و. معاني القرآن.

ز. القوافي.

ح. كتاب في العروض.

١٥. **ابن السرّاج** :

هو ابو بكر محمد بن السرّي- من تلاميذه المبرد- يحسن نظم الشعر- توفي سنة ٣١٦هـ.

- له كتاب "الأصول الكبير" لم ينشر حتى اليوم.

- وله مصنفات نحوية مختلفة منها:

أ. كتاب "مجمل الأصول".

ب. كتاب " الإشتقاق".

ج. شرح سيبويه.

د. كتاب "احتجاج القراء".

١٦. **السيرافي** :

هو أبو سعيد الحسن بن عبد الله بن المزربان- ولد بسيراف سنة ٢٨٠هـ.توفي سنة ٣٦٨هـ. قرأ القرآن على أبى بكر بن مجاهد، واللغة على ابن دريد، والنحو على أبي بكر بن السراج النحوي، والف على "الكتاب" لسيبويه شرحه المطول الذي لم يطبع إلى اليوم. وهو آخر النحويين البصريين.

من كتبه :

أ. "الغات القطع والوصل".

ب. "اخبار النحويين البصريين".

ج. "الوقف والإبتداء".

د. "صنعة الشعر والبلاغة".

ه. "شرح مقصورة ابن دريد".

٢. المدرسة الكوفية

أعلامها :

١. **الكسائي :** هو علي بن حمزة، من أصل فارسي، ولد بالكوفة سنة ١٢٩هـ من تلاميذ ابي عمر بن العلاء، وعيسى بن عمر ويونس بن حبيب توفي بالري سنة ١٨٩هـ.

من تلاميذه :

أ. أبو عبيد القاسم بن سلام أخذ عنه القراءات واللغة.

ب. محمد بن سعدان الضرير.

ج. علي بن حازم اللحيلني.

د. علي بن المبارك الأحمر مؤدب الأمين.

٢. **هشام بن معاوية الضرير :** من انبه تلاميذ الكسائي بعد الفراء. توفي سنة ٢٠٩هـ.

٣. **الفراء :** هو يحيى بن زياد بن عبد الله، من أصل فارسي من الديلم، ولد بالكوفة سنة ١٤٤هـ ونشأ بها. تتلمذ على أبي بكر بن عياش، وسفيان بن عينيه، ويونس بن حبيب توفي سنة ٢٠٧هـ وهو في طريقه إلى مكة.

من كتبه :

أ. معاني القرآن.

ب. البهاء والبهي فيما تلحن فيه العامة.

ج. المذكر والمؤنث. وهو مطبوع.

٤. **ثعلب** : هو أبو العباس احمد بن يحيى، كان أبوه من موالي بني شيبان، ولد ببغـــداد سنة ٢٠٠هـ توفي سنة ٢٩١هـ.

من كتبه :

أ. كتاب "المجالس".

ب. كتاب "الفصيح" وقد طبع مع الشرح للهروي.

ج. كتاب "قواعد الشعر".

من أصحابه :

أ. أبو موسى سليمان بن محمد المعروف بالحامض.

ب. أبو عمر الزاهد محمد بن عبد الواحد.

ج. أبو بكر محمد بن الحسن المقرئ النحوي العطار المعروف باسم ابن مقسم.

د. أبو بكر الأنباري وهو أنبذ تلاميذه.

ه. أبو بكر بن مجاهد.

٥. **أبو بكر الأنبا ري** : وهو أبو بكر محمد بن القاسم بن محمد بن بشار الأنبـــاري ولـــد سنة ٢٧١هـ من تلاميذه ثعلب توفي سنة ٣٢٨هـ.

من كتبه ومصنفاته :

أ. صنف في اللغة والنحو كتاب "الأضداد" وهو منشور.

ب. كتاب "المقصور والممدود".

ج. كتاب "المذكر والمؤنث".

د. كتاب "الكافي في النحو".

ه. من آثاره شرحه للمفضليات. وهو منشور.

كوفيون متأخر ون :

منهم:

١. أحمد بن فارس "أبو الحسين" المتوفى سنة ٣٩٥هـ.

٢. ابن آجروم الصنهاجي المغربي صاحب المتن المشهور باسم الآجرومية.

٣. المدرسة البغدادية

من أول علمائها: ابن الكياس وابن شقير وابن الخياط

١. **ابن كيسان** : هو أبو الحسن محمد بن احمد بن كيسان. أخذ عن المبرد وثعلب توفى سنة ٢٩٩هـ.

من مصنفاته :

أ. كتاب "اختلاف البصريين والكوفيين".

ب. كتاب "الكافي في النحو".

ج. كتاب "التصاريف".

د. كتاب "المختار في علل النحو".

٢. **الزجاجي** :

هو أبو القاسم عبد الرحمن بن اسحق، من أهل الصيمرة، ونشأ بنهاوند جنوبي همدان، لزم الزجاج البصري وقد أعلن عليه النحو، ومنه أخذ لقبه الزجاجي، ورحل إلى الشام. مات في طبرية سنة ٣٣٧هـ.

من مصنفاته الكثيرة :

أ. أمالي الزجاجي الوسطى. مع تعليقات الشنقيطي.

من مصنفاته التي بلغت نحو الخمسين :

أ. "اللمع وذي القد وتأييد تذكرة أبي علي".

ب. "المحتسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها" وهو من أشهر مصنفاته.

ومن أهم كتبه :

أ. الخصائص.

ب. "سر صناعة الإعراب". نشر الجزء الأول منه في القاهرة.

ج. "المنصف" في شرح كتاب "التصريف" للمازني.

د. التصريف الملوكي.

بغداديون متأخرون

١. **الزمخشري :**

هو محمود بن عمر، ولد سنة ٤٦٧هـ بزمخشر. وتوفي سنة ٥٣٨هـ رحل في طلب العلم إلى بخارى وإلى بغداد، وجاور بمكة حقبة طويلة نشط فيها لتصنيف تفسير للقرآن المسمى "الكشاف" ودرس كتاب سيبويه فيها على أحد علماء الأندلس النابهين وهو عبد الله بن طلحة المتوفى سنة ٥١٨هـ.

من أشهر مصنفاته :

أ. الفائق في غريب الحديث.

ب. النموذج وهو من أكثر مصنفاته النحوية.

ج. المفصل- وعني بصنع حاشية له. وشرحه ابن يعيش شرحاً صافياً وقد جعله في أقسام أربعة:

١. قسم للأفعال.

٢. قسم للأسماء.

٣. قسم للحروف.

٤. قسم للمشترك أراد به الإمالة والزيادة والإبدال والإعلال والإدغام وهو معجمه "أساس البلاغة".

٢. **ابن الشجري** :

هو أبو السعادات هبة الله بن علي بن حمزة تتلمذ على المبارك بن عبد الجبار الصيرفي، وابن علي محمد بن سعيد الكاتب وكان نقيب الطالبيين بالكمرخ نيابة عن الطاهر. توفي سنة ٥٤٢هـ.

من مصنفاته :

أ. الأمالي: وهو أكبر تصانيفه وأمتعها.

ب. الانتصار من ابن خشاب.

ج. كتاب "الحماسة".

د. شرح التصريف الملوكي.

ه. شرح اللمع لأبن جني النحوي.

و. ما اتفق لفظه واختلف معناه.

٣. أبو البركان الأنباري :

عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن محمد ابن أبي سعيد محمد بن الحسن بـــن سليمان الأنباري الملقب كمال الدين ولد سنة ٥١٣ وتوفي سنة ٥٧٧هـ.

مـــن :

كتبه

أ. الميزان.

ب. طبقات الأدباء.

ج. كتاب حواشي "الإيضاح" للفارسي.

د. الإنصاف في مسائل الخلاف.

من مصنفاته :

أ. أسرار العربية.

ب. علم الجدل النحوي- وهو غير منشور.

ج. لمع الأدلة وهو في صنوف النحو منشور في دمشق.

د. الإعراب في جدل الإعراب.

ه. نزهة الألباء في تراجم النحاة.

٤. **أبو البقاء العكبري :**

هو عبد الله بن الحسين بن عبد الله (أبو البقاء) محي الدين العكبري. الفقيه الحنبلي والنحوي الضرير، أضر في صباه بجدري لحقه ولد سنة ٥٣٨هـ وتوفي سنة ٦١٦هـ ببغداد.

من مصنفاته :

أ. تفسير القرآن.

ب. إعراب القرآن.

ج. إعراب الشواذ من القراءات.

د. تشابيه القرآن.

ه. عدة آي القرآن.

و. إعراب الحديث.

ز. الناهض في علم الفرائض.

ح. الاستيعاب في أنواع الحساب.

ط. شرح الفصيح.

ي. شرح الحماسة.

ك. شرح المقامات الحريرية.

ل. شرح الخطب النباتية.

م. إعراب الحماسة.

س. شرح أبيات كتاب سيبويه.

ع. اللباب في علل البناء والإعراب.

ف. مقدمة في النحو.

ص. شرح شعر المتنبي.

ق. شرح كتاب "الإيضاح" لأبي علي الفارسي.

٥. **ابن يعيش** :

وهو أبو البقاء يعيش بن علي بن يعيش بن أبي السرايا بن محمد بن علي بن المفضل بن عبد الكريم بن محمد بن يحيى ابن حيان القاضي بن بشر بن حيان الأسدي. الموصلي الأصل، الحلبي المولد والنشأة والملقب الملقب موفق الدين النحوي ويعرف بابن الضائع. ولد بحلب سنة ٥٥٣هـ وتوفي فيها سنة ٦٤٣هـ

من مصنفاته :

أ. شرح الرضي على الكافية في النحو لأبن الحاجب.

ب. شرح الرضي على الشافية في النحو وهو مقدمة الكافية الصرفية.

٤. المدرسة الأندلسية

أعلامها :

١. **ابن مضاء** :

هو أبو العباس احمد بن عبد الرحمن بن محمد بن مضاء اللخمي القرطبي المتوفى سنة ٥٩٢هـ. أخذ عن ابن الرّماك كتاب سيبويه. هاجم النحاة في ثلاثة كتب:

أ. المشرق في النحو.

ب. تنزيه القرآن عما لا يليق بالبيان.

ج. الرد على النحاة. وهو الأثر الوحيد الباقي له.

٢. **ابن عصفور** :

هو أبو الحسن علي بن مؤمن بن محمد بن علي بن عصفور الحضرمي الأسبيلي المتوفى سنة ٦٦٣هـ. وهو حامل لواء العربية في زمانه وتلميذ الشلوبيين.

من مصنفاته :

أ. المقرب.

ب. الممتع في التصريف.

ج. مختصر المحتسب لأبن جني.

د. له ثلاثة شروح على الجمل للزجاجي.

٣. **ابن مالك** :

هو جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي الجياني المتوفى سنة ٦٧٢هـ. إمام النحويين واللغويين لعصره استمع إلى الشلوبيين، ولقي ابن الحاجب واستقر في حلب وفيها تتلمذ على ابن يعيش.

من أشهر مؤلفاته :

أ. "الألفية".

ب. الكافية الشافية.

ج. المؤصل في نظم المفصل للزمخشري.

د. تحفة المودود في المقصور والممدود.

وخلف مصنفات كثيرة بلغت نحو ثلاثين مصنفاً.

أ. شرح الكافية.

ب. التسهيل وشرحه.

ج. شرح الجزولية.

د. إعراب مشكل صحيح البخاري.

ه. عمدة الحافظ وعدة اللافظ وشرحه.

و. إيجاز التعريف في علم التصريف.

ز. المقدمة الأسدية- صنفها لأبن تقي الدين الأسد.

ح. الفوائد في النحو.

أندلسيون متأخرون

١. **ابن الحاج** :

هو أبو العباس احمد بن محمد الأزدي المتوفى سنة ٦٥١هـ. وقد اشتهر:

أ. بشروحه على كتاب سيبويه.

ب. شروحه على كتاب الإنصاح للفارسي.

ج. شروحه على كتاب الصناعة لأبن جني.

د. ايراداته على كتاب المقرّب لأبن عصفور.

٢. **ابن الضائع** : هو أبو الحسن علي بن محمد الكافي الأبّدي المتوفى سنة ٦٨٠هـ.

من مصنفاته :

أ. شرح الجمل للزجاجي.

ب. شرح كتاب سيبويه. جمع فيه بين شرحي السيرافي وابن خروف باختصار.

٣. **ابن أبي الربيع** :

هو عبد الله بن احمد الأموي الإشبيلي المتوفى سنة ٦٨٨هـ. هاجر إلى اشبيلية حين استولى عليها الأسبان إلى سبته.

من مصنفاته :

أ. شرح على "كتاب" سيبويه.

ب. شرح على "الإيضاح" للفارسي.

ج. شرح على "الجمل" للزجاجي.

٤. **الصفار** : هو القاسم بن علي بن محمد الأنصاري البطليموسي الشهير بالصفّار. المتوفى سنة ٦٣٠هـ. صحب الشلوبين وابن عصفور.

من مصنفاته :

أ. شرح "كتاب سيبويه" شرحاً حسناً.

٥. **أبو حيان** :

هو أثير الدين محمد بن يوسف الغرناطي الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ. تلميذ ابن جعفر بن الزبير وابن الضائع في النحو. لقي عصا الترحال ولزم بهاء الدين بن النحاس تتلمذ ابن مالك في القاهرة.

من مصنفاته :

أ. شروحه على كتاب سيبويه.

ب. شروحه على الممتع في التصريف.

ج. شروحه على كتاب المقرّب لأبن عصفور.

د. شروحه عن التسهيل لابن مالك.

ه. شروحه على منهج السالك في الكلام على الفية ابن مالك.

و. الارتشاف (ارتشاف الضرب).

ز. مختصر الارتشاف.

وعلى هذين الكتابين اعتمد السيوطي في كتابه "جمع الجوامع".

٨. المدرسة المصرية

أعلامها:

١. **ابن الحاجب** : هو جمال الدين عثمان بن عمر بن أبي بكر المتوفى سنة ٦٤٦هـ.ولد في أسن بصعيد مصر سنة ٥٧٠هـ.ونشأ بالقاهرة درس بالمدرسة الفاضلية بالقاهرة.

من مؤلفاته :

أ. الكافية: بشرح الرضي الإستراباذي.

ب. الشافية: بشرح الرضي الإستراباذي وهي في الصرف.

ج. امالي ابن الحاجب.

٢. **ابن هشام** : هو جمال الدين عبد الله بن يوسف بن احمد بن عبد الله ابن هشام الأنصاري المصري. ولد بالقاهرة سنة ٧٠٨هـ وبها توفي سنة ٧٦١هـ.

من مصنفاته الكثيرة :

أ. مغني اللبيب عن كتب الأعاريب له حاشيتان للأمير والدسوقي.

ب. أوضح المسالك إلى الفية ابن مالك شرحه الشيخ خالد الأزهري باسم"التصريح على التوضيح"وكتب عليه حاشية الشيخ يس العليمي الحمصي.

ج. شذور الذهب في معرفة كلام العرب.

د. قطر المدى وبل الصدى.

ه. الإعراب في قواعد الإعراب. منهجه هو منهج المدرسة البغدادية.

٣. **السيوطي** : هو جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد المتوفى سنة ٩١١هـ.

من كتبه :

أ. المزهر في علوم اللغة.

ب. كتاب الاقتراح في أصول النحو ألفه على هدي كتاب الخصائص لابن جني.

ج. همع الهوامع شرح جمع الجوامع.

من مصنفاته :

أ. شرحه لمغنى اللبيب لابن هشام وشرحه لشواهده.

ب. كتاب الأشباه والنظائر. ألفه على ضوء كتاب القاضي تاج الدين السبكي ما عدا صدره فإنه استلهم فيه كتاب الزركشي.

نحاة متأخرون

في المدرسة النحوية المصرية

١. **ابن عقيل** : عبد الله بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٦٩هـ وهو من تلاميذ ابن حيان.

من مصنفاته :

أ. شرحه على التسهيل لابن مالك.

ب. شرحه على الألفية لابن مالك وعليه حاشية الخضري.

٢. **ابن الصائغ** : وهو محمد بن عبد الرحمن المتوفى سنة ٧٧٦هـ.

من مصنفاته :

أ. التذكرة.

ب. شرحه على ألفية ابن مالك.

٣. **الرماميني** : وهو محمد بن أبي بكر بن عمر الإسكندري المتوفى سنة ٨٣٧هـ.

من مصنفاته :

أ. شرحه على التسهيل لابن مالك.

ب. شرحه على مغنى اللبيب لابن هشام. وسماه"تحفة الغريب في حاشية مغنى اللبيب" وتحامل فيه تحاملا شديدا على ابن هشام.

٤. **الشمني السكندري** : المتوفى سنة ٨٧٢هـ. وهو الذي تعقب الرماميني في حاشيته على المغنى وقد سماها:"المنصف من الكلام على مغنى ابن هشام".

٥. **الكافيجي** : محمد بن سليمان الرومي المتوفى سنة ٨٧٩هـ ولد في بلاد

الروم، ثم دخل الشام وبيت المقدس واستقر في القـــاهرة. وهـــو معلمالسيوطي.

من مؤلفاته :

أ. شرحه على "قواعد الإعراب" لأبن هشام.

٦. **خالد الأزهري** : ولد بجرجا ونشأ بالقاهرة وتوفي سنة ٩٠٥هـــ.

من مصنفاته :

أ. المقدمة الأزهرية في علم العربية.

ب. شرحه على المقدمة الأزهرية.

ج. شرحه على كتاب "الإعراب على قواعد الإعراب" لأبن هشام.

د. شرحه على الآجورمية.

ه. شرحه على الألفية لأبن مالك.

و. شرح "التصريح على التوضيح" لأبن مالك وهو أهم شروحه.

٧. **الشيخ محمد الدسوقي** : المتوفى سنة ١٢٣٠هـــ ١٨١٥هـــ.

من مصنفاته :

أ. حاشية مطولة على المغني لأبن هشام وتضم بين دفتيها الشـــروح والحواشـــي التـــي وضعت على المغني منذ ألفه صاحبه.

٨. **الشيخ حسن العطار** : المتوفى سنة ١٢٥٠هـــ ١٨٣٤هـــ.

من مصنفاته :

أ. حاشية مختصرة على شرح الأزهرية للشيخ خالد الأزهري.

٩. **الشيخ محمد الخضري الدمياطي** : المتوفى سنة ١٨٧٠هـــ.

من مصنفاته :

أ. حاشية مختصرة على شرح ابن عقيل.

الفهـــرس

١. **توطئـــة** ٧

لغة القرآن الكريم ٨

النحو في خدمة محكم التنزيل ١٥

٢. **موضوعات البحث** ١٩

مقدمة البحث ٢٠

❖ **الفصل الأول : أساليب المدح في القرآن الكريم ويقسم إلى مباحث ثلاثة :** ٢٥

- المبحث الأول : استخراج أساليب المدح المباشرة والصريحة في القرآن الكريم. ٢٨
- المبحث الثاني : استخراج أساليب المدح غير المباشرة في القرآن الكريم. ١٠٢
- المبحث الثالث : استقراء أساليب أخرى تلحق بالمدح في القرآن الكريم. ١٣٠

❖ **الفصل الثاني : أساليب الذم في القرآن الكريم وتقسم إلى مباحث ثلاث:** ١٥٤

- المبحث الأول : استخراج أساليب الذم المباشرة والصريحة في القرآن الكريم. ١٥٥
- المبحث الثاني : استخراج أساليب الذم غير المباشرة في القرآن الكريم. ٢٢٣
- المبحث الثالث : استقراء أساليب أخرى تلحق بالذم في القرآن الكريم. ٢٣٣

❖ الفصل الثالث : أساليب المدح بما يشبه الذم في القرآن الكريم: ٢٤٣

- المبحث الأول : أساليب المدح بما يشبه الذم بذكر ألفاظ تدل على الابتـــلاء ٢٤٤

مثل نبلو- بلونا- يبلو.

- المبحث الثاني : أساليب المدح بما يشبه الذم بذكر لفظة يقترف. ٢٦٢

- المبحث الثالث : أساليب المدح بما يشبه الذم بذكر لفظة امتحن. ٢٦٥

❖ الفصل الرابع : أساليب الذم بما يشبه المدح في القرآن الكريم: ٢٦٨

- المبحث الأول : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ البشـــر، والإنابـــة، ٢٦٩

والتمتع.

- المبحث الثاني : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفاظ تدل على اســـتعمال ٢٨٤

الحواس في غير طاعة الله.

- المبحث الثالث : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر لفظتي الشرح والإيمان. ٢٩٠

- المبحث الرابع : أساليب الذم بما يشبه المدح بذكر ألفـــاظ فـــي غـــير مـــا ٢٩٣

استعملت له عادة : كالعزيز، ونزل، وظل.

٣. الخاتمـــة ٢٩٩

٤. المصادر والمراجع ٣٠٤

جامعة القرآن الكريم
والعلوم الإسلامية
كلية الدراسات العليا والبحث العلمي
المكتبة
رقم القيد : ..... التاريخ